

مهد الصحراء بصر الجديدة  
( أنظر مقال «الرجس» صفحة ١١ )



# المقتطف

الجزء الاول من المجلد السادس والتسعين

١ يناير سنة ١٩٤٠

## تأثير الحب والبغض

والغضب وغيرها من الاقترانات في الصحة والمرض

١ - هو أدب غربية

دخل المستشفى يوم الاثنين وهو مصاب بمرض جلدي . ففحصه الأطباء فحسبوا مدققاً . وامتحنوه بجميع الوسائل التي تمكنهم من معرفة استهدافه لمادة معينة اذا كان الاستهداف علّة اصابته . فلم يهدم الامتحان الى شيء لأن النتائج كانت سلبية جميعاً . ولكن بشرته كانت متفطنة وعلى ذراعيه بثور . قال : — ان هذه البثور تظهر كل يوم اثنين تقريباً . فسأله الطبيب : وماذا تصنع يوم الأحد ؟ فقال : اذهب في الغالب الى احدى الضواحي لمقابلة فتاة . فاستقصى الطبيب هذا الخبر فاذا الرجل خطيب تلك الفتاة من سنوات . واذا الفتاة تؤجل يوم القران مرة بعد أخرى . وكان الرجل يقتصد ما يستطيع اقتصاده من المال استعداداً للنهوض باعباء الزواج . وكان في كل احد يسعى جهده لاقناع الفتاة بالتحايز قرار نهائي وتعيين يوم القران فكانت تروغ منه ، وكان يصاب كل يوم اثنين بهذه البثور فكان جلده كان يشور متأثراً بحالته النفسية

...

ثم هناك قصة فتاة اقلقتها إصابة بنصر يسراها بما جعلها يبضاء كالطباشير تقريباً ، مخدرة لا تشعر بها . وهذه حالة تعرف في الطب بحالة « الاصبع البضاء » وسببها اضطراب في دورة الدم في الأصبع . واسمها العلمي مرض رينو Raynaud . في هذه الاصابة تنقبض العضلات التي تحيط بأنابيب الدم الشعرية في الأصبع انقباضاً طويلاً فيضف وورود الدم الى الأصبع . والغالب



ان تشمل هذه الإصابات الاصابع والأبهام ، ولكنها كانت في حالة هذه الفتاة محصورة في بنصر يسراها. فهل كان السبب متصلاً بحالة الفتاة الانفعالية emotional ؟ وهل كون البنصر هي أصبع الخاتم دليل على ذلك ؟ سئلت الفتاة في ذلك فروت قصة تؤيد هذا الرأي. قالت أنها كانت قبل بضعة أشهر خطيبة شاب تغمرها سعادة الحب . ولكن شجر بينهما خلاف فزعت خاتماً من بنصرها في ساعة غضب ورمت به الى الارض قائلة هو ذا خاتمك . وفي مساء ذلك اليوم أحست وخزاً خفيفاً في بنصرها ففكرتها حتى استكننت ثم عاودها الألم فلم يجد الفرق في إزالته. واشتدت الإصابة حتى أحدثت قرحاً دفعتها الى استشارة الطبيب

...

ثم مثل آخر . هو ذا رجل مصاب بالربو ، ملق على سرير في مستشفى . جاء المستشفى وربوه مشتد عليه . ففضى بضعة أسابيع تحت اشراف اطباء حتى تماثل الى الشفاء . وأقبل يوم خروجه من المستشفى صحيحاً معافى ، فأعدت له تذاكر السكة الحديدية الى قريته وحزمت أمتعته وودّع طبيبه وممرضته . ولكنه أصيب قبيل خروجه من المستشفى بنوبة شديدة من السعال ، فما انقضت ساعات حتى عاودته جميع الاعراض الخطرة التي كان مصاباً بها عند مجيئه الى المستشفى وثبت لأطبائه ان في اخراجه من المستشفى خطراً على حياته . فأعيد علاجه حتى تماثل وحكم الأطباء بأنه يستطيع ان يسافر ولكن النوبة عاودته قبيل السفر مرة أخرى ففحصت حالته من ناحية أخرى . وأثبت الفحص انه كان مدرساً في كلية زراعية في إحدى الولايات الاميركية الجنوبية . وحدث له وهو مدرس ان اشترك في زراعٍ خطير أفضى الى استقالة عميده . فلما عين العميد الجديد توقع ان يرقى نخباً أمه . ثم حدث ما حمله على الظن بأنه قد يقال . وها هو ذا في المستشفى يحس أنه في مأمن حالة ان رجوعه الى الكلية يعود به الى بقعة تؤلمه ذكرى حوادثها ويقلقه فيها احتمال اقالته من العمل الذي توفر عليه

...

هذه الحوادث الثلاث مأخوذة من حوادث مدونة تفصيلاتها في سجلات مستشفى كبير في الولايات المتحدة الاميركية وهي تذكر بحوادث تماثلها وقعت في الحرب العالمية الماضية . فلم يكن من النادر في الحرب الماضية ان يبعث قائد الفصيلة بأحد رجاله الى الشقة الحرام لدفن الموتى فيؤدي مهمته على أوفى وجهه ولكنه لا يلبث بعد عودته حتى يدرك انه فقد حسني الشم والذوق . ويروي الدكتور ارنست سنودن أحد أساتذة كلية طبية بغرب لندن قصة من اغرب القصص صاحبها شاب في السابعة والثلاثين ، كان في أحد المعسكرات البريطانية في انكترا يتدرب مع زملائه توطئة لسفره معهم الى فرنسا . وفي إحدى الليالي صدر الأمر اليه والى رفاقه بمهاجمة



خندق في ظلام الليل فكان اول من وصل الى الخندق وقفز اليه ولكن زميله الذي تلاه لم يره فقفز وراءه فأصاب سلسلته الفقرية بجذائمه الضخمين . فعجز بعد ذلك عن المشي . لأن المركز العصبي الخاص بعضلات الفخذين أصيب على ما يلوح . ومضت ست سنوات اخرى وهو مقعد . فحكمت السلطات الطبية بنقله الى مستشفى يقضي فيه بقية حياته مع العجزة والمقعدين . ولكن طبيب هذا المستشفى لاحظ ان عضلات الفخذين غير ذابية فبعث به الى عيادة خاصة لمراقبة حاله . وفي هذه العيادة عرفت قصته

كان هذا الرجل وزوجه من عامة الناس . وكان قد تعطل عن العمل قبل الحرب العالمية الماضية ، فعمدت زوجه الى « القسل » لتكسب بضعة دريهمات تقيم بها اودها حتى تتحسن الحال . فأصابت النجاح في عملها فوسعت نطاقه وأخذت تستعين ببعض جاراتها من المعوزات . واشترك معها زوجها في ادارة العمل ثم نشبت الحرب العالمية ، فارتفع سعر الوقود والصابون ثم استخدمت النساء في بعض مصانع الذخائر بدلاً من الرجال وأخيراً جند زوجها فخرّب عملها وكانت في طريقها الى اليسر . وكان زوجها يتلقى منها وهو في المعسكر رسائل تدمي القلب فيكمد ويغم . ثم حدث له ما حدث في الخندق . كانت الاصابة أليمة لاريب في ذلك ، ولكن هل أحدثت شللاً أو هل كان الشلل ناشئاً عن حالة نفسية فلم تكن حادثة الخندق إلا سبباً مباشراً فقط ؟

فحصه الطبيب فحسباً مدققاً فوجد ان نخاعه الشوكي غير مصاب ، فقال له ذلك ، ويّسن له الصلة بين العقل والجسم ، فكان هذا البيان في نظر الرجل ، في منزلة العفو عن رجل محكوم عليه بالاعدام . فبدأ يحرك فخذه بعد المقابلة الاولى مع هذا الطبيب . وانتصب واقفاً عليهما في المقابلة الثانية بل خطا بضع خطوات الى الامام في حذر وتردد . ومشى في المقابلة الثالثة . ولكن حماسه حملته على ارهاق الفخذين والقدمين بعد اهلها سنوات فنورمت وأمره الطبيب بالراحة اولاً ثم بالتؤدة ولم ينقص الا بضعة اسابيع حتى كان شفاؤه تاماً

## ٢ — تأثير الانفعال في المرض

اعتاد المشتغلون بالطب ان يصفوا بعض الاعراض المرضية الغامضة بأنها « اعراض وظيفية » وذلك لكي يميزوها عن الامراض « العضوية » الناشئة عن اسباب معروفة يبيدها البحث في تركيب الانساج . فالصداع الذي يمكن رده الى خراج في الدماغ « حالة عضوية » *organic* ولكن صداعاً لا يمكن ان تدبّن صلته بحالة عضوية معينة يوصف بأنه « وظيفي » *functional* . والامراض العضوية بوجه عام هي التي استوفقت عناية الاطباء وفازت بالجانب الاكبر من بحوثهم . وليس بالنادر ان يصرف الطبيب مريضاً جاءه فحار في فهم علته بقوله « انه مرض وهم . عد الى بيتك وأنس



انك مريض». ولكن المريض لا ينصرف من عيادة هذا الطبيب إلا إلى عيادة طبيب آخر! وقد يكون بين الأطباء من يعتمد في علاج مرضاه على أساليب التراقين في العلاج. فقد روي عن سقراط أنه ذهب إلى بلد بعيد مع الفرقة التي جند فيها فلاحظ أن التراقين Thracians «الهمج» يفوقون الاغريق في مسألة واحدة على الأقل وهي ادراكهم تعذر شفاء الجسد بغير معاونة العقل. ولذلك — قال سقراط — يستطيعون ان يشفوا امراضاً عجز نطس اليونان عن شفاؤها. وليس ثمة ريب في ان فكرة معالجة الجسم على انه «كل» خطرت لا بسقراط فدونها في ما يعزى اليه من الكتابات الطبية وخطرت كذلك لاساطين الطب بعده. ولكن بحث «الانفعالات» emotions من حيث هي عامل في المرض لم تقز بالعناية العلمية في المستشفيات العامة والمدارس الطبية ومعاهد البحث إلا في العهد الاخير

ان الامراض التي تؤثر فيها حالة الانفعال النفسي وقد تكون فيها العامل الحاسم كثيرة. وعند الدكتور ادورد سترىكر Strecker ان خمسين في المائة من المشكلات التي يواجهها الطبيب في مراحل اشتداد العلة وخمسة وسبعين في المائة من مصاعب النقه ترد بأصولها إلى عقل المريض دون جسمه. وفي سنة ١٩٣٤ عينت الطبية الدكتور فلاندرز دنبار Dunbar وجماعة من الأطباء في احد مستشفيات نيويورك (Presbyterian Hospital) باختيار انواع معينة من الامراض تعزى إلى ضعف عضوي معروف، ودراستها من ناحية تأثير الاضطراب الانفعالي فيها. فاختارت المصابين بالدايبيطس (البول السكري) او بأمراض القلب أو بحوادث كسر العظام، ولم تشمل في حوادث كسر العظام حالات كسر الجمجمة لاسباب لا تخفى

فدرست ١٣٠٠ حادثة واصابة من هذا القبيل، فكانت النتيجة التي خلصت إليها ان العوامل الانفعالية أثرت في خمسين في المائة من حوادث واصابات الطوائف الثلاث أي المصابين بالبول السكري والمصابين بأمراض القلب والمصابين بكسر العظام. وليس ثمة ريب في ان ثبوت تأثر حوادث كسر العظام بالعوامل الانفعالية جاء مفاجأة كبيرة للدكتور فلاندرز ومساعديه لان الظن كان قبل ذلك بان كسر العظام أبعد ما يكون عن التأثر بالحالة الانفعالية

في كثير من هذه الحوادث التي درست تواريخها ثبت ان الكسر حدث قضاءً وقدرًا ولكن تقصي تاريخ المريض اثبت ان هناك وراء الحادثة نفسها شيئاً أكثر من ذلك. فثمة مثلاً حادثة رجل أصيب في سلسلته الفقرية. فدلّ تقصي تاريخه على انه كان مدلل أمه قبل زواجه ولكنه لم يفز من زوجه بمثل تدليل أمه قال: — وستضطر (أي زوجه) ان تعتي بي الآن، فليكن هذا لها درساً بليغاً. وهناك كذلك قصة فتاة في السابعة عشرة أصيبت ركبتيها في أثناء لعب الكرة، فثبت من تقصي تاريخها أنها كانت ولداً غير مرغوب فيه لان والدتها المطلقة كانت



تحاول ان تتخلص من تبعه العناية بها بالحاقها بمدرسة داخلية لكي تتمكن من الزواج ثانية . قالت الفتاة عن أمها : — ولا تستطيع الآن ان تبعدني ، وأنا مريضة ، وقد أبقى مقعدة طوال حياتي — أستطيع ذلك ؟

جميع هؤلاء المصابين جاءوا المستشفى المذكور لكي يعالجوا من الاصابة بأمراض «عضوية» . وقد اجتنب الباحثون قصداً بحث حالات المصابين بأمراض «وظيفية» لكي لا يختلط عليهم الأمر . وهل هناك ما هو أبعد عن «إصابة وظيفية» من كسر عظمة الذراع أو الفخذ أو السلسلة الفقارية ؟ ومع ذلك أثبت البحث ان ثمانين في المائة من المصابين بكسر في العظام كانوا مصابين من قبل ذلك بعقد نفسية راسخة في نفوسهم ، كالخوف من الوحدة ، أو الخوف من الظلام ، أو الخوف من السقوط وما شابه . وبدا كذلك من الفحص ان عقدة الهم العصبي تؤثر تأثيراً كبيراً من شأنه تقاوم الحالة المرضية في المصابين بالبول السكري وأمراض القلب ، وفي حالة الاضطراب الانفعالي كانت اصابات السكري والقلب تسوء وتشتد ويقابل ذلك ان الاعراض العضوية كانت تخف حتى حدود الزوال في حالة الاطمئنان النفسي والفرح

وقد تنبه الدكتور فليكس دويتش من اثنتي عشرة سنة — وكان يمارس صناعته حينئذ في فينا — الى تأثير الهم anxiety في المرض فين ان المصابين بأمراض عضوية تتفاقم حالتهم اذا لم يجدوا لهم منفذاً . والهم أنواع ويرتد الى مصادر متعددة ولكن هناك ما يدل على ان الهم الذي لا ينصرف في العمل واللعب ينصرف من طريق المرض . ولذلك قال الدكتور دويتش ان كل مرض هو مرض هم الى حد قريب أو بعيد ، فالمرضى يبق مريضاً لأنه لا يستطيع ان يبعد الهم عنه ، والصحة هي البعد عن الهم

في سفر الجامعة ان هم القلب اعظم الهموم وآداب جميع الأمم وأقوالها الماثورة حافلة بالإشارة الى ان القلب يعرف الهم والفرح وغيرها من الانفعالات . ولذلك اتجه فريق من الباحثين في الطب الى معرفة هل هناك اساس علمي لهذا الاعتقاد الشائع . فالدكتور ولتر فون ويز يقول : — ان الدورة الدموية عمل يفرض توقفه الى انطفاء شعلة الحياة فلذلك اصبح القلب عضواً من اهم اعضاء الجسم في الاعراب الداخلي . ولذلك يتصل القلب اتصالاً وثيقاً بحياتنا الانفعالية وهذا يجعله رمزاً للفضائل والذائل . وفي درس هذه العلاقات نبلغ منطقة واقعة عند ابعاد حدود المعرفة وهي بتطوي على مسألة هي في آخر الأمر المسألة الاساسية في الحياة وأعني ما يربط الروح بالجسم في وحدة كاملة

ويذهب الدكتور لدتج برون Braun الى ان الهم له اصل فسيولوجي وان مصدره في القلب وكما ان العين هي عضو الاحساس بالضوء ، فالقلب في رأيه عضو الاحساس بالهم . ومع ان



الاطباء قاما يوافقون على هذا الرأي، لا نرى بداً من القول بأن القلب المريض — عضلياً — لا يسبب الماء فقط بل ويكثر هم صاحبه

اما الدكتور ثودور ولف الاستاذ بجامعة كولومبيا فيقول ان جميع الاحساسات التي لا تبث السرور في جوانب النفس يصحبها الهم وليس ثمة هم كالمهم الذي يصحب الذبحة القلبية . فاذا سمع المصاب بها في اول عهده بها قول طبيبه « ان في قلبك تتممة خفيفة » او « ان ضغط دمك عال » فان هذا القول من شأنه ان يحول القلق اليسير الى هم عظيم مقيم . وعندئذ فقد تنقبض اوعية الدم التي في القلب نتيجة فسيولوجية للهم . وعند ما يشعر المريض بالآلم يحس ان همه كان في محله فيستفحل همه وتنفاقم حالة قلبه . وهناك فريق كبير من الاطباء يرى ان نفخ روح الرجاء والأمل في صدر المريض من الطرائق الاساسية في كل علاج . فالدكتور كارل فارينكامب يقول ان هناك نوعين من الذبحة القلبية . فالنوع الواحد تكون الاصابة به عقب الاجهاد مباشرة واما الثاني فيسرق الخطى كالص في سواد الليل ، والغالب انه يهجم في اثناء الراحة او النوم . ولكن الهم يلي الاجهاد فقط في كونه من العوامل التي تسبب نوبة من نوبات الذبحة القلبية . فاذا اصيب مريض الاعصاب بنوبته الاولى فاصاباته التالية تتوقف على حالته العصبية النفسية وأسلوب طبيبه في معالجته . حتى اذا كان الرجل غير مصاب باعصابه فإنه يحتفظ بذكرى نوبته الاولى فتولد خوفاً خفياً في نفسه كلما يطرأ فيها بعد . وعند الدكتور فارينكامب ان الحالة النفسية في علاج الذبحة القلبية أهم منها في أي مرض آخر

ولا يخفى ان ضغط الدم انواع منها ما يتصل بتصلب الشرايين ومنها له علاقة بحالات الاستهداف او بضعف الكليتين عن القيام بوظيفتهما وهو من المكتشفات الحديثة . ولكن المصابين بضغط الدم لا ترتد اصابتهم جميعاً الى سبب عضوي معروف او معرفته مستطاعة . وفي الحالين تتأثر حالة ضغط الدم بحالة المصاب النفسية والانفعالية . وقد روى الدكتور اروين موس Moos قصة رجل كان ضغط دمه عالياً جداً وكان مصاباً في احدى رثتيه وفي بوله آثار الزلال فموج بالراحة والعقاقير فلم يجن فائدة ولكن الطبيب سمعه يقول في احد الايام انه ظلم زوجه ظمناً شديداً فدبر الطبيب لقاء بين الزوجين فدار بينهما حديث سداً الود والانس ولحمته العتاب اللطيف فهبط ضغط دم الرجل وخفت اصابة الرئة وزالت آثار الزلال من البول . وقد انقضت سنوات والرجل متمتع بالعافية التامة

\*\*\*

يعني الدكتور ستانلي كوب Cobb وجماعة من الاطباء في مستشفى ماستشوستس العمومي في مدينة بوسطن بدراسة احوال المصابين بامراض شتى كالربو والرئة (الالتهاب المفصلي)



والتهاب القولون المخاطي الغشائي الكاذب . وقد وجدوا في كل طائفة من الطوائف المصابة بأحد هذه الأمراض فريقاً كبيراً متأثراً بهموم واوهام واشكال مختلفة من الاضطراب الانفعالي emotional . ففي المصابين بالتهاب القولون مثلاً وجد ان نصفهم كان مصاباً بالاسهال ولكنهم جميعاً كانوا مصابين بالغص المعوي . وبعد مباحثات خاصة معهم ظهر ان ٩٦ في المائة منهم يشعرون بالحنق و ٧٥ في المائة يشعرون بالهبوط النفسي و ٦٨ في المائة بالاثم . فالضيمير كان يؤنبهم لاثم اجترحوه ، او لحقد يثيرهم على خدماهم او معلمهم او والديهم فاتصل إثر ذلك بامعالمهم

ومن الناس الذين يقتن فيهم الهم بالمرض او لثك المصابون بالقرح الهضمية المستديرة في المعدة . ولكن همهم لا يرتد الى الحقد او الكره بل الى الشعور بالضعف والنقص . وقد عني الدكتور فرانز الكسندر احد علماء معهد التحليل النفسي بشيكاغو بدراسة المصابين بهذا النوع من القرحة في المعدة فوجد علاقة بين انفعالهم واعمال الهضم في المعدة . ومما قاله في هذا الموضوع انه اذا كانت هناك رغبات مكبوتة في العقل الباطن كالرغبة في ان يكون الانسان محبوباً ، او ان يحاط بعناية غيره به ، او التوق الى احياء العلاقة القديمة بين الطفل وامه او المحافظة عليها فان ذلك يفضي الى التأثير في وظائف المعدة . وهذه الرغبات تكبت في المراهقين والكبار لأنها لا تنفق واستقلال الشخصية ونشاطها . ولكن كبتها يجعلها ذات تأثير نفسي مزمين

ولكن السؤال الذي يخطر للباحث هو هذا : — لماذا تؤثر هذه العوامل النفسية في المعدة فيجيبك الدكتور الكسندر ان ذلك ليس بمستغرب . فالطفل في رأيه يكفي بعض ميوله الاولى بالاعتداء . وكذلك تنشأ صلة بين وظيفة الغذاء وحالة الانفعال بحب الأم وعنايتها

ولعل هذا يفسر القول القديم ان البطن هي الطريق الى القلب . ومن الامراض التي تناولها باحثو معهد شيكاغو بالبحث الدقيق مرض الربو الشعبي . ومن الأمور المسلم بها ان المصابين بالربو يتأثرون بحالة أعصابهم وانفعالهم ، ولكن البحث الطبي الحديث اثبت ان الربو من الأمراض المتصلة بحالة الاستهداف ( Allergie ) . ولذلك حصر أطباء المعهد بحثهم في المصابين بالربو الذين ثبت أنهم يستهدفون لمواد مختلفة ، وذلك ليعلموا مدى الاتصال بين هذا الربو المسبب والحالة النفسية او الانفعالية . ويلوح ان هناك صلة وثيقة ، ففي بعض حالات الذين لا يصابون بنوبات السعال الحاد الا عند تأثرهم بمادة معينة يستهدفون لها فتؤثر فيهم هذا التأثير ، ظهر أنهم يصابون بنوبات السعال عند ما يهددون بفقد محبة شخص يعتمدون على محبته ولو لم يتح لتلك المادة ان تؤثر فيهم . ولا يزال هذا البحث دائراً

ومن الأمور المسلم بها كذلك ان التهيج يخفف حالة الربو أحياناً كثيرة . وقد روى الدكتور إيثان باراك Barach أحد أساتذة جامعة كولومبيا ان أحد الشبان أصيب بالربو بعيد



ما تزوج والده من فتاة، وأزمنت حالته واشتدت حتى لكان من المتعذر عليه في بعض الاحيان ان يقضي ليله من غير ان يحقن بالادرينالين للترويح عنه . ولكن بلغه في ذات ليلة ان أباه مريض مشفى فاضطر الشاب ان يستدعي سيارة لنقل والده الى المستشفى وصحبه فيها وبعدما انتهت الليلة تذكر انه لم يصب في خلالها بنوبة واحدة من نوبات الربو . ثم عاد الربو حتى تعذر عليه العمل ولكن صديقاً له سعى الى تعيينه في منصب علمي في معهد من معاهد البحث في مدينة اخرى خفت وطأة الربو ، لما لقيه في هذا المعهد من أنس انساء همه الخاص بوالده . وقد انقضت عليه سنتان عند كتابة هذه السطور وهو معافى لا يحتاج الا الى قليل من الدواء للتغلب على ما بقي من اصابة الربو . والأمثلة التي من هذا القليل كثيرة

### ٣ — الهم وأصله الفسيولوجي

أما وقد بسطنا نواحي من علاقة الهم بالمرض فيجدر بنا الآن ان نحاول فهم السر في ذلك ان كان لنا سبيل اليه

ان فسيولوجية الهم متصلة اوثق اتصال بالحاجة الى الدفاع عن الجسم فترتد بذلك الى فجر الانسان بل الى اصله الحيواني . فقد كان الهم الاول للانسان البدائي ان ينقذ نفسه من الخطر . فعليه ان يجمع الطعام وفي جمعه كان يتعرض لمنافسة شديدة لا يتغلب عليها الا بالعنف . وكان عليه ان يواجه أخطاراً كل يوم فاما ان يحارب واما ان يفر . وهذه المطالب المفروضة عليه كل يوم أثرت في جهازه العصبي فأفرغته في الشكل الذي توارثناه فأصبح الجهاز العصبي ينهض ببطانة كبيرة من هذه المهام بفعل عكسي سريع التأثير دقيقه

ففي ساعات الخوف او الغضب يمتقع الوجه ويسرع النبض ويثقل التنفس ويقف الشعر ( يقف فزعاً ) . وهذه دلائل خارجية على تحول داخلي عظيم الشأن يحدث في الجهاز العصبي . فاحد الاعصاب يحرك القلب فيزداد نبضه وغيره يحرك عضل الاوعية الدموية الشعرية في الجلد فيمتقع اللون بارتداد الدم الى الداخل حيث الحاجة اليه شديدة وبذلك يرتفع ضغط الدم . وتتأثر عضلات اخرى باعصاب اخرى فينتقل معظم الدم من المعدة والامعاء الى القلب والدم والرئتين وعضلات الهيكل العظمي اي ان الجسم يعي بفعل الجهاز العصبي كل قوته للقتال او للفرار . ثم تؤثر اعصاب اخرى في الكبد فتطلق المخزون من السكر فيها فيزداد بذلك مقدار الوقود الذي تحتاج اليه العضلات . وغيرها يؤثر في الطحال فيقذف في مجرى الدم عدداً اضافياً من السكريات المحرقة لان الحاجة اليها كبيرة في التنفس العميق السريع — وهي نافلات الاكسجين كما لا يخفى . وفي الوقت نفسه ترخي الاعصاب عضلات الشعبيات في الرئتين حتى تتسع مسالك



الهواء منها واليهما . وتؤثر اعصاب اخرى في عضلات الحجاب الحاجز فيعمق التنفس . ولما كانت الحركة تقتضي الحرارة فيجب حفظها في داخل الجسم بدلاً من اشعاعها الى خارج الجسم . ولذلك تؤثر الاعصاب في عضلات الجلد المبسوطة فتنبض لتدفع بالدم من الخارج الى الداخل فيقف الشعر . واخيراً يلاحظ ان الدم في هذه الحالة يكون اقرب الى التخثر عند تعرضه للهواء منه في الاحوال العادية وذلك لمنع الموت زرقاً

وقد بحث الدكتور ولتر كانون Cannon هذا النظام فوجده كيميائياً . فقد وجد ان اطراف الاعصاب تفرز مادة دعاها الدكتور كانون «سمباتين» Sympathin وهذه المادة تؤثر في العضلات على وجوه شتى مرّ بنا وصفها . ثم ان غدتى الكظرين (adrenals) خاضعتان لتأثير السمباتين ففرزتا الادرينالين وهو مادة تؤثر في القلب والاوعية الدموية والشعبيات والكبد والطحال . وقد أثبت الدكتور كانون هذه الحقيقة بقطعه اطراف الاعصاب ثم تحريك الكظرين لافراز الادرينالين فوجد ان وجوه التغير التي حدثت في الاعضاء المتقدمة الذكر قد حدثت فعلاً . ثم استأصل الكظرين وأبقى أطراف الاعصاب على حالتها الطبيعية فوجد ان الاعصاب تستطيع ان تحدث التغيرات المتقدمة الذكر . ويلوح ان التأثير الاول للسمباتين الذي تفرزه اطراف الاعصاب في العضلات ثم يؤيده افراز الادرينالين الذي يتصل بالعضلات عن طريق الدم ويدلُّ بحث السرهنري دايل على ان هناك افرازاً آخر —acetylcholine—

من شأنه ان يحدث إرخاء وانسائطاً حيث يحدث السمباتين شدةً وانقباضاً . فالسمباتين يسرع نبض القلب والاسينلوكولين يبطئه . ولكن المهم من ناحية نظرنا في هذا الفعل ان جميع افعال القبض والبسط تنشأ عن مواد كيميائية معينة تطلقها الاعصاب متأثرة بأحوال شعورنا وانفعالاتنا وهي تطلق هذه المواد من تلقاء نفسها . ففي وسع الانسان ان يمتنع عن صفع رجل أهانه ولكنه لا يستطيع ان يفرض ارادته على الجهاز العصبي الودي (السمبتي اوي) فيمنعه من افراز السمباتين في شتى العضلات . وكل رسالة عصبية يتلقاها الانسان من محيطه مما سيهدد سلامته او يثير غرضه تؤثر في الاعصاب فتطلق من تلقاء نفسها افرازها في العضلات . وليس للعقل تأثير في ردع أطراف الاعصاب عن اطلاق افرازها ولكن العقل الواعي يمنع بالاجمال الانسان المتحضر عن الانقياد الى العمل متأثراً بهذه الافرازات لأن الارتقاء الاجتماعي انشأ طائفة من التقاليد والعادات والقوانين من شأنها تدريب الناس على كظم الغيظ والامتناع عن صفع الناس بوجه عام وهنا نجد مصيبة الانسان الحديث وسر الصلة بين الافعال والمرض . فطبيعة المشكلات التي يتعرض لها الانسان الحديث قد تغيرت عما كانت عليه مشكلات الانسان البدائي . ولكن النظام الفسيولوجي الذي نشأ في الجسم لمواجهة المشكلات في العصور البدائية لم يتغير ، فصاحب



المصرف الذي يفقد ثروته لا يستطيع ان يطلق العنان لافعاله بضرب أحد على الغالب . ولكن خوفه في الواقع من الادقاع من نوع الخوف الذي كان يساور الانسان البدائي عند مواجهته لوحش ثائر . أما الانسان البدائي فكان يقاتل او يفر متأثر بهذا التغير الحادث في جسمه ، وسواء أقاتل أم فر فإن إسراع نبضه والتبدل في تركيب دمه وزيادة السكر فيه وغير ذلك تحولات من شأنها ان تزيد قدرته على القتال او الفرار . ولكن جميع هذه التغيرات الجوهرية لا تجدي صاحب المصرف الغني الذي فقد ثروته شيئاً . انها تعده لعمل لا يتم . وتحشد انساج جسمه بمواد لا يحتاج اليها وتتركه وفي دمه افرازات تقبض العضلات أو تبسطها فتحرفها عن فعلها السوي ، فيفضي ذلك الى نضال داخلي ، يكتنه ، ولكن كبتة لا يعني بوجه من الوجوه ان النضال قد زال او انه لا يضر . بل على الضد من ذلك ان تأثير الهم يزداد بازدياد شعورنا به ومن المحتمل ان يختلف تأثير اعباء الحياة ومتاعها في احدنا عن الآخر باختلاف البيئة والوراثة والنشأة . وقد اشار الى هذه الناحية الدكتور ليون شاوول ( Leon Saul ) احد اعلام معهد شيكاغو للتحليل النفسي فقال انه قد يسمح لطفل ما ان يعرب عما يغضبه بحرية تامة بينما يكبت الآخر . فاذا شباً وتقدماً الى الكهولة فأحدهما يثور اذا غضب ويعرب عن ثورته هذه بالصياح مثلاً بينما يكتم الآخر غضبه فيصاب بصداع . وقد يدل طفل فيشعر بضيقه عند ما تواجهه الحياة بما تقتضيه من النضال والتطاحن والعنف فتظهر عليه اعراض اصابة لا يمكن ان تعزى جميع اسبابها الى حالة عضوية مجردة . ورجل الاعمال الذي نشأ على كبت ما يتوق اليه من حياة هادئة آياتها الحب المتبادل والعناية بأهله وشملهم بعطفه وحمايته ، يميل به هذا النضال الداخلي الى ظهور قرحة في المعدة . ومثله رجل من رجال الاعمال دمث الاخلاق انيس المعشر تربى على كبت ما يثيره فيبدو تأثير ذلك في رفع ضغط دمه

والعلاج النفسي الممثل في ما تقدم من فقرات هذا المقال يتفاوت تفاوتاً كبيراً من اساليب التحليل النفسي الى مجرد نقل المريض من عمل غير ملائم الى عمل ملائم . وقد روى الدكتور ولتر الفاريز كيف شفى مصاباً بقيء مزمن بذهابه بنفسه الى جابي الضرائب وتسديد مبلغ ثمانين قرشاً كانت مستحقة على المريض وهو عاجز عن توفيتها . فالطبيب الحكيم يتناول علّة العليل من جميع نواحيها فقد يستعمل العقاقير او يعمد الى الجراحة او الايحاء او التحليل النفسي او الملاءمة الاجتماعية فشعاره يجب ان يكون قول الدكتور كانر (ان الطبيب لا يعالج قلوباً وراثات وامعاء وكلى فقط . وطلاب الطب يعملون الآن أن الواجب عليهم ان لا يكتفوا بمعالجة العضو المصاب بل الشخص المصاب) . وعندئذ يتضح ان التفريق بين العضوي والوظيفي في المرض — على رأي الدكتور ستانلي كوب — انما هو تفريق سطحي



على ذكر معهد الصحراء وبيت الحكمة

## رهين المحبسين

لإسماعيل مظهر

الصحراء مَحْبَسُهُ الأول ، والنسيان مَحْبَسُهُ الثاني ، فيا لها من مَحْبَسَيْنِ ، الذكريات  
فيهما نَافِيقَةٌ ، والآمال مَقْمُوعَةٌ ، والحَيالات رَهْنُ القيود والَاغْلَال . هناك على حافة  
الصحراء يقوم ذلك الجِيار الذي يتم بَجْروتِهِ وهَيْبَتِهِ على عَظَمِ العقل الذي فكر في انشائه ،  
والهمة القعساء التي أُنْبِتَتْ في عَدَمِ الصحراء وهمودها ليضرب الطَّخَّارِيرُ برأسه المَهْجُوبِ ، وكأنَّهُ  
الحقَّ في ثباتِهِ وقوتِهِ ، أو رمز الابد في لانهايته . ولكنَّهُ الحق الذي لا ناصر لَهُ ، شأن  
الحق في جميع الازمان ، أو الأبد الذي يلقف الاوائل والاواخر ، فإذا انظروا في غيابه  
فلا ذكر ولا ذاكر

اللهم غفراً . هذا مثال الجبروت ، وعنوان الملك والملكوت ، تتساب عليه الصحراء  
انسياب النهر الدافق فتسقى من حوله الرمال ، وينقُصُ عليه النسيان انقضاء  
الموت فيمحوهُ من الفكر ، ويطمسه انطاس الاثر الزائل والطلل الدَّارِس ، وهو بعد  
جاثم بكل عَظَمَتِهِ على صدر الصحراء كأنَّهُ امرأة مهجورة . أمّا نجوم الليل ، فدموعها  
استحات ناراً

أي شيء جعل النسيان بأسره ذلك الأسر ؟ لا شيء : إلا موت العاقل ، وذهاب العاقل .  
وأي شيء جعل الزمن ينتصر عليه ذلك النصر الحاسم ، فيتركه للصحراء تستقوى عليه استقواء  
الخراب على الفقر ، وتتفكر له تنكُّر العدم للوجود ؟ لا شيء : إلا مشيئة الزمن في أن  
يموت الراعي ، فينضب الغدير على الحُمَّلَان

السكون أنيسه ، والرياح المتناوحة صديقه وجليسه . لا أثر هناك للحياة إلا بضع شجيرات  
في أبيض تغالب جفاف الصحراء طلباً للبقاء وأنات حزينه تبعثها بومات هناك ، اتخذن



من شرفات ذلك المطرَح المشمخر مندباً تدب منهُ الاحياء، اي هلُمنُ فائتاً أبر منكم بمشائتكم  
وأذكر منكم لمؤسساتكم، وقد تركتموها للتراب، ثم للخراب

\*\*\*

كنا صديقين جمعنا وحدة الميول ووحدة الفكر . أتسنا يوماً بالصحراء فلذنا بصدرها  
الحنون، نستودعه بعض آلامنا، وقليلاً من آمالنا، وما زلنا لضرب فيها حتى التقينا بمعهد  
الصحراء يطال علينا من سماء اربعمائة وألف من السنين بعمدانه وشرقاته ونوافذه العربية  
الاصيلة، فكأنه قطعة من قصر غمدان، او نسخة مصغرة من حراء الاندلس. ولكن أين  
الباب؟ ها هو، غير أنه موصد بألواح رثة من الخشب. وأين النوافذ؟ ها هي، غير انها مغلقة  
وأين السكان؟ كلاً. لا إنس هناك ولا جان

تسلقت وصديقي الواحاً من الخشب نسيها هنالك المشيد البناء، حتى وصلنا الباب، فأية  
عظمة صامته تتكلم، وأية أحجار هناك تناحيك بما درس وزال من فكرة أقامت ذلك الأثر  
حيث أقام. عن يمينك تلك الشجيرات، وعن يسارك مقعد من الخشب وحصير وجوالق خلق  
يتخذ منها حارس المعهد وثاراً وذناراً. ولكن أين الحارس؟ لقد لاذ بمدينة الاحياء، ناعياً  
الصحراء ومعهد الصحراء

أنبت ذلك المعهد كما تنبت زهور اليبس، اذ هي في رمضاء الصيف، هباء، وفي زمهرير  
الشتاء رواء؟ أخرج ذلك القصر الشامخ خروج الطفيليات؟ أم أنه سوف يقتلع اقتلاع  
الطفيل في بيئة لا تلائمه؟

\*\*\*

قال صديقي: كلاً أنسيت ان المغفور له ملكنا فؤاداً الأول، عليه من الله الرحمة،  
هو صاحب الفكرة في اقامة هذا المعهد ليكون للصحراء مدرساً، يقيم فيه علماء مؤلفون يدرسون  
صحاري مصر وما فيها من خيرات بحناً علمياً عملياً، قد يكون منه لهذه البلاد خير عظيم ونفع  
عظيم؟ ألا تجد أن المصريين يجهلون من ارض بلادهم، وأربعة أخماسها صحراء، ما يعلم أهل الغرب  
منها؟ أنسيت ان عاهلنا الراحل العظيم قد خلف ذلك الأثر غير كامل لما ان لبي نداء ربه الى  
دار النعيم، فظل كما كان يوم ان أسلم عاهلنا الروح، سلمه ألواح رثة من الخشب، وسكانه  
بومات تنوح، ولذا حارسه بمدينة الأحياء، لئلا ينسى كما نسي ذلك الجبار العجراوي العظيم؟





صورتان لمعهد الصحراء بمصر الجديدة



قلت : وهذا هو المعهد : فأين العالم ؟ وهذه هي الصحراء : فأين الباحث ؟ وهذه هي مصر :  
فأين ذهبها وأين رجالها ينفذون المعهد والفكرة من النسيان ، ومن رمال الصحراء ، ان تطمس عليها ؟  
قلت : كلاً : إن ملكنا فؤاداً العظيم لم يمت . فقد أخلف علينا من عقله ومن عظيمته خليفته  
الفاروق ، وأضفى علينا من همته ما يضيف العطاء على الأمم بما يعقبون  
ولئن نسي جميع الناس فلن ينسى جلالة فاروقينا أن المغفور له والدّه العظيم ، قد أقام  
هذا المعهد بمحض فكره ، كما أقام غيره من المعاهد ليحصن مصر بالعلم ويعودّ ذها بالعلماء ، لتضرب  
في آفاق الحضارة كما ضربت من قبل ذلك خلال القرون ، وما أشك في أن جلالة ملكنا  
العظيم ، إذا عرف اليوم ان معهد الصحراء قد أصبح نسياً منسياً في عصر يزدهر بأيادي البيض  
وابتامه الزهر ، فان ذلك كفيل بأن يكون فاتحة حياة جديدة يختتم بها ذلك المعهد عهد النسيان  
يا مولاي

أودّ ان أتقدم على ضعفي الى سدتك العلية بكلمات من حقي ، وانا محصّن برعايتك محوّط  
بمنايتك التي هي من حق كل مصري على جلالتك ، أن لا تكون براء مقصودة الاطراف  
منتقصة النواحي ملغوزة المعاني . هذا المعهد الذي أنشأه عاهلنا العظيم جلالة والدك ، لا ينبغي  
ان يظل في عهدك الزاهر ، لغواً في لغة الحياة التي بعثها في هذه البلاد وترسمت في بعثها خطى  
المغفور له والدك . ولئن كان الناس قد نسوا ، فأخلق بجلالتك ان تذكر

ولئن كانت الصحراء سوف تغمر بمعهدا الذي لا أشك في أن جلالتك ستبعث فيه  
الحياة بعد الموت ، فاني الى جانب ذلك أعود بالذكريات إلى العصر العباسي ، ذلك العصر الزاهر  
في تاريخ حياة العرب والعربية ، وإلى عصر الخليفة المأمون الذي أسس « بيت الحكمة » في  
بغداد ليكون مستقراً لعلماء ينقلون فيه حكمة اليونان إلى العربية ، فأسسوا بذلك ملكاً من  
العلم لم يطاوله في العصر العباسي من حيث الأثر إلا عظمة المأمون

ومعهد الصحراء يا مولاي عظيم متسع الارحاء اتسع العقل الخالد الذي فكّر في انشائه ،  
فهل نطمع في أن يضم اليه بضعة علماء يقفون جهودهم على ترجمة علوم اوربا إلى اللغة العربية ؟  
وفي مصر يا مولاي علماء أقعدهم النسيان عن العمل ، ومنعهم الخجل عن السؤال ، وعز عليهم أن  
يهينوا العلم باستجداء العطف . انطمع يا مولاي أن تفيض عليهم من فضلك الواسع ما يسد  
حاجتهم من حطام الدنيا ، ليكونوا نواة لبيت الحكمة في عهدك ، فيتركوا للأجيال القادمة آثاراً  
لا يبرؤها من حيث الأثر في العالم العربي إلا عظمتك ، ولا يفوقها في الجلالة إلا جلالتك ؟



# تأسيس القاهرة

والاحتفال بانقضاء ألف سنة عليه

حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفي باشا

للقاهرة المعزية ، عاصمة بلادنا المصرية ، تاريخٌ حافلٌ يحق لها ان تزهو به بين أعظم المدن والعواصم ، سواء في الشرق او في الغرب . فهي اليوم تبلغ الف عام كاملة من عمرها ، اذا احتسبنا هذا العمر من تاريخ انشائها ، وهو شهر شعبان سنة ٣٥٨ هجرية . وقلّ ان نجد بين أمصار التاريخ العظيمة حاضرة كالقاهرة المعزية بلغت هذا العمر الطويل ، وهي ما تزال محتفظة بشبابها ونضرتها وبهائها . او حاضرة تضم مثل هذا التراث الأثري الباهر ، وهذه الثروة الفنية العظيمة التي تضمها مدينة القاهرة

ولم تكن القاهرة في خلال هذه الاحقاب الطويلة التي قطعها ، عاصمة الديار المصرية وحدها . ولكنها كانت منذ قيامها تتمتع في العالم الاسلامي بمقام أدبي خاص . فقد بدأت حياتها مركزاً للخلافة اسلامية ، هي الخلافة الفاطمية . ثم كانت حاضرة لدول السلاطين المصرية الزاهرة . ولما انهار صرح الخلافة العباسية في بغداد على يد التتار في سنة ٦٥٦ هـ ( سنة ١٢٥٨ م ) تبوأَت القاهرة زعامة الاسلام كله وغدت حاضرة العالم الاسلامي . وغدت بجامعها الازهر ومعاهدها ، ومدارسها الجليلة ، مركز التفكير الاسلامي والمدنية الاسلامية عصوراً وعصوراً

ومن بواعث القبطة ان تعود مصر اليوم فتسترد مكانتها التاريخية القديمة بين الأمم الاسلامية الحقيقية وان تعود فتعمل لتأدية رسالتها التاريخية والادبية والثقافية ، وان تعود القاهرة المعزية فتعدو بأزهرها وجامعتها و متاحفها ومعاهدها العلمية العديدة حاضرة الثقافة العربية والتفكير الاسلامي وقد كان طبيعياً ان تستقبل مصر شعباً وحكومة بلوغ قاهرتهما الف عام من عمرها بكثير من الاهتمام والتقدير ، وان تستعد للاحتفال بهذا العيد القومي الجليل احتفالاً يليق بعظمته ومنزله التاريخية . وقد ألفت بالفعل لجنة حكومية لتعنى بوضع برنامج هذا الاحتفال . ولكن تأليفها جاء ، مع الأسف ، متأخراً عن أوانه ، مما اقتضى ان يصرف النظر عن احتساب عمر القاهرة الألفي من تاريخ انشائها ، وهو العرف المتبع في مثل هذه المناسبات . ولو احتسبناه من ذلك التاريخ اعني منذ ذلك شهر شعبان سنة ٣٥٨ هـ . فان القاهرة تم ألف عام من عمرها في



شعبان سنة ١٣٥٨ هـ الموافق لاكتوبر سنة ١٩٣٩ . ولكن اللجنة عدلت عن الاخذ بهذا التاريخ نظراً لضيق الوقت ، وحددت يناير سنة ١٩٤٣ موعداً للاحتفال بهذا العيد ، ليكون لديها متسعٌ من الوقت ، وليُستاح لها بذلك ان توفّق بين بعض الاعمال والمناسبات ، التي رأت ان يتكوّن منها برنامج الاحتفال

وهذا هو بالذات ما يجعلني أتحدّث منذ اليوم<sup>(١)</sup> في موضوع العيد الالفي . فأني اريد ان تتخذ فترة الاعوام الثلاثة الباقية بيننا وبين احيائه ، فرصة للقيام ببعض الاعمال والاصلاحات الهامة التي سأتكلم عنها والتي يستغرق تنفيذها بعض الوقت . ولهذا أردت ان انبّه الأذهان منذ الآن الى وجوب الانتفاع بهذه الفترة للقيام بهذه الاصلاحات ، وان اوجّه قبل كل شيء نظر ولاية الامور الى العناية بهذه المسألة الخطيرة . واذا كان من دواعي الأسف أن تكون الحوادث الدولية الحاضرة قد شغلت الأذهان وصرفتها عن الاهتمام بكثير من المسائل والشئون الداخلية فالتا زجوج مع ذلك أن يبقى ولاية الامر على عنايتهم بالاستعداد لاهياء هذه الذكرى القومية الجليلة بكل ما وسعوا من جهد وبكل ما تسمح به الاحوال من الروعة والبهاء على أني لست أقصد بذلك ان يتخذ عيد القاهرة الالفي مناسبة لاقامة المواكب والزينات العظيمة دون غيرها . وان كان من الطبيعي ان يكون مناسبة لتنظيم طائفة من الاحتفالات والمظاهر القومية والاجتماعية الرائعة . والتي يجب مع هذا ان تحتفظ بطابع من الرزانة والوقار ، وان تصان من كل اغراق وتبذّل . ولكني أقصد بنوع خاص ان يكون هذا العيد مناسبة تثير غيرة السلطات للاهتمام بأمر المدينة المحتقن بعبيدها ، وان تكون ذا أثر حقيقي ثابت في مجملها وتحسين خططها وإحياء ما درس من آثارها

ويحسن بي بهذه المناسبة أن أشير قبل كل شيء الى مسألة هامة تتعلق بمصير العاصمة ومصير ثروتها الاثرية والفنية . فلقد طغت المباني الحديثة عليها في العهد الاخير طغياناً شديداً . كاد يُفقدوا كل صبغة شرقية . ولو استمر الامر على ذلك عشرين عاماً اخرى ، لانهت القاهرة بفقد هذه الصبغة التاريخية الجليلة . وفقدت كل ما تسبغ عليها من سحر وجمال فني . وغدت مدينة غريبة من الطراز الثالث او الرابع . ولم يعمل ولاية الامور الى الآن للأسف شيئاً لوقف هذا التيار الخطر الجارف ، فاذا لم يكن ثمة مناص من وقوع هذا الشر ، لارتفاع اثمان الأراضي ، وما تقتضيه المدينة الحديثة ورفاهة العيش ، فانه يجب على الاقل ان نعمل لمنع هذا الشر بقدر الامكان ، وذلك بأن توضع سياسة ثابتة لتخطيط المدينة ، وان يصدر تشريع عاجل ، يفرض القيود اللازمة على هذه المباني الحديثة ويحدد مساحاتها وارتفاعاتها في بعض المناطق ، التي

(١) أذيع هذا الحديث النفيس من محطة القاهرة مساء ٢٠ ديسمبر ١٩٣٩



تقتضي المحافظة على جمالها وطرارها هذا التحديد . وقد أعد بالفعل مشروع القانون الخاص بهذه المسألة منذ زمن غير قصير ، ولكنه أودع في درج من ادراج بعض الوزارات . ويجب ان نعني بنوع خاص بالمحافظة على الآثار الاسلامية التاريخية ومظهرها الفني وان نحرص بقدر الامكان على عدم تشويه الأحياء الأثرية ، بحجة شق الشوارع او توسيعها ، كما حدث مثلاً عند انشاء شارع الازهر وما زال نذكر الضجة التي أثارها بحق يومئذ هذا النوع من التخريب الأثري بين محبي الآثار الاسلامية والحريصين على سلامتها

ولاشك في ان عيد القاهرة الألفي فرصة طيبة للعمل على احياء معالم القاهرة وكنوزها الأثرية . ولعل أجدر هذه الآثار بالعناية هي آثار المدينة الفاطمية القديمة التي نعمل للاحتفاء بعندها الألفي ، والتي ما زالت تمثل حتى الآن في قلب القاهرة بكل معالمها وحدودها القديمة . وفي مقدمة هذه الآثار السور الفاطمي الكبير الذي يمتد بين باب النصر وباب الفتوح ثم يمتد بعد ذلك غرباً حتى شارع الأمير فاروق ، وقد كان فيما مضى حد المدينة الفاطمية من الشمال . فهذا الأثر الضخم الذي لا يزال يحمل مسحة من روعته القديمة ، يكاد يختفي اليوم بين اكاداس من الأبنية والحرائب الحفيرة التي تغمره فتشوه منظره وتخلع عليه مسحة من الزرارية ، وتحجب قيمته الأثرية العظيمة . ولقد زرت هذا الأثر أخيراً برفقة السير روبرت كريج عضو لجنة حفظ الآثار العربية ، وهو من عشاق الآثار الاسلامية ، والأستاذ محمود أحمد مدير ادارة حفظ الآثار العربية ، الذي تدن له آثارنا الاسلامية بكثير من أعمال الاصلاح والصيانة القيمة ، ولا يسعني الا أن أشير هنا الى الألم الذي شعرت به ، ويشعر به كل مصري حينما يرى هذا الأثر الفاطمي الجليل ، تحجبه المناظر الكريهة من كل صوب وحينما يرى ما يسود هذا الحي كله من مظاهر العفاء والفقر مما يؤدي انظار الرواد ويصرفهم عن زيارته

ومن أغرب ما رأيت مجموعة من الحرائب المهجورة بجوار باب النصر من الجنوب الشرقي وواوور طحين بجواره من الشمال الغربي ، تلتصق مدخته بالسور ذاته ، وكلاهما اي الحرائب والواوور ملك لوزارة الاوقاف ، وهي لا تحصل منها على ايراد مطلقاً ، ومع ذلك فهي تحتفظ بها وتشارك بذلك مع المشتركين في تشويه هذا الأثر النفيس

فهذه المناظر المؤلمة تحمل على كثير من الأسف ، والتفكير في مصير آثارنا ، وتحملني على ان انتهز هذه الفرصة لأهيب بولاة الأمر أن يتداركوا هذه المسألة بحكمتهم ، وأن يبادروا بالعمل على احياء هذا الأثر الفاطمي العظيم ، وكشفه للعيان بازالة الأبنية والحرائب اللاصقة به ، منذ بدايته الى نهايته ، أي من باب النصر غرباً حتى شارع الأمير فاروق وهي مسافة لا تتجاوز الكيلومتر . ويحسن ان تُسهد الطريق مما يليه من الناحية البحرية حتى نهايته أعني الى شارع



الامير فاروق . ويجب ان تشمل عملية التطهير هذا الحي كله فتزال المقابر القليلة المجاورة لباب النصر ، وجميع الأبنية والحرائب المحيطة بالسور من الجانبين ، ويغرس مكانها شريطان من الحدائق العامة ، يكون السور في وسطهما . وبهذا تتحول هذه المنطقة الخربة الموحشة الى بسيط جميل أخضر يجلب الهواء والشمس والنور الى سكان هذه المنطقة المستنزة التي تشغل قسماً كبيراً من أحياء باب الفتوح والحسينية والخليج المصري ، والتي حرمت من الحدائق العامة ، ونكون بذلك قد عملنا أولاً على احياء هذا الأثر الفاطمي العظيم ، واطهاره للعيان في أروع مظهره بما يتفق مع عظمة ماضيه ومنزلته الاثرية . وثانياً على تحقيق اصلاح اجتماعي وصحي ذي شأن ، فان هذه المنازل والحرائب العتيقة التي يعمرها عشرات الالوف من السكان جميعها لا تصلح للسكن وهي على الضد من ذلك مواطن للأمراض والجرائم الخطرة التي يجب العمل على ابادتها . وهذه أعمال تدخل جميعها في صميم أي برنامج اصلاحى ، وهي بما يتضمنه برنامج الوزارة الحالية . ومن طبعها أنه يمكن القيام بها في زمن الحرب . بل لقد أصبح من الواجب بعد ان وقفت جميع اعمال البناء وتعطل شأن الالوف من العمال ، ان تعمل الحكومة من جانبها شيئاً لتخفيف هذه الأزمة ، والقيام بهذه المشروعات الاصلاحية خير وسيلة لتحقيق هذه الغاية

وفي ظني ان هذا المشروع لا يقتضي كثيراً من النفقات اذا ذكرنا ان الحكومة تستطيع بعد نزع ملكية الأبنية المجاورة للسور ، ان تبيع الاراضي الزائدة عن الحاجة . ومن جهة أخرى فأمامي تقدير تقريبي لنفقات المشروع وضعه بعض الخبراء المختصين وهو لا يزيد على خمسة وعشرين ألف جنيه . ومن الغريب ان مشروعاً كهذا قد بحث منذ سنة ١٩٢٠ ، وصدر به بالفعل مرسوم ملكي . ولكن لم تتخذ في سبيل تنفيذه الى الآن أية خطوة عملية . فالآن وقد اقترب عيد القاهرة الألفى ، فان تنفيذه يفدو ضرورة عاجلة . ومن الواجب ان يبدأ العمل فيه منذ الآن ، حتى اذا حل موعد الاحتفال الالفى تحقق ما ننشده للأثر الفاطمي ، والاحياء المحيطة به ، من إحياء وتجديد واصلاح

ولما كان جامع الحاكم بأمر الله ، وهو أقدم مساجد القاهرة المعزية بعد الجامع الازهر يقع بجوار السور الفاطمي مما يلي باب الفتوح ، وقد غدا اليوم اطلالاً دارسة ، ولم تبق منه سوى منارتيه وبعض جدرانها ، فإنه يجب أيضاً ان تتدارك هذه البقية الباقية منه بالاصلاح ، قبل ان يأتي عليها الخراب التام

واذا كانت الآثار الفاطمية ، وهي آثار الدولة المصرية العظيمة التي قامت بانشاء القاهرة وشيدت صروح عظمتها المستقبلية ، هي أول ما تجب العناية به ، لمناسبة الاحتفال بعيد القاهرة الألفى ، فإنه يجب ان تكون هذه المناسبة أيضاً فرصة للعناية بآثار القاهرة الأثرية بوجه عام .



ولاشك في ان لجنة حفظ الآثار العربية وغيرها من السلطات ذات الشأن تقوم في هذا السبيل بجهود مشكورة . ولكنها في الواقع دون ما يجب للعمل على صون هذا التراث الفني الباهر ، وذلك لقلة الاموال المخصصة لهذه الغاية ، فهي لا تتجاوز في الواقع عشرين الف جنيه في السنة . ولذا رأينا بعض المشروعات الاصلاحية يبدأ بها ثم تتقف في منتصف الطريق . فجامع ابن طولون مثلاً وهو من أجل آثار العاصمة ، فقد عني بكشف واجهته البحرية ، وبعض واجهته البحرية الغربية ، ولكن أهمل صحنه ومنارته كما أهملت واجهته القبليّة والشرقية ، وما زال يحيط به من هذين الجانبين طائفة من الأبنية والخرائب التي يجب إزالتها وكشف الجوانب التي تحجبها على نحو ماتمّ بالواجهة البحرية ، حتى يبدو هذا الجامع الفخم بكامل روعته وجلاله

وجامع السلطان حسن وهو أيضاً من أعظم مساجد القاهرة ، مع ما بذل للعناية به واصلاحه وإحاطته من الناحية الغربية برقعة من الخضرة قد ترك مهملًا من الناحية القبليّة ، وترك بعض اطلاله من هذه الناحية على حالها . هذا فضلاً عن أنه يوجد في الشارع المحاذي له من الناحية القبليّة أثر نفيس قد أهمل اهتالاً تاماً ، وهو بقايا قصر يشبّه الذي يرجع الى القرن الخامس عشر الميلادي ، والذي توجد منه واجهته البحرية كلها ، وفيها بوابته الكبرى وبعض جدرانه الداخلية . فهذا الاثر الذي يواجه الجامع من الناحية القبليّة قد ترك اطلاقاً دارسة . وحولت واجهته الاثرية الى صف من الحوائت التي يحتلها بعض الحدادين وصغار الصناع ، مما يعرض هذه البقايا الاثرية الى الزوال ، ويسبغ على واجهة الجامع القبليّة منظرًا كئيلاً . فهذا أيضاً مما يجب المبادرة الى اصلاحه وحيائه

هذه أمثلة قليلة ظاهرة نضربها أمثلة على ما يجب عمله لابرار مدينة القاهرة وصوروحها الاثرية النفيسة ، في المظهر الجدير بماضيها العظيم من جمال المنظر وحسن الذوق والروعة الفنية ، وهناك أمثلة عديدة أخرى تحتاج الى مثل هذه العناية ولا يتسع المقام لذكرها وخلاصة القول أن عيد القاهرة الألفي يجب ان يكون مناسبة طيبة لمضاعفة الجهود في سبيل اصلاح العاصمة وتجديدها وتجميلها وألا نضنّ في هذا السبيل ، بكل ما يمكن انفاقه من المال . وان تتناول هذه الحركة الاصلاحية ، سائر النواحي والمرافق ، الاثرية والعمرانية والصحية ، بحيث يندو هذا العيد القومي فاتحة عهد جديد حقاً في تقدم العاصمة وتجميلها ، ويكون له الأثر الفعّال في تحقيق هذه الغاية : فلا تنقضي اعوام حتى تطهر العاصمة من هذه الركام والخرائب والانقاض التي تتخلل كثيراً من معالمها وحياتها الاثرية كما يجب ان تطهر في نفس الوقت من أثر التسول والتشرد وغيرها من المناظر الاجتماعية المؤذية . وبذلك تبدو عاصمة البلاد في حلة اكثر جمالاً ورواء



وإذا كنا نرجو ان يكون البرنامج الذي تضعه اللجنة المختصة لحياء عيد القاهرة الالفى حقاً لأعظم مظاهر الروعة والبهجة فانا نرجو من جهة اخرى ان يعنى هذا البرنامج بالناحية التاريخية والأدبية ، فيتضمن العمل على نشر أهم الآثار التاريخية المتعلقة بتاريخ القاهرة ومعالمها وآثارها في طبقات شعبية حديثة وان يكون في مقدمة هذه الآثار كتاب المقرري في الخطط ومن الأسف ان هذا الأثر الجليل لم تصدر منه الى اليوم طبعة شعبية محققة أو خلاصة مختارة تقربه الى جمهور المتعلمين وطلبة المدارس مع انه من أنفس الآثار في تاريخ مصر الاسلامية وتاريخ القاهرة في العصور الوسطى . كذلك يجب ان يعنى بوضع تاريخ الفى جامع لمدينة القاهرة ومعالمها الأثرية ، وان توضع لها خرائط أثرية تمثلها في عصورها المختلفة بالاعتماد على الوثائق التاريخية المحققة وهو ما لم نعن به حتى الآن . فليس لدينا في الواقع أية خرائط أثرية وثيقة لمصر الاسلامية ومدينة القاهرة ، سوى مجموعة الخرائط والرسوم التي وضعها علماء الحملة الفرنسية في فاتحة القرن الماضي

\*\*\*

هذا ولعل هذه الخواطر والملاحظات التي أثارها في نفسي ، حديث عيد القاهرة الالفى والتي تخطر بالارب لكل مصري يعز بعظمة الحاضرة المصرية ، وتاريخها الحافل ويرى في القاهرة المعزية مثلاً حياً لعبقريّة مصر الاسلامية ، تلقى من لجنة العيد الالفى ومن ولاية الأمر كل ما تستحق من العناية والاهتمام

بل إني لمتفائل من هذه الناحية . فان ما اعربت عنه من الاماني الاصلاحية بالنسبة لمدينة القاهرة وكنوزها الأثرية ، يتفق تمام الاتفاق مع البرنامج الانشائي والاصلاح الذي وضعت وزارة رفعة علي ماهر بأشا الحالية ووعدت بالعمل على تحقيقه . واعمال الاصلاح الاجتماعي مثل انشاء المساكن الصحية ، وازالة المساكن الضارة وغرس الحدائق في الاحياء الفقيرة المكتظة ، والعمل على تجميل العاصمة والعناية بالآثار الاسلامية وغيرها مما اشرت اليه ، جميعها داخلة في هذا البرنامج وليست اشك في ان الوزارة ستبذل كل ما في وسعها للعمل على تحقيقه ولا يسعني في الختام ، إلا أن أنوه في هذا المقام بما كان للعففور له الملك فؤاد الاول في ذلك كله من فضل سابغ ، وما كان له بالأخص من ماثر جليلة في العناية بتجميل العاصمة واصلاح الآثار الاسلامية . وان ما يبدو اليوم من عناية صاحب الجلالة الملك فاروق — حفظه الله — بهذه النهضة الاصلاحية ورعايتها والاخذ بيدها ، لما يبشرنا بأن البلاد ستشهد في ظل جلالته عهد اصلاح شامل ، وان القاهرة المعزية والآثار الاسلامية ستشهد عهداً زاهراً من التجديد والاحياء



## تايس الجديدة

« ليلة أول اغسطس على شاطئ بحيرة »  
« زبور يخ في عيد سويسرا الوطني الاكبر »

أنا المقيمُ لديك أم شبحي  
يا حانة الأرواح ما صنعت  
ما للسماء أديمها لُبَّ  
ولم البحيرة مثما سَجرت  
نارٌ تطير وموكب صخب  
لولا ابتسامة جارتِي وفم  
لحسبشها (روما) تمورُ لظي  
شدتْ براحتها على كتفي  
وشدا المغنّي فاحتشدت لها  
زهوٌ تملّكني فأذهلني  
ياربّ صنّعك كله فتن  
هذي الروائع أنت خالقها  
(تايس) لم تعبتْ براهبها  
ما بين اسرار مغلقة  
عرض الجمال له فأكبره  
أرى معاقبي على قدر  
إني عبدُك في جنى شفة  
ولو استطعتُ جعلت مسبحتي

آعبتْ برأسي نشوة الفرح  
بالروح فيك صُباية القدح  
الفجر؟ إن الفجر لم يلح  
أو فجّرت من عرق منذب  
من كل ساهي اللحظ منسرح  
يدنو اليّ بصدر منسرح  
في قهقهات الآثم المرح  
فجذبته بذراع مُجترح  
كم للغناء لديّ من منح  
ومن الذهول طرائف الملح  
أين الفرار وكيف مطرّحي؟  
ما بين منجرد ومتشّح  
لكنه أشفى على البُرح  
وطروق باب غير منفتح  
ورآك فيه، فجئن من فرح  
لو شئت لم يسكتب ولم يُستح  
ويدر، ووجه مشرق الوضح  
تمرّ النهود، وجل في السّبح



# أينبغي أن نشيخ

مباحث مريبة في موضوع فطر  
تميط اللثام قليلاً عن أسرار الخلود العضوي

هل الشيخوخة امر طبيعي لا ندحة عنه ولا مفر منه ؟  
سؤال يهم كل قارئ من قراء المقتطف وكل كاتب من كتابه ولا ريب ، من ناحيته العلمية والعملية . وقد كان الرأي الغالب على علماء الكيمياء الحيوية ان الشيخوخة ملازمة لكيمياء المادة الحية التي تقوم بها جسم الانسان . ومع ذلك يذهب الاستاذ نيومن في مجلة « السينتك » اميركان الى ان هناك ادلة على ان الشيخوخة ليست ملازمة للحياة  
إن الشيخوخة لا تدرك جميع الاحياء . فالحوانات الاحادية الخلية كالبراميسيوم (النعليات : جمع فؤاد الاول للغة العربية ) والاميبا ( المتصورة : جمع فؤاد الاول للغة العربية ) لا تشيخان ولا تموتان اذا توافرت لها البيئة الضرورية لذلك . ودراسة البراميسيوم يعين المجهر المكبرة مدة طويلة تدل على انه يسمن ثم ينشط . نعم انه يخسر ذاتيته بالانشطار ولكنه لا يفقد شيئاً من حيويته به بل قد يزيد نشاطاً . وكل شطر من الشطرين يمضي في الطريق نفسه يسمن ثم ينشط . ويمضي في ذلك الى ما شاء الله . والواقع ان جزءاً من اول براميسيوم ظهر على الارض منطور في ثنايا البراميسيوم الذي راقبه الآن بالمجهر . فهو من الوجهة النظرية خالد لا يشيخ ولا يموت

ثم ان بعض الخلايا السرطانية خالدة . يأخذ الباحث مركباً كيميائياً عضوياً معيناً ( وهو احد مركبات متعددة<sup>(١)</sup> ) ويستعمله في إحداث السرطان في فأر ، وعند ما يموت الفأر تؤخذ شريحة من سرطانهِ وتزرع في فأر سليم فتتوحيه وتنتج ثم تنقل شريحة منه الى فأر ثالث وهكذا جراً الى ما شاء الله

ومن غريب ما يستوقف النظر في هذا الصدد ان الاصابة بالسرطان تكثر في اجسام المتقدمين في السن اي الشيوخ ، اي ان الخلايا السرطانية تنمو نمواً غريزاً في جسم ضعفت حيويته



وقل نموه أو وقف تماماً. وهذه مفارقة على ما يلوح ، فأى عامل من العوامل الحيوية أو الكيميائية يضبط خلايا الشيخ ويقيدها ولكنه لا يؤثر في خلايا النسيج السرطاني فيه فتمضي في نموها نمواً غزيراً ؟ في هذا السؤال ينطوي سرٌ عظيم يشغل اذهان العلماء الآن

تصاب الدجاجة كما يصاب الانسان بتأثير الشيخوخة فتموت بها ، اذا لم تمت بغيرها . ولكن الدكتور كاريل Carrel أثبت ان الزمن لا يؤثر في انساج فرخ صغير ، فلا تشيخ ولا تموت شيخوخة . وتجربته في هذا الموضوع أصبحت آية من آيات البحث العلمي الحيوي . فقد أخذ بيضة مضى أسبوع على تلقيحها ، وكسر قشرتها واستخرج من جنين الفرخ فيها قطعة من نسيج القلب . ونقلها متجنباً تلويثها بالجراثيم الى هلام مغذٍ خاص كان . قد أعدّه وجعل حرارته ٩٨ ر ٦ فارنهایت او ٣٧ مئوية . فما النسيج . ثم جعل يشطره مرة كل يومين فيبقى الشطر الواحد في وعائه مغيراً هلامه المغذي وينقل الثاني الى وعاء آخر فيه الهلام المغذي . ومضى في ذلك سنوات فظل نسيج القلب المنزّع من قلب جنين الفرخ حياً على الزمن لم يشخ ولا مات شيخوخة

واذا كان في وسع الباحث ان يثبت خلود النسيج الحي ، سواء أمن القلب زرع أم من غيره ، فلماذا لا يكون في وسعه ان يقيم الدليل على ان العضو الذي قوامه انساج مختلفة لا يشيخ كذلك ؟ والواقع ان طائفة من الباحثين استطاعت ان تنزع الغدتين الدرقيتين من الهررة والارانب وتزرعها في اوعية من الزجاج تحتوي على الهلام المغذي . ولكن العضو الكامل يحتاج الى اسلوب دقيق من العلاج ليبقى حياً ، لانه يقوم على وجهه بمعد بوظائف معينة لا بد منها للحياة . وقد كان الدكتور كاريل — بالاشتراك مع الطيار لنديرج — اول من وضع الاسلوب العلمي العملي الذي يتيح ذلك للباحثين . فقد صنعا « قلباً صناعياً » وهو في الحقيقة مضخة تدفع السائل المغذي المحمل بالاكسجين في عروق العضو المحفوظ في الوعاء . وبعد ما جرب كاريل هذا الاسلوب قال « ان الغدتين اللتين تغذيان بهذه الطريقة ( مضخة لنديرج ) تبقيان حيتين مدى اسابيع واذا اتقن الاسلوب المستعمل الآن وتوافرت جميع اسباب العناية فيجب ان يكون مدى حياة الاعضاء غير مقيّد بالزمان فيثبت أن الاعضاء نفسها خالدة على الزمن

واذا صح ان الانساج والاعضاء لا تشيخ فالذهن ينصرف بطبيعته المنطقية الى ان الجسم يجب ألا يشيخ اذا عرفنا كيف نقيه عوادي البيئة التي تحيط به . ولذلك يدعو الدكتور وليم مارياس Marias — وهو كالدكتور كاريل من اعلام الطب التجريبي — الى انشاء معهد كبير تتركز فيه جميع البحوث الخاصة باستكشاف اسرار الشيخوخة على الارض . وقد قال الدكتور كاريل في هذا المشروع « من المتعذر التمكن بنتائجه . ولكن يجب ان تذكر اننا لا نعرف مثلاً واحداً على بحث عن الحقيقة لم يحجز في النهاية »



ان مباحث العلماء في اسرار الشيخوخة تبين ، على قلة ما بينها من التنسيق ، ان الشيخوخة ليست ضرورة ملازمة للحياة ، بل ان الموت نفسه قد يستعمل وسيلة لاطالة الحياة . ومن هذا القليل ما يعرف عن العلماء الروس الذين استنبطوا اسلوباً طبيعياً جديداً لذلك . فهم يأخذون الانساج المختلفة كالدماغ ونسيج القرنية في العين ونسيج الجلد وغيرها ممن توفاهم الله بعيد وفاتهم ، فيحفظونها حية في ثلاث خاصة مدة اسبوعين ويستعملونها في خلال ذلك في عمليات جراحية عجبية فيزرعون القرنية المحفوظة مثلاً محل قرنية مؤوفة في عين رجل سليم ، ويصفقون دم مريض في حافة الى الدم بدم محفوظ في اناء خاص بدلاً من ان يأخذونه من عروق رجل قوي . وقد انقضى على معهد موسكو عشر سنوات الآن وعلماءه جارون على هذا الاسلوب في تصفيق الدم . وقد استعملوا انساج العيون المحفوظة في مئات من العمليات فردوا بها خمسين في المائة من اصحابها وهم يبصرون بعد ما قطع الامل من ابصارهم . وما يصح على الدم والعين يصح على الجلد . ثم ان علماء الطب يديرون مباحثهم على استنباط اساليب تمكنهم في المستقبل من نقل الاكبد والكلى والطحالات المحفوظة الى من اصبحت كبده او كليته او طحالها باقية ما . والعقبة التي يواجهونها في هذا البحث مدارها انحلال العضو المنقول من جسم حار الدم الى آخر . فبحثهم متجه الى كشف سر هذا الانحلال وابتناء الوسيلة لمنع . فاذا اتيح لهم ذلك فإلسألة تهون ذلك ان الجسم لا يموت كله دفعة واحدة . فقد تصاب بعض الخلايا او الانساج او الاعضاء بمرض او مرض يمنعها عن القيام بوظيفتها فتسحب في ذيلها حياة الجسم الى هوة الانحلال فالموت . ومعنى هذا ان الموت قد ينشأ عن اصابة مباشرة لجزء صغير من الجسم فتصاب الاجزاء الاخرى اصابة غير مباشرة

وهذه الحقيقة تذكرنا بان الجسم لا يشيخ كله دفعة واحدة . وقد تكون شيخوخة الجسم نتيجة لاصابة احد الاعضاء او جزء من عضو ، فينتقل تأثيره من نسيج الى نسيج حتى يصاب الجسم كله . خذ مثلاً على ذلك تيبس المفاصل في الشيوخ . فهي صفة تسند الى الشيوخ عادة ولكننا نعرف شيوخاً يستطيعون القيام بأعمال رياضية يعجز عنها الشبان . والانحاء يلزم الشيخوخة على الغالب ولكننا نرى كل يوم شيوخاً منتصبين القامة كأنهم في ميعة الشباب . وقد توفي ركفلر الكبير وهو في السابعة والتسعين لأن قلبه شاخ ولكن بعض عضلات جسمه الأخرى ظلت غير شاخ . وكثيرون من الناس يموتون بشيوخة القلب أو الشرايين أو الكلى مع أن اجزاء أخرى من جسومهم لازال في حالة صحية تامة لم تتطرق اليها آثار الشيخوخة

وقد قام فريق من الباحثين بتجارب كثيرة في العهد الأخير تؤيد القول بأن الشيخوخة تنشأ عن اصابة محلية متكررة . ومن هذه التجارب تجربة الدكتور ماكيدر MacNider عميد



كلية الطب بجامعة كارولينا الشمالية. فهو متوفر على درس تأثير السموم في نسيجي الكلى والكبد. وقبل أن يبدأ تجربته كان الباحثان هويل وسپري (Whipple, Sperry) قد اثبتا أن للكوروفورم تأثيراً خاصاً في الخلايا. ذلك أنه إذا منع كلب عن الطعام مدى يوم كامل ثم نشق الكوروفورم ساعة ونصف ساعة آفت مناطق خاصة في كبده. فالتخذ ما كنيدر هذه التجربة اساساً لتجاريه. فسم طائفة من الكلاب بقدر معين من الاورانيوم فمات بعضها متأراً بالسم وبقي البعض الآخر حياً. فشرّح الاحياء منها فوجد أن بعض خلايا الكبد قد مات بفعل السم ولكن حل محلها نوع آخر من الخلايا يختلف عن النوع السوي، أي أنه كان مسطحاً بدلاً من أن يكون مكعباً. ثم جوع بعض الكلاب التي بقيت حية بعد سمها مدة ٢٤ ساعة — كما فعل هويل وسپري — ثم نشقها الكوروفورم فدهش أعظم الدهش عندما تبين أن الكوروفورم لم يؤثر فيها على النحو السابق. وهذا يعني أن النوع الجديد من الخلايا لم يمت بفعل الكوروفورم فكأن الاصابة بسم الاورانيوم حرّكت قوة الحياة في الجسم فدفعته الى توليد خلايا جديدة تقاوم فعل سموم أخرى. وعلى ذلك خرج ما كنيدر من بحثه هذا بقوله ان الجسم يستجيب الى ما يصاب به بتوليد نوع جديد من الخلايا يستطيع أن يحيا حيث يموت سلفه. وأجرى بعد ذلك تجارب أخرى تؤيد نتائجها القول المتقدم. وهذا دليل على ان الحياة نفسها تستمر ولو لبست في الخلايا الجديدة لباساً جديداً

بعد ذلك شرح ما كنيدر أن كبد ٢٤ حيواناً بلغت حدود الشيخوخة. مستنداً في معرفة شيخوختها الى ما عرفه من عمرها (ثمانى سنوات الى ٢٣ سنة) وظاهرات أخرى فوجد في أكبد ١٩ حيواناً منها خلايا تختلف عن خلايا الكبد السوية، أي انها كانت تشبه الخلايا التي تولدت في أكبد الكلاب التي بقيت حية بعد سمها بالاورانيوم. فخطر له ان يسأل نفسه: هل تستطيع هذه الخلايا المتولدة في أكبد هذه الحيوانات بفواعل طبيعية بمجولة أن تقاوم فعل الكوروفورم كما قاومتها الخلايا المكعبة في أكبد الكلاب. فجرّب التجربة بتجويج هذه الحيوانات الشيخة مدة ٢٤ ساعة ثم نشقها الكوروفورم فقاومتها مع أنه يمت الحيوانات السوية من نوعها والحياة خالدة على سطح الارض، الا اذا وقعت كارثة كونية نثرت الارض ومن عليها هباء في الفضاء. تغيير اشكال الاحياء وتحوّل وتبيد منها انواع وتولد انواع، ولكن المادة الحية باقية على الزمان. فقد انقضت الف الف من السنين ومادة التناسل البشري تنتقل من جيل الى جيل. ثم ان الف مليون سنة قد مضت ومادة الحياة التي منها الانسان تتوارثها انواع متعاقبة من الاحياء على اختلاف اشكالها

ما اكثر الانواع المنقرضة من الحيوان والنبات. ولكن ليس بين علماء الوراثة والحوولوجيا



والانثروبولوجيا من يستطيع ان يقول ان الدليل قد قام على ان هذا الانقراض سببه شيخوخة النوع المنقرض . فليس هناك على ما نعلم اساس علمي للقول بشيخوخة السلالات . ويرى بعض العلماء ان هناك صلة وثيقة بين التناسل وتجديد الشباب . ولكن هذا الرأي لم يتضح بعد ولا قامت عليه الأدلة العلمية القاطعة . ولكنه اذا صح فإنه لا يجب ان يحول دون البحث عن وسائل غير طبيعية لتجديد الشباب

وبظن فريق من الباحثين في اسرار الحياة أنهم قد مهدوا المرحلة الاولى من الطريق المفضي الى تجديد الشباب بالوسائل الصناعية . ويشيرون الى قدرة كاريل ومن جاراه على الاحتفاظ بالخلايا في أوعية البحث حية على الزمن . ثم يشيرون الى انه اذا وقفت بعض الخلايا عن النمو في انساج جسم ادركنه الشيخوخة ففي وسعهم ان يحفزوها الى النمو فتنشطر وتتكاثر كأنها خلايا يدب فيها نشاط الشباب . ومن تجاربهم أنه اذا أخذت قطعة من نسيج من جسم هرم ووضعت في اناء وغمرت بعصارات مستخرجة من نسيج جسم لا يزال في ميعة الشباب ، فان النسيج الهرم يبقى فترة وكأنه مستكن حتى اذا انقضت هذه الفترة انبعثت فيه حيوية النمو انبعاثاً يستوقف النظر . ويلوح ان هناك مواد تمنع النمو تتجمع في النسيج الهرم فاذا غمر بالعصارات المستخرجة من نسيج شاب تغلبت على مانعات النمو فتنتقل الحياة في الخلايا بعد انقلاطها من قيودها . ويقابل ذلك ان العصارات المستخرجة من انساج هرمة تمنع نمو انساج شابة مع ان النمو فيها هو الصفة الطبيعية . وأدهى من ذلك وأغرب ان فريقاً من اطباء جامعة كولومبيا أثبتوا أن معالجة النسيج الهرم بالمادة الهاضمة المعروفة باسم ترپسين قبل غرسه في العصارات المستخرجة من نسيج شاب تُفضي الى تقصير فترة الاستئكان السابقة لانبعاث النمو فيه . فكأن المادة الهاضمة تزيل من النسيج الهرم بعض مانعات النمو بفعل هضمي ، فاذا اتصل بالعصارات المذكورة استكن قليلاً ثم سرّت فيه حمى النمو من جديد . ولولا فعل الترپسين لكانت مدة الاستئكان طويلة

ثم وجد هؤلاء الباحثون ان مصل الدم ( البلازمة ) له فعل الترپسين اي تقصير مدة الاستئكان . وبعد بحث دقيق خلصوا الى القول بان هناك عاملاً خفياً في « الترپسين » و« البلازمة » يفعل هذا الفعل فدعوه ( عامل A ) . فاذا كان النسيج يعوزه هذا العامل كان نموه متعذراً

وفي شهر نوفمبر من سنة ١٩٣٧ كشف الدكتور رونتري Rowntree — مدير معهد فيلادلفيا للبحث الطبي — مادة مساعدة للنمو شديدة الفعل . وقد استخلصها من أجنة جبوب الحنطة بعد سحقها ومنزهاً بالاميرحى لتحل فيه . ثم اضيفت هذه المادة الى طعام الجرذان البيض ( albino ) (١) فأطلقت خلايا انساج البطن من قيد مانعات النمو فمت نمواً غزيراً عجيباً وواحد اوراماً ماتت

(١) Albino ابيض : الدكتور حسي سبيع — امق ، أحسب : الدكتور محمد شرف



بها الجرذان . وهذه الاورام مما يمكن نقله من جرذ الى جرذ فتبقى محتفظة بخصائصها الاساسية ولو كان النقل من جرذ الى آخر عشرين مرة على التوالي . ويلوح ان المادة التي تحدث هذه الاورام أقل من المادة التي تحدث النواحي السرطانية وتأثيرها اسرع . ولما كانت هذه هي المرة الاولى التي استعملت فيها مادة نباتية الاصل لاحداث ورم في حيوان فالبحت متجه طبعاً الى استشفاف ما ينطوي عليه هذا الفعل من اسرار . ويؤخذ من جميع المباحث في المواد المحركة لنشاط النمو في الخلايا والمسببة للنواحي السرطانية ان الفعل كيميائي على الأغلب . ومهما يكن تأثير هذه الاورام والنواحي ضاراً او مميئاً فليس ثمة ريب في ان العلم قد ظفر بحقيقة جديدة مؤداها ان هناك مواد معينة تميد الى الخلايا نشاطها الحيوي الذي تنصف به في عهد الشباب . ولا بد ان يسفر البحث في تركيب الخلية من الناحية الكيميائية الطبيعية عن كشف حقائق اخرى تريدنا علماً بموضوع عويص مكتنف بالاسرار

واذا صرفنا النظر عن المباحث والتجارب التي افضت الى اثبات حقائق متفرقة عن خلود الخلية في أوعية التجارب وبعث نشاطها الحيوي بعد ان تبلغ مرحلة النمو، وجدنا تجارب اخرى تثبت لنا كذلك ان الجسم كله ليس محكوماً عليه بالشيخوخة التي لا راد لها ونعني المباحث التي تثبت ان في الامكان اطالة الحياة باحداث تعديل في عوامل البيئة

فقد استعمل الدكتور كاريل اكثر من عشرين الف فأر من اجيال متوالية ليعين تأثير الحياة المقيدة والحياة المطلقة من القيود في طول حياة الفأر . فالقُرآن التي يقضى عليها بأن تعيش معيشة خادمة مقيدة في اقفاص، تعيش اقل من القُرآن الحرة الطليقة التي لا يقيدنها قيد ما في الذهاب والحجيء والقتال والتناسل . والفرق بين عمر الفريقين نحو ٣٤ في المائة

وأتى بعد كاريل فريق آخر من الباحثين حاول ان يبين تأثير الغذاء في مدى الحياة . فاستطاع ان يزيد مدى الحياة نحو الثلث بجعل غذاء حيوانات التجارب من انواع معينة فقال كاريل عند ما اطلع على نتائج بحثه « ان طول الحياة ميل ورأى ولكنه يتأثر بعوامل يستطيع الانسان ان يبدل فيها ويعدل . ولذلك لا نمنعنا مانع عن الامل بأن يفضي حسن تدبير البيئة الى إطالة الحياة »

وقد عني الدكتور شرمان Sherman الاستاذ بجامعة كولومبيا بدرس تأثير الغذاء في طول الحياة وعاونته في ذلك فريق من الباحثين فأثبتوا أن للكلسيوم وفيتامين A والريبوفلافين riboflavin — وكان يعرف قبلاً باسم فيتامين G — تأثيراً لا ريب فيه في إطالة الحياة . فاذا احتوى الطعام المناسب على المقادير الوافية بالنسبة اللازمة من هذه المواد كان من شأنه إطالة الحياة . وهؤلاء العلماء معنيون الآن ببحث تأثير الريبوفلافين على حدة



وقد كانت الفئران الحيوانات التي جرّبت بها هذه التجارب فطالت حياتها جيلاً بعد جيل. وكيمياء جسم الفأر شبيهة بكيمياء جسم الانسان. وهذا هو سبب اختياره لتجربة التجارب به علاوة على ان مدى حياة كل جيل من الفئران قصير في الوسع تتبع تأثير الغذاء في طول الحياة في اجيال متعاقبة في فترة قصيرة من الزمان بالقياس الى مدى حياة الانسان. وحدث المباحث في هذا الموضوع تشير الى ان اللبن الحليب ذو منزلة خاصة في الغذاء الكامل الذي يطيل الحياة لانه يحتوي على الكلسيوم وفيتامين A والريبوفلافين وفيتامين G.

ولكن كاريل وشرمن يدركان أن الوراثة عامل اساسي في طول الحياة أو يبدوانها كذلك. غير ان مباحث العلماء وعلى رأسهم شرمن وكاريل اثبتت أن الميل الوراثي الى الموت شيخوخة، لا يعدو كونه ميلاً يمكن تعديله اذا اتاح للعلماء التأثير في اجيال متوالية. وماهي الوراثة؟ انها نظام كيميائي طبيعي يستطيع العالم الحديث ان يحدث فيه تعديلاً حذفاً وزيادة. وليس ثمة ريب في اننا لا نعلم عن الوسائل التي تمكنتنا من احداث هذا التعديل الاقل من القليل. ولكن البحث الحديث قد مهد المرحلة الاولى من الطريق السار بنا نحو هذا الهدف البعيد

وبعد كل هذا نلقت ينة ويسرة فتجد ان العلماء يجربون التجارب لدفع عوامل الشيخوخة وهم غير متفقين على تعريفها. فنحن نعلم ان هناك صفات خاصة يتصف بها الشيوخ كفضون الجلد والاعياء الجسماني والعقلي وهذه الصفات تبدو على الناس بعد انقضاء عدد من السنين يختلف باختلاف الناس. ولكن الدكتور كاريل يقول ان اندمال الجروح في الشيوخ ابطاً منه في الشبان على الغالب. ولذلك يقترح قياس السن بقدرية الجسم على تجديد انساجه. ثم يقول ان هناك مقياساً آخر، وهو معرفة السن يبحث مصل الدم لمعرفة بعض وجوه التغير فيه. اذ ثبت له ان مصل الدم يقيد نمو الخلايا في احوال معينة. وهذا التأثير يزداد بازدياد العمر

ولكن اقوال كاريل هذه لا تفوز بتأييد جميع العلماء الباحثين. فليس بالنادر ان يكون هناك رجل يحسب شيخاً استناداً الى كل ما نعرفه من مقاييس الشيخوخة ولكنه اذا جرح فخروجه تتدمل سريعاً. فنذكر ان الجسم لا يشيخ كله دفعة واحدة. وهذه حقيقة يجب ان يقام لها وزن مهما يكن التعريف المقترح للشيخوخة. والواقع ان سر الشيخوخة ما يزال سرّاً ان تيار الزمن يحملنا نحو خضم الموت ولا قبل لنا حتى الآن برده. فما هو الموت؟ هوذا سر آخر، ونحن لا نستطيع تعريفه لأنه حالة سلبية تقابل الحالة الايجابية التي ندعوها الحياة. ومنذ عصور متغلغلة في القدم بدأ البشر يدركون ان الموت والحياة وجهان مختلفان لسر واحد ووراء الحجاب الذي يحجب سر الحياة نجد كذلك سر الموت ومنه سر الشيخوخة. فهل يتاح للانسان ان يرفع هذا الحجاب؟



## حجر الفلاسفة

يتحقق في القرن العشرين

بطريقة غير مباشرة

للكيمياء امين براره

لبت كيميائيو العصور الوسطى يسعون رداً من الزمن الى تحقيق حلمهم اللذيذ بتحويل العناصر الخسيسة الى الذهب فكانوا يقومون بالتجربة تلو الأخرى فلا يخرجون من هذه التجارب الاً بالاحقاق الذريع . فحدا ذلك بهم بعد طول التجريب الى نبذ هذه الفكرة جانباً والنهوض بهذه الصنعة — كما كانوا يسمونها إذ ذاك نسبة الى جابر بن حيان — لتحقيق أغراض أخرى أجدى عليهم وان كانت أقل قيمة مما يرمون اليه . الا ان هذه التجارب عادت عليهم وعلى العالم بثروة اتسع نطاقها على مرّ العصور حتى لتبدو في هذه الايام متشعبة النواحي تقوم على أساس متين من النظريات الصحيحة الحالية من زخرف الخيال الخصب . فطبقيها أولاً على الناحية الطبية فالزراعية ثم الصناعية وأخيراً على كل ما يمتّ الى الحياة بسبب والآن ينزل الكيميائي الحديث الى ميدان البحث متزوداً بهذه الحقائق والنظريات لينطلع علينا بما يزري بذلك الحلم القديم بل بما يشبه المعجزات كما لو كان ساحراً يحيل ما هو أخس من هذه المعادن قيمة الى ما يربي على الذهب ثمناً . فهو يحيل زغب الريش وبذور زهرة عباد الشمس والدم الحثّر والهلام المستخرج من غضاريف الحيوانات وحوافرها بل ومن الشعر المتخلف من كناسة الحلاقين — يحيل جميع هذه النفايات النافعة الى بلورات تعدل وزنها مضاعفاً من الذهب هذه البلورات الدقيقة التي تحاكي الجواهر المتلاؤة في بهائها وتسمو عن كثير منها في ثمنها هي المعروفة كيميائياً باسم أحماض الأمينو Amino acids وقد بلغ ثمن الرطل الواحد منها حسباً بيع أخيراً نحو ألف ريال أميركي اي مائتي جنيه مصري . وتبدو هذه البلورات للناظر اليها بالعين المجردة كبلورات الاملاح التي تستعمل في الحمامات او كذرات مسحوق الطلق



ويتجلى جمال شكلها بأروع مظاهره عند ما يكبرها المجر (الميكروسكوب) حيث تبدو كالدرر المتشعبة الأطراف صقيلة صقل شظايا الجواهر الكريمة

ويعد قسم الكيمياء في جامعة كاليفورنيا ببلوس انجيليس بأميركا احد المحلات القليلة او النادرة حيث يستطيع الانسان شراء بعض انواع الاحماض الامينو هذه منها . فهي تحضر هناك تحت اشراف الدكتور ماكس دن Dr. Max Dunn مدير هذا القسم وبمساعدة طلبته وتطلب منهم للجامعات والمستشفيات ومعامل الابحاث في جميع انحاء العالم

وهذه الاحماض من المواد الكيميائية النادرة التي قلما توجد في حالة خالصة — غير مختلطة بمواد اخرى — وقد عرف منها حتى الآن اثنان وعشرون نوعاً وضعت لها اسماء تعرف بها علمياً وتجارياً وهي دطامة المواد الزلالية (البروتينات) التي لا غنى عنها للحياة في اي شكل كانت

هذه المواد الزلالية التي يتألف منها غذائنا الرئيسي كاللحوم والسمك والبيض والخضروات الغضة والقواكه تتحول في الجسم انساجاً لا غنى عنها كالأظافر والشعر والعضلات وغيرها وهي ذات تركيب معقد بحيث يتعذر على الكيميائي الحديث محاكاة الطبيعة في تقليدها والاثان يمثل واحدة منها. وقد اجريت الابحاث المطولة بصدد هذا فثبت أنها تحتوي على انواع مختلفة من احماض الامينو وهذا حمل الدكتور دن على بحث هذه الاحماض ثم صنعها لكي يطلع المشتغلين بالبحث عن هذه المواد الزلالية على ماهيتها وتركيبها الكيميائي وسائر اوصافها الطبيعية الاخرى وبذا يضيء الطريق امام الباحثين للعمل لخير البشرية ورفعتها فوفق في صنع هذه الاحماض التي تتألف المواد الزلالية من مجموعها وعرف منذ بداية عام ١٩٣٥ أنه المنتج الوحيد والتاجر الذي ليس له منافس في هذه الصناعة. ولما كان الغرض الرئيسي من صناعة هذه الأحماض عامياً بحتاً ومجرداً من الصبغة التجارية فان الدكتور دن استطاع بفضل تحسينه طريقة تحضير هذه الاحماض الى النزول بأسعارها الى الحد الأدنى ومع ذلك فان أسعارها الحالية تفاوت ما بين الالف ريال اميركي للربل وبين الثمانمائة الى الخمسمائة ريال للربل في اصناف اخرى منها بحسب منزلتها وطريقة تحضيرها والمواد الاولية التي تصنع منها

وطريقة صنع هذه الاحماض بقدر ما هي بسيطة تحتاج الى دقة وعناية خاصة . أما المواد الزلالية الخام التي تستعمل في تحضير هذه الاحماض فتختلف باختلاف النوع المطلوب منها . فهذه النقايات من الدم المجفف وبزور عباد الشمس والقمح والهام وقصاصات الشعر وغيرها توضع في اناء كبير وتخلط بالحض الكبريتيك المركز او الكورودريك القوي وتسخن مدة ٢٤ ساعة او اكثر ويضاف الى ذلك في اثناء عملية التسخين المذكورة مواد كيميائية اخرى كوسيط يستخلص



منها فيما بعد بالتبخر أو الترشيح أو بأية وسيلة كيميائية أخرى. وعند ما يتم التجفيف وتستبعد المواد الغريبة منها يبدو المتخلف في قعر الاناء كمسحوق هو بلورات حمض الأمينووم يفرز ويعزل ويعبأ في زجاجات خاصة يراعى في إغلاقها الاحكام حتى لا تتسرب اليها رطوبة من الجو المحيط بها وقد اتقن الدكتور دن طريقته باختزال هذه البلورات بطريقة خاصة حتى لتبدو في تبلورها

نقية شفافة وهي خاصة يدرك قيمتها من يشتغل بالبحث الكيميائي الدقيق وأحماض الأمينو ثمينه من أوجه متعددة. ولتقدير قيمتها الحقيقية علينا ان تصور امتناع الحياة اذا حرم الجسم منها في شكل مواد زلالية. فلكي نعيش لا بد لنا منها وهي ما نحصل عليه من أكل الخضروات ولحوم الحيوانات التي تعيش على النباتات. والنباتات هي الكائنات الحية الوحيدة على الارض التي تستطيع أن تمتص الأملاح الكيميائية المذابة في التربة وبمساعدة أشعة الشمس تجعل هذه الأملاح تتحد مع ثاني أكسيد الكربون والماء لتتركيب مادة زلالية. فعند ما نأكل لحوم الحيوانات النباتية أو أي نوع من الخضروات فالسائل الهضمي يخزنها الى أحماض الامينو فتسري في الجسم وتعيد بناء الانساج والعضلات التي تهدمت بالشغل أو التي استنفدت بالحركات العضلية والفكرية وهي ذات تأثير واضح في زيادة الحجم وتنشيط النمو وسائر ما يمت الى الحياة بصلة حتى ليقال ان لون العينين والشعر يتأثر بهذه الأحماض ويزيدون على ذلك أن الشخصية أيضاً ذات علاقة وثيقة بهذه الأحماض حتى أن أحدها وهو المعروف بالثيروكسين (Thyroxine) اذا بلغت درجة تركيزه جزءاً في الالف في الغدة الدرقية استطاعت ان تكون حداً فاصلاً بين الحياة الطبيعية الهادئة والموت او الجنون

وقد انتفع أخيراً بالمعلومات النفيسة عن هذه الأحماض وبدأ للباحثين فيها انها ذات سيطرة خاصة على جسم الانسان فان احدها وهو المعروف بالحمض الجلوماتيك *glumatic acid* يصنع ويباع كدواء واق وله نكهة طبيعية بديعة ومذاق اللحم الطازج تقريباً

ومن هذه الأحماض ما يعرف بالسيستين (cystine) وهو يكثر في الشعر الآدمي خصوصاً ويقول الباحثون في هذا النوع من احماض الأمينو أن تجاربهم به ستقود قريباً الى حل مشكلة الصلع ثم النوع المسمى بالجليسين (glycine) ويستعمل بنجاح في علاج اللحل العضلي وكذلك الهيستدين (histidine) في علاج قروح المعدة. ثم ان علماء الباثولوجيا في جامعة كاليفورنيا يقومون بتجارب واسعة النطاق بالاشتراك مع المعاهد التي تعنى بتقصي حقيقة السرطان وعلاجه لمعرفة فعل هذه الأحماض في حالات من هذا القبيل ويتفاءلون كثيراً في امكان الوصول بهذه التجارب الى ملافاة هذا الداء ان لم يكن الى القضاء عليه تماماً



# خليل مطران

شاعر العربية الأبدية

المجلد الحادي عشر

للكنور اسماعيل اصمحرارهم  
عضو اكاڤمية العلوم الروسية ووكيل المعهد  
الروسي للدراسات الاسلامية

## طبيعة مطران الفنية

﴿ توطئة ﴾ : — الشاعرية الحققة وليدة الطبيعة الفنية التي خاصتها الاساسية القدرة على استيعاب الحياة في الاشياء عن طريق الخيال ثم الفيض بها من الوجدان . والحياة تنعكس عادة من مرآة نفس الشاعر متخذة لونا معينا تستمد من مزاج الشاعر الخاص وطبيعته الخاصة . واستقراء هذا اللون ذو شأن كبير ، لأنه يدل على منحنى الطبيعة الفنية في الشاعر . والواقع ان الشعراء يختلفون فيما بينهم من جهة طبيعة شاعريتهم ، وذلك نتيجة لاختلاف طبائعهم الفنية . ونحن لا يهمننا من دراسة ادبية يتغنى بها وجه البحث الفني غير أصحاب الشاعرية المتميزة بخصائص تدل على نسق عالٍ من طبيعة فنية ذات منحنى خاص

ولما كانت الشاعرية نتيجة للطبيعة الفنية ووليدتها ، فمن الممكن ان نرد الشعراء من جهة طبيعتهم الفنية الى أنواع ثلاثة : الاول : شاعر بسيط الشخصية ، يعكس الحياة في صورة بسيطة ، ويتصف بعدم وجود جوانب متعددة في شخصيته ، فتعكس الحياة من مرآة نفسه على دائرة ضيقة من الفكر والخيال ، لان الحياة نجنيء من خلال شخصيته الفردية ( الضيقة ) وتغيب فيها  
الثاني : شاعر معقد الشخصية ، نفسيته ككنشور ذي أضلاع وجوانب متعددة ، تنعكس عليها أشعة الشمس في أشكال وتجل في وجهات مختلفة وتأخذ صوراً متعددة ، فهي تعكس الحياة التي تحاط بها في صور شتى وأشكال مختلفة ، حتى ان العنصر الشخصي ( الذاتي ) فيهم يمتص وراء ستار من الموضوعية الخارجية  
الثالث : شاعر يمد الى نطاق شخصيته الظاهرة شخصيات أخرى منطوية فيها . ثم ان طبيعته وصل بها التعقد الى غايته . وكل شخصية من الشخصيات التي يمتصها في ذاته معقدة ، تعكس الحياة في صورة متنوعة . ويدعو تعدد شخصياتهم المشدودة الى نطاق واحد الى القدرة على عكس الدراما الفنية للحياة من مرآتها في صورة قوية غنية زاخرة . واعتماداً على هذا الاساس العلمي ، يمكن ان نتخذ قاعدة لتقسيم الشعر والشعراء الى طبقات ثلاث تقابل كل طبقة منها نوعاً من هذه الأنواع الثلاث التي سبقت الاشارة اليها . وهذه الطبقات هي :  
الاولى : الشعراء الوجدانيون : وهم عادة يتغنون بالحياة او بالطبيعة بالاضافة الى نفوسهم ، فتجنيء الحياة من نفوسهم نعمة واحدة من وتر واحد ، هو الذي تتألف منه نفسياتهم



الثانية : القصاصون وأشباه التمثيليين : quasi-dramatists وهم يعبرون عن الحياة والطبيعة في الصورة التي تأخذها في نفوسهم غير ان الحياة في مجيئها من نفوسهم تأخذ نغمات متنوعة وتخرج لنا . وان كانت بعد ذلك خارجة من وتر واحد

الثالثة : التمثيليون الحقيقيون : وهؤلاء هم الخالقون الذين تجمي الحياة عندهم من خلال مزاج نفوسهم في صورتها الحقيقية المتنوعة الزاخرة وتخرج أحياناً لتعدد الاوتار في نفوسهم

والطبقة الاولى يلتحق بها عامة الشعراء ، ومنها بجي معظم شعراء العربية ، سوى نفر قليل في طليعتهم ابن الرومي والمتني والمري وابو تمام والبحتري وابن هاني فهم بين الطبقة الاولى والثانية . والطبقة الثانية يلتحق بها نفر محدود من الشعراء ، هم أقل كثيراً من الذين يلتحقون بالطبقة الاولى . ومن بين المتحقيقين بها عدة اسماء أدبية ضخمة في تاريخ الادب العالمية ، مثل بندار والفردوسي وجامي وفرجيل ودانتي وتاسو وميلتون وجوينة وبيرون وكولريج وشيللي وكيتس وشيلر ووردزورث وراسين وفكتور هيغو وحامد . وازاء هذه الاسماء الضخمة المختلفة المناحي والانماط لا نجد قاعدة عامة تضم هؤلاء في نطاق واحد ، غير كونهم يجيئون من طبيعة فنية معقدة في أصل شخصيتها . أما الطبقة الثالثة فيكاد لا يمكن ان يظهر بشرف الالتحاق به الا نفر معدود على الاصاب في طليعتهم : شيكسبير واسخيلوس وسوفوكليس وكورنيل وهو ميروس وتشوسر وبمعاودة النظر نجد ان شعراء الطبقة الاولى يمثلون طبيعة فنية خالصة الانا وبسيطة الشخصية . وهم عادة يشغلون بمواظفهم الباطنة عن ان يكون لهم عطف عميق على الحياة التي تكتنفهم . وأسمى الشعر الذي يمثل شعر هذه الطبقة ، الشعر الاسرائيلي الوجداني ، فكله بجي انشادا عذبا شجيا جميلا ، الا انه يدور في عالم النفس وبجيء من المشاعر التي تخالطها ، المأ أو فرحاً ، حزناً أو سروراً ، خوفاً أو طموحاً . ومن هذا الباب بجي جل الشعر العربي ان لم يكن كله . أما شعراء الطبقة الثانية فهم لا يفترون عن شعراء الطبقة الاولى ، الا في كونهم لا تشغلهم عواطفهم الداخلية عن ان يعطفوا على الحياة المحيطة بهم . وذلك يرجع الى أنهم أصحاب خيال واسع رحيب عميق ، الا انه لسكونه بجي من اطواء ذاتهم فهو نسي يظهر عليه عنصر الذاتية (من الذات او الانا Ego) ونظرتهم وان كانت متفتحة للحياة والطبيعة ، الا انها لا تذهب حتى ترى جملة الاشياء ، وعموم الحياة ، وجموع البشرية ، في جميع الحالات التي تلابسها ، لان الحياة والوجود متركزان في ذاتهم . والذات او الانا عندهم كمنشور يعكس عدة أشكال من الانا ، الا أنه يميز عن عكس آنا جديدة . أما شعراء الطبقة الثالثة ( وهي الاخيرة ) فهم المبدعون الخلاقون حتى ان روح الالهية المتصفة بصفة الخلق تستولى عليهم وتقودهم . وهؤلاء القدرة على تصوير الحياة في جميع الاوضاع التي تلابسها وتمثلها والجد الفاصل بين شعراء الطبقتين الاولى والثانية يبدو واضحاً متميزاً عند النقاد الحديثين . الا ان الحد غير واضح ومتميز عندهم بين شعراء الطبقة الثانية والثالثة . وهذا صحيح اذا اتخذنا الاسس التي يتخذونها في التقسيم ، ولكن اذا جعلنا موضع النظر القاعدة السيكولوجية في تقسيم طبائع الشعراء الفنية كما فعلنا ، فان هذا الحد يتوضح ويتميز بأن شعراء الطبقة الثانية يسحبون الحياة الى نفوسهم ، بعكس شعراء الطبقة الثالثة الذين يسحبون على الحياة نتيجة لتعدد الشخصيات في نفوسهم . والشق الاول يقودنا حتماً الى العنصر الذاتي بعكس الشق الآخر فهو يسوقنا الى العنصر الموضوعي . وبعد فالشق الاول ذاتيته محتجة تحت ستار الموضوعية ، وهذا هو الفرق بين شعراء الطبقة الثانية وشعراء الطبقة الاولى الواضحة ذاتيتهم (١) . هذه مطالعات أولية ، يجب ان نضعها نصب النظر ، فهي في منزلة مبادئ لتقسيم رئيسي للطبائع الفنية الى أنواعها

وما طبيعة مطران الفنية الاً مثل عالٍ لمنحى خاص متميز من نوع من الطبائع الفنية . ونحن اذا نظرنا الى طبيعته الفنية ، وجدناه من النوع الثاني فهو على هذا من شعراء الطبقة الثانية

(١) وازن ماجاء هنا بما ورد في مادة — Poetry — في Ency. Britannica — الطبعة الحادية عشرة والبحث للاستاذ دتوني Walter Theodore Watts-Dunton النقاد الانجليزي الشهير ، وذلك لتميز مالنا وما استمددناه منه . وانظر تخيصاً عربياً للمادة عند نسيب طازار : نقد الشعر — بيروت ١٩٣٩ ص ٣٧ — ٤٠ . ومن المهم ان نقول ان الاستاذ دتوني يمرر في بحثه عن الرأي الشائع في الموضوع



الذين يسحبون الحياة الى نفوسهم غير ان هذا السحب لا ينتهي بهم الى الوقوف عند الحدود الوجدانية نتيجة لتعدد المناحي في شخصياتهم ، ولهذا يعطفون على الحياة والطبيعة . ومن هذا الاتجاه (المنحى) تستمد طبيعة مطران الفنية الخيوط الاساسية التي تدخل في نسجها العام

## — ١ —

أساس الشاعرية اندماج الحياة في الطبيعة الفنية ولكن فهم الطبيعة الفنية يقتضي منا ملاحظة وجه الاندماج . وقد أشرنا الى ان الشعراء الذين من طراز مطران يسحبون الحياة الى نفوسهم فتجيء من اطواء ذاتهم . وهؤلاء عادة يحملون الحياة جزءاً من شخصياتهم فيتصل عندهم الموضوعي بالذاتي والخارجي بالداخلي ، ولكن هذا الاتصال أساسه الاضافة الى شخصياتهم ، ولما كانت شخصياتهم متعددة المناحي كالنشور ذي الاضلاع والجوانب العديدة فانهم يعكسون الحياة التي تخالط نفوسهم في صور شتى وأشكال مختلفة ، ان سقطت على بعضها وكملت بعضها : جاء التصوير عندهم ، وهكذا يختجب العنصر الذاتي عندهم وراء ستر من الموضوعية . والواقع ان مطران شاعر مصور ، ولا أدل على ذلك من ان شخصيته وذاتيته تغيب وراء الصور التي تحيي من العالم الخارجي (عالم الموضوع) والتي تمرّ خلال نفسه المتعددة النواحي والجوانب فتدخل الى أوصاف وصور تصويرية <sup>(١)</sup> مثل ذلك ان مطران في قصيدة (العالم الصغير مرآة العالم الكبير : فنجان قهوة الديوان ١٢٩ / ١٣٠) يقول : —

- |                                |                           |
|--------------------------------|---------------------------|
| ١ : أرأيت صوغ الدر في العتيان  | هذا حباب البن في الفتيان  |
| ٢ : فلك تمثل شمسه ونجومه       | أفلاكنا في السير والدوران |
| ٣ : ليلى أحيلي الطزف فيه تنظري | سر الكيان وآية الازمان    |
| ٤ : تجدي مهابات وسعن عوالمنا   | فتانة الابداع والاتقان    |
| ٥ : منشورة أفرادها منظومة      | جماً بما لا تدرك العينات  |
| ٦ : سيارة خلل الجهات حوائراً   | مرتادة في البحث كل مكان   |
| ٧ : كل يصير الى حبيب مرتجى     | حتى يدانيه فيلتصقات       |
| ٨ : فيدوب كل منهما في صنوه     | وكذاك يحيا بالهوى الصنوان |
| ٩ : جسمان يعتديان جسماً واحداً | كتوحد الحبين يقتربان      |
| ١٠ : روحان تترجان حتى تصبجا    | شبه الصبا والطيب يمزجان   |

ففي هذه القصيدة التي نقلنا لك بعض آياتها بلغت قوة التخيل imagination عند الشاعر مبلغاً جعله يصور حباب البن في الفتيان وكأنه من الاحياء . على أن هذا الشيء ليس مما يقع من غرضنا من هذه الآيات هنا . وإنما الغرض يقع على ما يظهر عند الشاعر من ظاهرة لفته مشاعره في صور تصويرية . فطران في هذه القصيدة يتراءى للنظر وقد ألبس مشاعره واحساساته

(١) التصور لغة تمثل الصورة والشكل في الذهن — انظر مادة ص و ر في المصباح المنير — ومن هنا يمكن تحميلها معنى البروز وهكذا تنظر المصطلح الافرنكي



صوراً وأوصافاً استمدتها من العالم الخارجي وخلع عليها من احساساته البشرية ما جعلها حية ، وهكذا كان اختلاط الغرضين الوجداني بالوصفي . فضلاً عما هنالك من مظاهر العطف على الجماد من الشعور ، وهو يظهر غنى النفس . وهذه اشياء يمكنك أن تخلص بها كقاعدة regle من امعانك في مطالعة شعر ديوان الحليل . فهو في قصيدته القصصية « الجنين الشهيد » ( الديوان ١٩٩ / ٢١٨ ) يقول على لسان الفتاة الفلاخية التي غرر بها مخادع حتى حملت منه ، وهي تخاطب جنينها وهي في معرض التخلص منه :

فيا ولدي المسكين فلذة مهجتي ويا نعمة عوقبت فيها بنعمة  
ومن كنت أرجوه لسعدي وبهجتي وكأنت ينابيعه ضميري بنيتي  
وأمل ان يحيا ويرجع لي بعلي  
تموت ولما تستهل ميسرا تموت ولم أنظر بحياك مسفرا  
وتبرح قبراً فيه عذبت أشعرا الى جدت منه أبر وأطهرا  
ونحيا صغار الطير دونك والنحل  
تموت وما سلمت حتى تودعا وأمك تستعك السعوم لتصرعا  
وتنفيك من جوف به كنت مودعا انتكفك عمراً لا يطاق بما وعى  
من الحزن والالام والفقر والذل  
فان تلق وجه الله في عالم السنى فقل ربي أغفر ذنب أمي محسنا  
فما اقترفت شيئاً ولكن أبي جنى علينا فعاقيه بتعذبه لنا  
وأمطره نيراناً تذيب ولا تبلى  
كفرت بحبي في ذهول تفضي ففكوك يا ابني ما أبوك بمذنب  
فقل ربي أمي أهلكني لا أبي وأمي زنت حتى جنت ما جنته بي  
فزدها شقاء وأجزها القتل بالقتل ( الجنين الشهيد : ١١٤ )

فهنا نجح الشاعر عن طريق قوة خياله ، في ان يلقي دائرة غنية من الشعور والاحساس خارج شخصيته وقد نجح في ذلك على أساس اعارته شخصيته للفتاة ، ولبسه لموقفها من جو القصة اللبوس الصادق الذي يتفق وحالتها . ومن هنا جاء انطاق الفتاة بهذه الايات التي نقلناها لك ، وأنت لا تخطيء ما فيها من غنى الشعور ، وفيض الاحساس ، والقوة في التعبير والتجيش بالروح الدرامية . كما أنك لا تخطيء صدق التصوير ، في اظهار الفتاة في حالة طبيعية من توزع المشاعر : بين حمة على أب جنينها . ثم استيقاظ شعور حبها له ، فتحاول أن تسوِّغ فعله ، بالقاء اللوم على نفسها ، لاستسلامها له . ومن هنا جاء دعاؤها على نفسها بزيادة الشقاء وتمني جزاء القتل لشخصها لاسقاطها جنينها بالسهم من جوفها

ومهما يقل في خيال الشعراء العرب فهو أضيّق من ان يلقي مثل هذا النور الشعري على مثل هذه الدائرة الواقعة خارج شخصية الشاعر ، ومن هنا نجد مطران أوسع أفقاً وأرحب في طبيعته الشعرية ، من الشعراء العرب الذين تقدموه او عاصروه على انه بعد ذلك من المهم ان نقول ان الخيال الشعري عند مطران اضافي relative لا ينتهي به الى الخاص ، وان وقف به عند



العام. وهذا يجعل مطران يقف من الطبيعة البشرية والحياة عند القسط المشترك بين الناس والأفراد، الذي يشترك هو معهم فيه. ومن هنا يجيء خياله. على أن هذا ليس بالغرض الذي يقع من بحثنا هنا، وإنما الذي نرغب الإشارة إليه هو توضيح وجه اندماج الحياة في طبيعة مطران الفنية

## — ٢ —

الآن وقد بان لنا وجه ادماج مطران الحياة في شعوره ووجدانه فخير بنا أن نلاحظ الصورة التي تأخذها الحياة في وجدانه. وأول كل شيء يستوقف النظر أن الحياة تندمج في وجدان الخليل من وجهها العام، الذي يشترك فيه كل الأحياء. وهذا يثبت أن نظرة مطران رغم عمقها واتساعها فهي لا تزال نسبية لا تصل إلى أبعد من رؤية الحياة العامة الكلية ممثلة في شخصه. بيان ذلك أنه ينطق في قصصه الشعرية الشخص على أساس أعارته شخصيته لهم، ولهذا تبقى شخص قصصه ناقصة من حيث أنها لا تدل على أنماط خاصة وشخصيات خاصة تنتهي شخصياتها إلى الجزئيات والتفاصيل التي تقوم بها، والتي تختلف باختلاف الأفراد. فنحن نلاحظ أن صرخة الفتاة الفلاخية في قصة «الجنين الشهيد» الشعرية (الديوان ٢١٦/٢١٨)، ليست صرخة امرأة معينة ذات طبيعة خاصة، وإنما هي صرخة كل امرأة، تجيء من القسط الشائع من كل انثى إذا أصيبت بمثل ما أصيبت به فتاة قصة «الجنين الشهيد». وهذه الصرخة يصح أن نوضع على لسان أية امرأة أخرى في الحالة نفسها من دون أن تفقد قيمتها. والحالة هنا متصلة بالجو الذي يوحى بصرخة الفتاة، والذي يعبر عنه الشاعر في قوله:

أضاعت به مما تقاسيه رشدها وعانت من الاوصاب فيه أشدها  
يقال آناً وجدها فيه حقدتها ويقلب آناً حقدتها فيه وجدها

وتصرخ من فرط التألم والازل : (الجنين الشهيد ١٠٢١٦)

هذا...، والحياة تجيء من نفس مطران متعددة المناحي مختلفة الأشكال. وهذا التعدد والاختلاف يرجع إلى كون الحياة تنعكس من مرآة نفسه المتعددة الجوانب. وهذا التعدد يجعل الحياة تجيء من خلال وجدانه في صور شتى. فهو ساعة ينطق عن نفسه ويصور أحلامه وأمانيه وآلامه وأحزانه ولذاته وأفراحه ويترجم عن عواطفه ومشاعره وأحاساساته، وهو حيناً آخر ينطق عن الحياة الخارجية (وإن كان على أساس الإضافة إلى شخصيته) فينزل إلى عنصر الشعور المتدفق في أطواء الحياة ويترجم عنها وهذا ما تراء واضحاً في شعره الرثائي الذي يصور فيه الشخصية التي يرثيها ويترجم عنها لك. فهو في مرثاته لحافظ إبراهيم (أبولو ١: ١٢٩٨/١٣٠٦) التي بلغت جملة أبياتها ١٧٠ بيتاً استطاع — على حد تعبير الأستاذ أحمد الشايب —



«ان يؤرخ عصر حافظ ، وان يلم بسيرة حافظ ، وان يدرس فن حافظ . نعم استطاع مطران ان يبين أهم الحوادث السياسية والاجتماعية الاولى التي اثرت في شعر حافظ وأنشأته ولا سيما شعره في الشباب والرجولة ، ثم صور لنا حياة حافظ وبؤسه ، ومزاجه وخلقه ، وطريقة تكوينه الشعري ، ثم هذه الأطوار الشعرية التي امتاز بها شاعر مصر الكبير ناشئاً ، وشاكياً ومترجماً روح مصر ونهضتها الاولى ، وأخيراً هذا الرثاء الحار الجميل » (١). وأنت يمكنك ان تأمس بدايات فن الخليل الرثائي القائم على الترجمة للشخصية التي يرثيها في شعر الرثاء في ديوانه فترثاته لساحي باشا البارودي (الديوان ٢٣٨ / ٢٤١) والشيخ ابراهيم اليازجي (الديوان ٢٧٤ / ٢٧٦) ومصطفى باشا كامل (الديوان ٢٩٨ / ٣٠٢) تحيي من هذا المنهاج وتلك الطريقة التي توضح وتثبت خطوطها بنضوج فن الخليل الشعري مع الزمن

وترجمة الخليل عن الحياة الخارجية تسوقنا الى النظر في قدرته على نقل الاشكال التي تأخذها الأحياء في العالم كما تقع من حسه وشعوره وخياله فتجد لخليل مطران قدرة على التشخيص (تمثيل الاشياء في موضوعيتها : عن العقاد) وهذا يرجع الى ما في نفسيته من تعدد الجوانب التي انعكس من كل جانب منها مظهر من مظاهر الحي أو شكل من أشكاله ، وباتساقها وعمله على ضبط نسبها يمثلها في صورة بارزة ، ولوحة لها العمق بجانب الطول والعرض . والقدرة على التشخيص لاشك وليدة خيال قوي واسع وشعور عميق زاخر وهي تبدو حيناً في صورة من شعر الوصف والتصوير وحيناً آخر في صورة من شعر القصص . ومن أبرز القصائد التي تحيي من القسم الاول قصيدة «المرأة النازرة او عين الأم» (الديوان ١٣ / ١٤) في هذه القصيدة يقول الشاعر :

عاجت بروض في الاصيل تطونها	كلمكة طافت معاهد حكما
حسنا أمرها الجمال فأنشأت	في أيكها الاطيار تخطب باسمها
والحسن أكمل ما يكون شبيهة	في بدنها وملاحه في تمها
سترت بأخضر سندسي جيدها	في الحي وردة في كهها
وتمايلت في ثوب خز موزق	غصنا وهل للغصن نضرة جسمها
فإذا دنت في سيرها من زهرة	همت بأخذ ذبولها وبلشها
أو جاورت فرعاً رطيباً ليناً	أهوى بمعطفه ومال لضنها
وتخفها مقل الوري فيخزنها	بجائها ويشكنها في وهما
كالنحل طفن بزهرة فلسعها	ورشفن منها ما رشفن برغمها
حق إذا حل العياء جيدها	بندى وأخذ جرة من عزها
جلست تقابل أمها وكانها	كلتاها جلست قبالة رسمها
والروض ساكنة الى نسماها	تصغي لطيب حديثها ولنما
اذ هب فيها عاصف مالت به	عذابها حتى التقتين بنجمها
وتناثرت زفر الفتاة غمائمها	سترت عن الابصار طلعة نجمها
فتجبرت فيما تحاول وهي قد	أعيت بلا مرآتها عن نظمها



فدنت تخاذي أمها وتناظرت بعينها وجلت سحابة همها  
وكذا الفتاة اذا اضلت ساعة مرآتها نظرت بعيني أمها

فهنأ وصف دقيق قوي بارز يتمثل في الذهن كمشهد منحوت أكثر منه لوحة من صنع الخيال . والواقع ان الشاعر أظهر مقدرة على محاكاة المشهد الذي استوقف نظره والذي يقول فيه : « كنت في حديقة الجزيرة أصيل يوم هبت فيه ريح السخوم فرأيت فتاة تنظر في عيني أمها وتصلح شعرها » (الديوان ١٠١٣) . وهذه المقدرة نتيجة ملكة التصوير التي تنقل الاشكال الموجودة في الخارج كما تقع في عالم الحس والشعور والخيال . وأنت لا تخطئ في القصيدة التي نقلناها لك عنصر التصوير ، فالألوان مضبوطة بقدر ، والشكل منقول بقوة ، والحركة وهي اهم شيء في فن التصوير ممثلة في جملتها وتفصيلها بوضوح وصدق . اما القصائد التي تحيي من الشعر القصصي وفيها عنصر التشخيص قوي فجمعة في شعر مطران ، نذكر من بينها « فتاة الحبل الاسود » (الديوان ١٥٤/١٥٨) وهي تحيي من باب شعر الملاحم — Epos — وقصيدة « حرب عادلة ولا متعادلة » (الديوان ١٤٧/١٥٣) و « فنان قهوة » (الديوان ١٢٣/١٢٨) و « شهيد المروعة وشهيدة الغرام » (الديوان ٦٤/٧٤) و « غرام طفلين » (الديوان ٢٢٣/٢٢٦) و « الاقتران » (الديوان ٢١٩/٣٣٣) و « نيرون » التي نظمها مطران عام ١٩٢٤ — ١٩٢٥ والتي تليت في الجامعة الاميركية ببيروت (انظر بروكلمان في تكملة تاريخ الآداب العربية : ج ٣ ص ٩٤) . وهو يقول في قصيدته « فتاة الحبل الاسود » (الديوان ١٥٤) :

- |      |                        |                         |
|------|------------------------|-------------------------|
| ٦ :  | ويوم كأت شعاع الصباح   | كسته مطارف من عسجد      |
| ٧ :  | تفرقت الترك فيه عصائب  | كل فريق على مرصد        |
| ٨ :  | يسدون كل شعاب الجبال   | على نازليهن والصعد      |
| ٩ :  | أسود تراقب أمثالها     | ولا يلتقون على موعد     |
| ١٠ : | وكان عداهم وهم دونهم   | بعد الجنود وذات اليد    |
| ١١ : | يوافقهم بلفتات اللصوص  | ويرمون بالنار والجهد    |
| ١٢ : | ويفتقون تجاه الصفوف    | ويجمعون على المفرد      |
| ١٣ : | ويبتغون بكل خفي        | عصى على أمهر الرود      |
| ١٤ : | واي رأى شاردأ يختلسه   | واي رأى واردا يصطد      |
| ١٥ : | ويلتقمون جناح الخبيث   | اذا العوت أعى على النجد |
| ١٦ : | منامهم جامين وقوفاً    | ولا يجمعون على مرقد     |
| ١٧ : | وما منهم للعدى مرشد    | سوى غادر ساء من مرشد    |
| ١٨ : | اذا لم يقدمهم الى مهلك | أضل بحيلته المهتدي      |
| ١٩ : | ويعتسف الترك في كل صوب | فهذا يروح وذا يقتدي     |

في هذه الايات تتجلى مظاهر الاقتدار على التصوير . فقد أخذ الشاعر من ميدان القتال أرضية — background — أظهر عليها القتال في صورة بارزة واضحة الخطوط بيئة المعالم ،



صادقة الحركة، دقيقة التصوير. ولا شك ان هذا الإقتران على التصوير والوصف تابع لقدرة مطران على نقل الاشكال من العالم كما تقع من الحس والشعور والخيال (١)

— ٣ —

القدرة على التشخيص بما يتبعها من ملكة الوصف والتصوير، ثم التعاطف بين الشاعر والحياة وتعدد المناحي والجوانب في نفسيته، تهيء خليل مطران لخلق الحياة على الطبيعة الجامدة. ومن هنا جاء حياة الطبيعة عند مطران نتيجة اتساع أفق الشعور والخيال وغنى الحس والشعور ومن المهم ان نقول ان حياة الطبيعة عند مطران ليست من قبيل تجريد الشخصوض من الطبيعة ومخاطبتها واسناد صفات الاحياء اليها كما هو شائع عند شعراء العرب الذين يحدثون مظاهر الطبيعة وتحدثهم مظاهرها. ولا هي نتيجة للمجاز او التشبيه الذي تسوق اليه ضرورة اللغة والتعبير فتسند الاوصاف الحية الى الطبيعة الجامدة. وانما هي نتيجة التعاطف بين وجدان الشاعر والطبيعة يضرمة سعة الخيال وزخوره. وهذا التعاطف هو الذي ينتهي بمطران الى النفوذ الى اعماق الطبيعة كما وأنه يمكنه من النزول الى اعماق الطبيعة البشرية (في القسط الشائع بين الناس) ويترجم عن العواطف والمشاعر. وهذا كله مما لا ريب فيه نتيجة لتعدد الجوانب، فهو الاساس الذي تحيي منه جميع الخصائص التي تتميز بها طبيعة مطران الفنية

وخلق مطران الحياة على الطبيعة واغداقه عليها شعوراً من شعوره وحياة من حياته، ان يظهر لك من مطالعة شعر مطران. ولربما لاحظت هذا في الأبيات التي نقلناها لك من قصيدة «العالم الصغير مرآة العالم الكبير: فتجان قهوة. الديوان ١٢٩/١٣٠» في صدر الفقرة الاولى من هذا المبحث. فقد اشرنا الى ما فيها من قوة الخيال التي جعلت الشاعر يصور حباب البن في الفنجان وكأنه من الاحياء، خالعا عليه احساساً من احساسه وشعوراً من شعوره. ومن هنا يمكننا ان نقول ان الطبيعة الجامدة تتجلى للشاعر على اعتبار انها قلب نابض وحياة تدفق في اعطاف الكائنات وشعلة تتأجج في الاشياء. ومن هنا جاء حنين الريح وزفيره، وأنين الحياة التي تذوب منها الصخور، وحديث النسيم الذي مهب على المروج، وتفكير الازهار الذي يحكيه عنها العبير في قصيدة «بدرى وبدر السماء» (الديوان ١٤/١٥). وكل هذا يثبت ان مطران يعطي الطبيعة ذاتاً حية ويساجلها العطف. اما عن اعطاء الطبيعة ذاتاً حية فواضح من قوله في قصيدته «تبرئة» (الديوان ١٩٧/١٩٨)

١ — انظر لنا Abushady The Poet لينج ١٩٣٨ ص ٢٤ وما بعده بخصوص شعر الوصف والتصوير. وقابل ذلك بما هو عند مطران



- ١٨: ليس الهوى روح هذا الوجود كل شامت الحكمة الفاطرة  
 ١٩: فيجتمع الجوهر المستدق بأخر بينهما آصرة  
 ٢٠: وبألف الدر وهو خفي فيمثل في الصور الظاهرة  
 ٢١: ويخضن الترب حب البذار فيرجعه جنة زاهرة  
 ٢٢: وهذي النجوم ليست كدر طواف على البحر زاهرة  
 ٢٣: عقود منتثرة بانتظام على نفسها ابداً دائرة  
 ٢٤: يقبدها الحب بعضا وكل الى صنوها صائرة

نخلع الحب على الطبيعة الجامدة ، مظهر لتمثل ذات حية لها ، وهذه الآيات التي نقلناها لك تسوق الذهن الى بعض شعر الفيلسوف الدكتور شبلي شميل الذي قاله في الكونيّات . اما عن مساجلة الطبيعة العطف فيظهر عند الخليل تارة في الهروب الى الطبيعة والركون اليها كما هو الحال في قصيدته « وفاة عزيزين » ( الديوان ٤٥ / ٤٨ ) ، حيث يرى في الطبيعة عزلة يفر اليها من محال الأسى في الحياة ، وطوراً في شعوره بحياة الطبيعة الخارجية ومساجلتها العطف كما هو الحال في قصيدة « الحمامان » ( الديوان ٥١ / ٥٣ ) او قصيدة « وفاة » ( الديوان ٨٤ / ٨٨ ) حيث يقول فيها :

- ٣٩: واستشهد الروض الاريض ودوحه وما فيه من زهر وعطر مضع  
 ٤٠: وهذي الظلال الباسطات اكفها وهذي الشعاع المديات بأذرع  
 ٤١: وهذي المياه الناظرات بأعين وهذي الغصون المصفيات بمسمع  
 ٤٢: باني لا ابغي سواك حليلة ومهما تسمني صبوني فيك اخضع

وقصيدة « الوردية والزنبقة » ( الديوان ١١٣ / ١١٥ ) وكذلك « قصيدة المساء » ( الديوان ١١٩ / ١٢١ ) التي فيها يظهر التعاطف بين قلب الشاعر والبحر على أبلغ وجه وفيها يقول الشاعر :

- ٢٢: متفرد بصباقي متفرد بكأبتي متفرد بعنائي .....  
 ٢٣: شاك الى البحر اضطراب خواطري فيجيبني برياحه الهوجاء  
 ٢٤: ناو على صخر اصم وليت لي قلباً كهذي الصخور الصماء  
 ٢٥: ينتابها موج كعوج مكارهي ويفتها كالسقم في اعضائي  
 ٢٦: والبحر خفاق الجوانب ضائق كدأ كصدري ساعة الامساء  
 ٢٧: تغشى البرية كدرة وكأنها صعدت الى عيني من احشائي  
 ٢٨: والافق معتكر قريح جفنه يغضي على الغمرات والاقذاء

وأنت لا تخطيء الدليل على ما نقول في الآيات التي نقلناها لك من هذه القصيدة الوجدانية الرائعة . وترى مطران يحسن الاصغاء الى سر الحياة في الطبيعة فيحيا معها كما هو الحال في قصيدة « اعتذار » ( الديوان ١٦٧ / ١٦٨ ) و « نفحة الزهر » ( الديوان ٢٥١ / ٢٥٤ ) فترى الطبيعة المرقصة المنتعشة العامرة بالطيور والبلابل والأزاهر والورود تبدو للنظر من خلال شعر الخليل . والواقع انك يمكنك ان تلمس من شعر الطبيعة عند مطران وهو جيم وضوح خطوط حياة الطبيعة عنده

على انه يهمننا ان نلاحظ وجه الحياة التي يخلعها مطران على الطبيعة وهل هي على



أساس بعث الصور التي تلبسها الحياة أم على أساس الامتزاج بالشعور الذي يميز الحياة عن غيرها. والذي يبدو للنظر من استقراء شعر الطبيعة عند مطران ، ان نظره ينتهي الى عنصر الشعور الذي وراء صور الحياة ، فهو حين يتكلم عن حياة البرتقال ، لا يهمه من حياتها الصور التي تلبسها وإنما تجده ينزل الى الأعماق فيرى حياتها المتصلة بأغصانها والتي تستمد منها عصارة الحياة ، ومن هنا يجيء تشبيه ثمار البرتقال في تعلقهم بالأطفال الملتصقين ثدي أمهاتهم. فيقول في قصيدته «يوسف أفندي» (الديوان ٣١/٣٢) :

١٠: حبذا هندي الثمار الرضيعات تعلقن كل طفل بنهد

كذلك في تصويره لحبه ينزل الى الأعماق ، فيرى وجه الاتصال بين عاطفة الحب التي تدني الرجل من فلك المرأة وتجعله يسمح فيه وبين سير الارض مشدودة لفلك الشمس . وفي هذا يقول من قصيدة «تبرئة» (الديوان ١٩٧/١٩٨)

٢٧: وانك في فلك الحسن شمس ونسي اليك به سائر

وفي هذا البيت استعارة تمثيلية نادرة ، والمعنى المستعار يحجب وراءه قانوناً من قوانين الطبيعة . فهي من هنا ليست بالفكرة الشائعة المبتذلة. وتمثل مطران لحبه على أساس كوني يبين أنه من الأشخاص الذين لا يقفون عند مظاهر الأشياء ، وإنما هو من الذين ينزلون الى الأعماق ويكشفون عن الهندسة غير المنظورة التي تسيطر على عالم المظاهر والأشكال . وبما تحسن الإشارة إليه هنا ان هذا المعنى الذي أداه مطران في البيت المذكور أداره مصطفى صادق الرافعي على وجه لا يبعد عن الوجه الذي قاله فيه مطران ، فقال

يا نجمة انا في افلاكها قر من جنبها لي قد اضلكت افلاكي

وهو — على حد قول الاستاذ محمد احمد الغمراوي — بيت بقصيدة من الشعر (١). وهذا الكلام يعود أيضاً وينسحب على بيت مطران . كذلك من الصور العميقة الدلالة قول الخليل في قصيدته «العالم الصغير مرآة العالم الكبير: فتجان قهوة» (الديوان ١٢٩/١٣٠) :

١٥: ..... فأجبتها السعد آخر شقوة الانسان

وأنت لا تخطيء ما في هذه الشطرة من التصوير الصادق للسعد والواقع ان مطران شاعر تبرز في شعره الفكرة الكونية المربوطة بماهية طبيعة الانسان وحقيقة الحياة والكون واستقراء الخطوط الاساسية التي تدخل في هذا النسيج تلج بنا الى تناول فلسفة مطران الشعرية ، لهذا نتركها الى مكانها الطبيعي من الدراسة حيث نقردها لها مبحثاً قائماً بذاته



# البترو ل ومشتقاته

د. صبحي ابراهيم كحيل  
كبير مفتشي الكيمياء بوزارة المعارف (١)

لا تخلو قصة صناعة البترول ومشتقاته ونموها السريع العجيب من طرافة . فهي ككل قصة مليئة بعناصر المجازفة والاقدام واليأس والقنوط والغنى والفقر المدقع وهي قصة امتزجت فيها عوامل الحظ والبحث العلمي والاختراع المثمر والثروات الضخمة وتضافرت في سبيل انماها عقول جبارة المال ونوابغ العلماء من كل لون وخاصة الكيميائيين والمهندسين فأدركت في أقل من قرن ما لم تدركه غيرها من الصناعات في عدة قرون

فالبترو ليم او النفط كما سماه العرب معروف من قديم الزمان استخدمه جدودنا المصريون القدماء ومعاصروهم من أهل بابل والصين والهند في مرافق كثيرة منها الانارة ومنها الاستشفاء من بعض الامراض الا أنهم كانوا جميعاً يستخدمونه كما عثروا عليه خاماً قذر اللون كزيت الزيتون لزوجاً تعافه النفس عند اول عهدا به

والبترو ليم كلمة مركبة من لفظتين لاتينيتين هما ( Petra ) او الصخر و ( Oleum ) او الزيت فمعنى البترو ليم هو الزيت الصخري او المعدني تشبيهاً له بالمعادن لاستنباطها جميعاً من باطن الارض وقد سماه العرب النفط . والغريب ان اسم إحدى مشتقاته الهامة هو ( Naphtha ) والشبه بين اللفظين واضح . أما كيف تكون النفط في باطن الارض فسر من أسرار الطبيعة لا تملك الا ان تتقدم مع العلماء الذين اهتموا بموضوعه بشق الظنون والنظريات بشأنه . فمنهم من يقول انه تكون من تأثير الماء في بعض مركبات الحديد الكربونية ومنهم من ظن انه كالفحم تكون من كرم العصور على بقايا نباتية او حيوانية وهي مدفونة في جوف الارض تحت تأثير ضغط الطبقات الارضية وحرارتها فيها الا ان الرأي الغالب هو انه من أصل حيواني خالص كما ان الفحم من أصل نباتي خالص . ويوجد النفط في مناطق متعددة من الكرة الارضية بمقادير متفاوتة وأغناها به هي بعض مناطق الولايات المتحدة وجنوب روسيا وخاصة بلاد القوقاز وجزائر جالوي

(١) حديث أذاعه من محطة الاذاعة الحكومية وخص به طلبة المدارس الثانوية



وبورنيو في الهند الشرقية وإيران والعراق والمكسيك وأخيراً مصر  
والزيت الخام سائل لزج كزيت الزيتون كما قدمت يختلف لونه من الاسود القاتم الى الاصفر  
الباهت ويوجد غالباً في طبقات الارض المسامية كالرمليّة او الطفليّة الحيرية فيخترق مسامها  
والكهوف التي تتخللها تعلوه طبقة او طبقات من الصخر الصلب ويستخرج منها بحفر آبار  
في خلال الطبقات المرتفعة حتى يصل غور البئر الى الطبقة المسامية فيندفع الزيت المحبوس بقوة  
تتفق ومقدار الضغط الناشئ من وجود غازات محبوسة مع الزيت . ولقد يحدث ان يخرج  
الزيت في نافورة يبلغ ارتفاعها مئات الامتار ويستمر كذلك حتى يهبط الضغط تدريجاً ويصحب  
ذلك طبعاً ضياع مقادير وفيرة من الزيت في بعض الاحيان كما حدث في إحدى آبار بلاد القوقاز اذ  
اندفع الزيت وتكوّنت منه بحيرة فاض زيتها الى بحر قزوين وقدّر ما اندفع منها في الثلاثة  
الايام الاولى بنحو ٤٥٠٠٠٠٠ جالون من الزيت الخام

هذا والى جانب امثال هذه البئر آلاف من الآبار لا ينتج الواحد منها جالوناً واحداً أو  
تخرج منها مقادير ضئيلة لا تفي بعشر معشار ما أنفق على حفرها وتجر بذلك الخراب على مستثمريها  
والنفط من الناحية الكيميائية مزيج من عدة مواد مختلفة الكثافة وباقي الخواص الطبيعية  
الأنها تكاد تتفق جميعاً في كونها ايدروكربونات او مركبات كيميائية من عنصري الكربون  
والايدروجين . وقد دل البحث على ان النفط الخام يتكوّن من ٨٤٪ من الكربون من وزنه  
و ١٢٪ من الايدروجين ومقادير صغيرة متفاوتة من الكبريت والاكسجين والنيتروجين

ولقد استخدم الزيت الخام في اوائل عهد استنباطه في حالته الطبيعية ولم ينقّ الا من الرمل  
والمواد الصلبة العالقة به وذلك بترشيحه من خلال طبقة من القماش ولقد وجد انه لا يصلح الا  
لمرافق محدودة ولذا كانت عملية استنباطه قديماً عملية خاسرة ولولا ان تقدم الاستاذ بنيامين  
سيلمان استاذ الكيمياء في جامعة ( Yale ) بفحص النفط فحصاً كيميائياً ودراسة خواصه وتمكنه  
بعد فحص مستفيض من اشتقاق جملة مواد منه بحالة نقية مقبولة لتأخر ميلاد صناعة البترول  
سنوات عن عام ١٨٥٩

تمكن سيلمان من ان يحوّل الزيت القطراني الكريه الى منتجات شفافة تكاد تكون  
عطرية الرائحة استخدم بعضها للانارة وبعضها كوقود في اول الامر ونشر نتيجة بحوثه فهب  
المستثمرون من كل صوب يبحثون عن الزيت ويستخرجونه من باطن الارض توطئة لاستخراج  
مشتقاته . والاحصاء التالي يبين مقدار اقدمهم

ففي عام ١٨٥٩ استنبط من باطن الارض في آبار بنسلفانيا ٢٠٠٠ برميل والبرميل سعته  
نحو ٤٠ جالوناً



وفي عام ١٨٦٩ كان المستخرج من نفس المنطقة ٤٢١٥٠٠٠ برميل				
» ١٨٩٩ بلغ » » » » ٥٧٠٨٤٤٢٨ برميلاً				
» ١٩٠٦ » » » » ١٢٦٤٩٣٩٣٦ »				
» ١٩٣٨ » » » » ٧٠٠٠٠٠٠٠٠ برميل				

هذا في اميركا أما في مصر وقد استنبط البترول لأول مرة عام ١٩١٣ على يد الشركة الانكليزية المصرية للنفط فقد استخرجت المقادير التالية

في عام ١٩١٤ كان المستخرج ٧٠١٠ اطنان				
» ١٩٢٤ » ١٥٩٥٩٠ طنًا				
» ١٩٣٤ » ٢٢١٠٢٨ »				
» ١٩٣٨ » ٢٢٥٧٣٣ »				

وعملية تقطير النفط صناعيًا معقدة وتختلف باختلاف المكان إلا أني سأشرح العمليات الأساسية التي تكاد تكون مشتركة فيها جميعاً . وتقطير سائل كما تعلمون هو عبارة عن تسخينه في إناء مناسب وإمرار البخار المتصاعدة منه في أنابيب او مسالك تبرّد بطريقة ما فتبهط بذلك درجة حرارة البخار فيسكّاف وينعقد سائلاً يستقبل في وعاء نظيف . وهذه هي طريقة تقطير النفط الخام إذ يوضع في مرآجل كبيرة من الحديد تحمي بوقود مناسب وترقع درجة حرارتها حتى تغلي ويتصاعد منها في أثناء التسخين أبخرة المشتقات المختلفة الداخلة في تكوين المزيج وتمر هذه في أنابيب تحملها الى خزانات مختلفة يحتوي الواحد منها على واحد او اكثر من نتائج التقطير وأساس تقطير النفط هو تقسيمه الى اربعة أقسام أساسية في اول الامر

أما القسم الاول وهو ما يقطر فيما بين ٤٥—٧٠°م ويسمى تجاريًا إيثر البترول وهو سائل كثافته ٠٦٥ رنتجرام ويستخدم في الصناعة كوقود او كمذيب للمواد الدسمة وهذا هو السر في استخدامه في تنظيف الملابس مثلاً ويستخدم كذلك كمذيب للمواد الراتنجية في صناعة الدهانات والورنيش

والقسم الثاني وهو ما يقطر فيما بين ٧٥—١٥٠°م ويعرف في الصناعة بالجازولين وهي المادة التي يسميها العامة بالبنزين وتستخدم كوقود في محركات السيارات والطائرات

والقسم الثالث وهو الذي يقطر فيما بين ١٥٠—٣٠٠°م ويعرف في الصناعة باسم الكيروسين وهو زيت الجاز المعروف الذي يستخدمه سواد الشعب في الاضاءة والطبخ والمرافق المنزلية الاخرى وهو سائل شفاف ذو لون أزرق باهت كثافته ٠٨٠٦ رنتجرام

وأما ما يتبقى في المراجل بعد ذلك فانه في كثير من الاحوال يترك ليبرد فتفصل منه عند



ذاك مادة صلبة شفافة تميل للبياض تسمى بالبارافين وتستخدم في عمل الشموع وفي بعض أدوات العزل الكهربائية ويؤخذ الرشيح بعد فصل البارافين منه وهو سائل أسود لزج يسمى بالمازوت او الزيت الوسخ ويستخدم في ادارة الآلات المعروفة بالآلات ديزل

واذا قطر المازوت فوق درجة ٣٠٠°م فإنه يحصل منه على منتجات أخرى نذكر منها الفازلين وهو عجيبة رخوة لينة والتي منه يستخدم كثيراً في العلاجات الطبية وخاصة في عمل الدهانات المعروفة بالمرام وفي عمل بعض مواد التزين والتجميل عند السيدات ويخرج منه نوع رخو آخر من الشمع يستخدم في طلاء الاراضي الخشبية كما يحصل أيضاً على أنواع مختلفة من الزيوت تستخدم في تشحيم أجزاء الآلات المختلفة نذكر منها زيت المحاور وزيت الاسطوانات وزيت سولار وهكذا. ويتبقى في النهاية القار والاسفلت ويستخدمان غالباً في رصف الطرق وطلاء الاحجار المستخدمة في ذلك وله منافع أخرى

وكل واحد من المنتجات الاربعة الاساسية التي ذكرتها يمكن تقطيره على حدة لاستخراج منتجات فرعية منه تصلح لنوع معين من الصناعات ولا يتسع المجال لذكرها الآن تفصيلاً والنفط المصري اذا قطر تقطيراً عادياً استخرجت المنتجات الآتية وهي : —

منتجات خفيفة وجازولين	٧٧٣٪
» متوسطة او كيروسين	١٤٢٤٪
» ثقيلة او مازوت	٧٧٢١٪
	٩٩١٨٪

ولا يختلف النفط المستخرج من اماكن أخرى عن ذلك كثيراً وما نعرفه جميعاً ان سعر البنزين يزيد على ضعفي سعر الكيروسين او الجاز حجماً بحجم فئمن الجالون من الاول اليوم هو ٨٦ مليماً بينما سعر جالون الجاز هو ٣٤ مليماً وما يستهلكه العالم منهما في نمو دائم ولا سيما ان عدد السيارات والطائرات في زيادة مستمرة وخاصة الآن والعالم يستعد بحموسه الميكانيكية لحرب ضروس عدتها السيارات والطائرات ولذا سعى المنتجون وعاونهم علماء الكيمياء في زيادة محصول البنزين على حساب المنتجات التي تفوقه ثقلًا ووجدوا ان ذلك ممكن بتحطيم جزيئات المركبات الثقيلة فتكوّن منها جزيئات متعددة من المنتجات الخفيفة باستخدام عوامل مساعدة من جهة وبتقطير النفط من ابراج مرتفعة لا تخرج منها الا أبخرة المنتجات الخفيفة وأما الثقيلة فتتكاثف قبل ان تصل قمة البرج وتتساقط رذاذاً خفيفاً على السائل المسخن في جوف البرج فتحطمها الحرارة الى منتجات أخف منها وهكذا فكان في الوسع رفع نسبة الجازولين الحاصل من التقطير من ٨٪ الى اكثر من ٢٠٪ من النفط الخام



ولقد وجد ان المنتجات الحاصلة من التقطير لا تصلح للاستخدام الصناعي من دون تنقيتها من شوائب تخرج مع الابخرة وهي مواد دهنية او قطرانية لوسمح لها بدخول مسالك الآلات الدقيقة لسدتها وعطلت عملها ولذلك فالطريقة العامة لتنقية مشتقات البترول هي مزجها أولاً بالحامض الكبريتيك المركز الذي يفحم تلك الشوائب ثم تنقى الزيوت بعد ذلك من آثار الحامض بفصلها بمحلول الصودا الكاوية ثانياً ثم بالماء النظيف الذي يزيل آثار الصودا واذا كان الزيت الحام يحتوي على كبريت فإنه يبقى منه بأن يضاف اليه الليثارج او المرتك الذهبي وهو اكسيد الرصاص الاصفر الذي يتخذ بالكبريت متحولاً الى كبريتات الرصاص التي ترسب

وبعد ذلك يقطر الزيت للمرة الثانية فيخرج نقياً صالحاً للاستعمال هذا باختصار بيان الطريقة العامة لتكرير البترول والطرق الخاصة كثيرة ومتشعبة الا ان اساسها جميعاً التقطير لفصل النفط الى منتجات متعددة ثم تنقيتها بعد ذلك بالحامض الكبريتيك والصودا الكاوية ثم اعادة تقطير المشتقات كل على حدة

وكلمة اخيرة ارى ان لا بد من ذكرها وهي : ان ما يستخرج من النفط الآن يقرب من الخمسين بليوناً من الجالونات سنوياً ولسنا نعرف بالتدقيق مقدار ما يحويه باطن الأرض من هذا السائل النفيس ولقد بحث ذلك العلماء على البحث عن موارد اخرى للجازولين او البنزين وهو اعلى وأقنع منتجات النفط ولقد اهتمدى الكيميائي النابغة Bergius الذي فاز بجائزة نوبل للكيمياء عام ١٩٣١ الى حل موفق للمشكلة وقد بنى بحثه على حقيقة معروفة وهي ان مقدار الايدروجين الذي يتحد بمقدار معين من الكربون في الفحم الحجري هو نصف الايدروجين المتحد بنفس المقدار من الكربون في النفط فهل اذا تمكن بطريقة ما من جعل الكربون في الفحم يتحد بمقدار آخر من الايدروجين يتحول الفحم الى سائل نفطي نحصل منه على الجازولين؟

بدأ بحثه على هذا الاساس ولقد نجح في ذلك فعلاً وتلخص طريقة برجيوس هذه في اضافة مسحوق الفحم الى زيت ثقيل وبعد وضع الخليط في مراحل متينة من الصلب وتسخينها تحت ضغط يبلغ ٢٠٠ ضعف الضغط الجوي يدفع الايدروجين الغازي الى المراحل وبعد تمام العملية وجد أن الكربون الصلب المسحوق قد ذاب وتحول الخليط داخل المراحل الى سائل نفطي اذا قطر حصل منه الجازولين والكيروسين

هذا ما وصل علمه الى الناس وما لا شك فيه ان علماء آخرين في بلاد اخرى يسعون الى الحصول على الجازولين بطرق اخرى وربما يكون قد نجح اكثر من واحد منهم ومع اخفاء طرقهم عن الناس فالجازولين في الحرب الحالية له مكانة البارود او أعلى من مكانة البارود ومن الجائز اعتبار طرق استنباطه والاستزادة منه من استمرار الحروب



# حياة

مدينة سودانية

لليورباني عبر الرسم زكي

أمين المتحف الحربي بالقاهرة

سواكنه (١)

« يقع نهر سواكن على البحر الأحمر على خط العرض الشمالي ٧° ١٩' وخط الطول الشرقي ٢٠° ٣٧' وعلى نحو ٧٢٠ ميلاً من السويس و ٢٨٥ من مصوع و ٢٠٠ ميلاً من نهر جدة بالحجاز . وهي جزيرة يحيطها ميل ونصف ميل ومساحة من الأرض أمامها على البر الأفريقي يقال لها «القيف» بينهما في البحر مسافة ٤٠ متراً . وقد وصل بينهما بجسر عام ١٨٧٩ عرضة نحو ٨ أمتار بناء جوردون باشا . وهي تقع اليوم على بعد أربعين ميلاً جنوبي بورسودان منافستها التي قضت عليها »

سواكن اليوم في حالة احتضار يحرك أسي النفس فهي في الرمق الأخير من حياتها . لا يزيد عدد سكانها عن أربعة آلاف مع أنه وصل في عصرها الذهبي الى ثلاثين ألفاً . يحيط بها سور قديم كان يشمل على عدة طواب لم تبق منها الا آثارها لتخبر عن جهادها . وميناء سواكن مع انها عميقة وصالحة لرسو السفن الكبيرة بيد ان مدخلها الذي يؤدي اليها لا يتفق بأي حال . وطراز مباني سواكن عثماني كالذي نلاحظه على موانئ البحر الأحمر الأخرى كجدة ومصوع وليست سواكن أقدم نغور الشاطئ الغربي للبحر الأحمر لكنها اشهرها . فقد كانت في أعز ايامها حلقة الاتصال بين بلاد العرب والحبشة ومصر والهند الى بلاد الصين . وزارتها سفن جميع بلاد العالم . وأشار اليها معظم الرحالة من المسلمين وغيرهم في كتاباتهم . ولا يهمننا في قصة هذه المدينة التي اخترت الكتابة عنها ذكر تاريخها الجغرافي الذي يتناقله ابناؤها وتحدث عنه الأمهات لأطفالهن . او أن نقص شيئاً من حياتها المليئة بعجائب ايام النبي سليمان او بعض الحوادث الدموية التي اصابته قبيلة البجة حين عاشت في بطون تلاها القرية منها . بل

(١) اقتبس الكاتب معظم ما كتبه في هذا الموضوع لمقال الكاتب الانجليزي Bloss نشره في مجلة

Sudan Notes and Records بالمعدين ١٩ و ٢٠ عام ١٩٣٦ و ١٩٣٧



سنتناول اهم نواحي تاريخها كما يقتبس المؤلف تقفاً من يوميات السياسي او الفيلسوف كانت الاراضي التي شيدت عليها سوا كن فيما بعد محط رحال القوافل الحبشية او السودانية وكانت تنظرها على الشاطئ السفن المصرية او الاغريقية او الرومانية وأخيراً الاسلامية والعثمانية فتبادل المنتجات وأصناف التجارة . ولما تمت العلاقات التجارية في تلك الانحاء تحولت سوا كن الى ثغر نشط من ثغور الطبقة الأولى . ومضت في سيرها من يسر الى رخاء وثرورة أيام مصر البطلمية . ولا سيما في الفترة الواقعة بين عامي ( ٣٠٠ و ٢٠٠ ق. م. ) وازدهرت منطقة الساحل الجنوبي للشاطئ الغربي للبحر الأحمر بالمحطات البحرية . وقد اشتهرت تلك المحطات بترية الفيلة التي كانت تصاد في أواسط افريقية اذ ذاك او تستجلب من الهند للاتفاع بها في الجيوش الرومانية او المصرية ضمن الاسلحة الثقيلة

وقد عني البطالسة بمنطقة سوا كن وشيدوا عليها مصانع السن . ونمت تلك الصناعة التي احتكرها أهالي البلاد مدة طويلة . واستمر سلطان أسرة البطالسة هناك الى عام ٣٠ ق. م حينما غزا الرومان مصر واستولوا عليها . فوضعوا ايديهم على المستعمرات المصرية التي امتدت على شواطئ البحر الأحمر . واستولوا مناجم الذهب ثم امتد نفوذهم الى جنوبي عدن . ووزعوا تجارتهم على امتداد الساحل بعد ان انشأوا لها معاقل تحميها كما بنوا أسطولا تجارياً قضا به على نفوذ قراصنة البلاد العربية في عام ٥٢ . وقد ترك الرومان آثاراً لهم في تلك الانحاء . ونظن ان صهرنجاً رومانياً مازال باقياً بالقرب من سوا كن

### سوا كن المسلمة

وبزغ نجم الاسلام في شبه الجزيرة العربية . وغزا المسلمون مصر وسوريا والعراق . وكانت بعض القبائل العربية قد رحلت في ظروف مختلفة الى داخل بلاد السودان الشرقية واختلطت بسكانها . ولكن لم يتم الاستعمار الاسلامي بسهولة في داخل السودان — فان قبائل البجة مضت في مقاومة النفوذ الاسلامي طيلة خمسة قرون . كانت البلاد في اثنائها في حالة عدم استقرار . وقد عمت الفوضى بشكل ذريع كل المنطقة الشرقية الساحلية من عيذاب<sup>(١)</sup> الى

(١) ذكر المقرئ ان عيذاب مدينة على ساحل بحر جده (البحر الاحمر) وكانت غير مسورة ومن أعظم مراسي الدنيا بسبب ان سفن الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة وكان الحجاج من مصر والمغرب لا يتوجهون الى مكة المشرفة الا من صحراء عيذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحراء الى عيذاب ومنها يركبون البحر الى جدة . وكذلك تجار الهند . ولم تزل عيذاب سلكاً للحجاج من اهل مصر والجنوب في ذهابهم وايابهم اكثر من مائتي سنة الى عام ١٢٦٢ . وذلك في ايام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وانقطع الحج في البر الى ان كسا السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري السكة ثم اخرج قافلة الحجاج في سنة ١٢٦٨ فقلل سلوك الحجاج لهذه الصحراء



الحبشة . وتسلمت هذه الاخيرة على حكم تلك الاقاليم . وأخيراً تمت عيذاب وصارت من الثغور المصرية الهامة . ولستنا نعرف على وجه التحقيق متى عرفت المدينة بأسمها الحالي ولكننا نقول انه في فترة المائتي عام بين ٧٥٠ و ٩٥٠ ( ميلادية ) تمت القرية الصغيرة وثغرها الطبيعي المواجه لها . واكتسبت بالتدريج منزلة تجارية متواضعة . كانت تترقلها — من حين الى آخر — ثورات الأهالي الذين كانت الحكومة المصرية ترسل حملات عسكرية لتأديبهم

وقد ذكر الاستاذ الانكليزي « ا . ر . رينسون » في مقال نشره بجمريدة الجمعية الافريقية عام ١٩٢٨ . انه بعد قتل الخليفة مروان الثاني عام ٧٥٠ أنجحت أسرته جنوباً الى أكسوم عن طريق النيل وسواكن وعقيق . وقد عثر على مقابر اتباع الخليفة الاموي على شاطئ البحر الاحمر وعلى امتداد الطريق الذي اتبعه رجال الأسرة في فرارهم

وفي منتصف القرن الخامس عشر بلغت سواكن درجة المنافسة الخطيرة لعيذاب ثغر الشمال لانها كانت إذ ذاك الثغر الوحيد لتجارة السودان الداخلية بعد ان كانت قرية ساحلية كما أسلفنا القول يلجأ اليها أصحاب السفن في طلب المياه . ثم تمت المدينة وعمرت وزاد عدد سكانها ومضت الامبراطورية الاسلامية تتسع رقعتها وتزداد قوة وبأساً . ففي عام ١١٧٢ غزا صلاح الدين بلاد النوبة . ودخل أهلها في دين الله أفواجا . واستولى المسلمون على بيت المقدس . فلفت ذلك انظار الدول المسيحية الذين اتفقت كلمتهم على إيفاد حملة صليبية لاستعادته من يد المسلمين . وفي ذلك الحين كانت السفن المسيحية تشن الغارة على ثغور البحر الاحمر مما أثر في تجارة سواكن مدة قصيرة . وإلى أواخر القرن الثالث عشر كانت سواكن تدين بالطاعة لسلطان مصر . وكان حاكمها خاضعاً لها وقادراً على ادارة شؤونها . وكان سلاطين المماليك على جانب وافر من القوة والجبروت فلم يترددوا في إرسال حملاتهم القوية لتأمين البلاد كلما قام الناثرون ضد الحكم المصري . فانتظمت التجارة وعم الأمن البلاد . وبلغت حدود مصر الى جنوبي سواكن وفي عام ١٣٦٦ اثناء حكم السلطان شعبان وصلت الجيوش المصرية الى أعالي النيل . وبلغت شاطئ البحر الاحمر الى سواكن . وانتصرت بسهولة على القوات التي قاومتها . ولكن لم تثبت أقدام الحكام المصريين لفسوة رجالهم . وقامت عليهم القبائل وطردتهم من البلاد الى اسوان ومنذ أوائل القرن الخامس عشر تمت مساحة سواكن نمواً محسوساً . وعاد ذلك الى حالة اليسر التي تمتعت بها البلاد المصرية في تلك الايام . فقد كانت سفائن الاسطول المصري التجاري تتمخر عباب البحرين المصريين الابيض والاحمر الى المحيط الهندي . وبلغت ثغور الهند والصين حاملة متيجات البلاد الغنية — وباضمحلال ثغر عيذاب (حوالي ١٤٢٨) أصبحت سواكن الثغر المصري الوحيد على شاطئ البحر الاحمر من جهة الجنوب . واتخذها الحجاج ممراً لهم في







طريقهم من مصر الى البلاد العربية واليمن . واحتكرت وحدها تجارة السودان . وقصدها جميع السفن من الجنوب ومن الشمال . ومنذ العام المذكور (١٤٢٨) الى انشاء بور سودان في أوائل هذا القرن كانت سوا كن ميناء البحر الاحمر بلا منافس على الاطلاق

### العثمانيون في سواكنه

وفي عام ١٥١٧ لما استولى العثمانيون على مصر أرسلوا عدة حملات عسكرية الى الجنوب بقيادة سنان باشا . فوضعوا أيديهم على أراضي الممالك في مصوع وسوا كن وجده . وكانت حوادث ذلك القرن عاملاً هاماً في تغيير أحوال نفور البحر الاحمر أولاً لاحتلال الاتراك النفور المذكورة . وثانياً لاستكشاف طريق رأس الرجاء الصالح بواسطة البرتغاليين . فتحولت معظم السفن الأوربية وأخصها سفن البرتغال الى الطريق الجديد وباستيلاء الاتراك على سوا كن لحقها التحسن والنمو . فشيّدوا المنازل من حجر المرجان . وعينوا والياً من باشواتهم على رأس قوة من الجند . كما صنعوا في جده ومصوع . واحتفظوا بأسطول جعلوا قاعدته في السويس . ولكي يحافظوا على سلامتهم البحرية في هذه المياه شمالاً حرموا على البرتغاليين دخول البحر الاحمر وجعلوه منطقة خاصة بسفائن السلطان . فلم تتجاوز سفن البرتغال المياه الحبشية . ومهما يكن من شيء فكثيراً ما اصطدمت القوتان المتنافستان . . . تركيا والبرتغال . ففي عام ١٥٤٠ هاجم أسطول برتغالي بقيادة أمير البحر «ستيفانو دي جاما» أسطول العثمانيين ولم يكسب الموقعة أحد الفريقين . وقد وقعت بالقرب من سوا كن . وأتيح لاحد رجال الاسطول البرتغالي الدون جوان داكاسترو مشاهدة المدينة وقد وصفها بالعبارة التالية: «من أغنى مدن الشرق» وأنها تضيق بالعمارة والسكان . وانها قريبة الشبه بلشبونه . . . نمت سوا كن على حساب مصوع . لأنها كانت أقرب النفور الى القاعدة التركية جده . وكثيراً ما استخدمت قاعدة للقوات العثمانية التي غزت اليمن واكتسبت المنزلة الأولى بين نفور ذلك الشاطئ . وقد استمر يحكمها الوالي العثماني الى القرن الثامن عشر . وبلغ عدد رعاياها الترك في عام ١٦٧٣ حوالي المائة

### القرنان الثامن عشر والتاسع عشر

وفي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت للاتراك السيادة الاسمية في البحر الاحمر وعلى البلدان المطلة عليه . وقد تفوقت النخاسة على كل تجارة أخرى بسبب وجود القراصنة وكان همهم الوحيد نهب السفن والاستيلاء على ما فيها . ولم يكن يجزئ التجار الفرنج على المجازفة بثروتهم خوفاً من ان تقع في ايدي الناهيين



وقد وصف الرحالة « بروس » تجارة سواكن وصفاً دقيقاً ودونه فيما كتبه عن رحلاته بين عامي ١٧٦٨ و ١٧٧٣ . ومع ان بروس لم يزر المدينة مطلقاً الا أنه قد تناول الكلام عن تاريخها . ومعظم البيوت القائمة الى اليوم في سواكن من بناء اواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كمزمل خورشيد افندي الذي شيده صاحبه التركي في عام ١٧٧٠ . وهو ملاصق لفرع البنك الاهلي (القديم) . وأقدم بيوت سواكن ما قام منها في قلب الجزيرة ومعظمها خرب اليوم ولم يبق الا بعض آثار بيت الباشا حيث كان يسكن الوالي مع رجاله . وقد جددت بعض بيوت سواكن في اثناء الاحتلال المصري في القرن الماضي . ويلاحظ هذا التجديد في تنوع طرازي العمارة المصرية والعثمانية . ولما زار العلامة « بورخاردت » سواكن في العام الماضي قال عنها انها تصدر ما بين ألفين وثلاثة آلاف من الرقيق كل عام الى جده

وفي اوائل القرن التاسع عشر فتح محمد علي باشا السودان وضمه الى ممتلكاته وأعاد اليه النظام بعد الفوضى . واستولى على الموانئ الثلاثة جدة وسواكن ومصوع في مقابل جزية وفأها الى السلطان . وقد زار السير صمويل بايكر سواكن في ١٨٦١ . وكانت اذ ذاك مستودعاً كبيراً لتجارة الصادر والوارد الى مصر . وقد أشار بزراعة القطن حول المدينة والعناية بواردات الصنع والعاج والجلد وشمع النحل . وقد شاهد سوراً يحميها ضد غارات القبائل المجاورة يحيط به خندق عميق بناء المصريون بالبن

في ذلك الحين زار المدينة ممتاز باشا وحاول اقناع تجارها بوضع الميناء تحت الادارة المصرية لتصل اليهم اصناف بضائعهم من مصر مباشرة بدلاً من مرورها بشعر جدة . ولكن لم يوافق التجار على رأيه ورأوا ان ذلك سيسهل مجيء التجار المصريين فيحلون محلهم تدريجاً ويقبضون على ازمة تجارة الثغر . وعلى الرغم من احتجاج هؤلاء التجار تسلمت الادارة المصرية المدينة مقابل زيادة الجزية المصرية ١٢٥٠٠٠ دولار . وتسلمت أيضاً ميناء مصوع . وفي عام ١٨٦٥ استعاد الاتراك سلطانهم على بعض ممتلكاتهم العربية مستعينين بحملة من الجيش المصري

### أيام الخريف اسماعيل

وفي أيام اسماعيل تطورت أحوال السودان الاقتصادية وشرع في بذل مساعٍ متعددة لاستغلال موارده . وقد نجحت معظمها . كانت سواكن ميناء السودان الوحيد ، وكانت في مقام تجاري لا ينافسها فيه أحد للتجارة الواردة الى مصر ومن الهند والحبشة وبلاد العرب واليمن . فضلاً عن أنها الميناء الرئيسي لحجاج السودان وإفريقية الغربية . ولذلك ارتفعت منزلتها وارتقت في خلال النصف الثاني من القرن الماضي



وكان ممتاز باشا اول حاكم للميناء تقلد منصبه في عام ١٨٦٦ . وفي أيامه تقدمت حركة البناء في المدينة وظهرت روح التقدم واضحة . فأصلح بناء محافظتها وزاد عليه الجزء العلوي . واقام كثيرون من التجار المصريين بيوتاً كثيرة ونمت حركة التجارة الى حد كبير . وكانت حاجة مصر الى المال الكثير داعية لفرض ضرائب ثقيلة على واردات جمراتها . ولما لم تكن حركة السفن في الميناء منظمة ارتفعت نفقات التخزين . فهبط ميزان حركتها وقد تحدث «بايكر» عن امكان الارتفاع بالميناء لو تحسنت حركة السفن ونظمت . ولما نشبت نيران الحرب الانكليزية الحبشية في عام ١٨٦٨ فكر اولو الامر في أفضل الطرق التي تتبع لارسال الميرة والذخيرة الى القوات . فمد خط تلغرافي بينها وبين كسلا . وفضلت ميناء سواكن كقاعدة حربية عن مصوع . وكانت تستغرق الرحلة على ظهر الجمل من سواكن الى كسلا من ١٦ الى ٢٠ يوماً

وقد بلغ عدد سكان سواكن عام ١٨٦٩ ثمانية آلاف فقط . فقل عددهم عما كان عليه في اثناء الحكم المصري . وفي العام المذكور افتتحت قناة السويس . فعادت عليها يغم طيب . ونشطت حركتها التجارية . وقصدها كثيرون من التجار الاوربيين والمصريين

وفي عام ١٨٧٢ زار سواكن الكاتب الانكليزي «سووارد» فأشار الى ما يرجي منها . وتحدث ايضاً في الطريقة التي اشتراها بها الخديو اسماعيل من الحكومة العثمانية . وفي ذلك العام تم وصل الخط التلغرافي بينها وبين كسلا . كما وضع السودان الشرقي تحت امرة حاكم واحد . ونقل مقر حكمه الى مصوع واكتفى بأرسال وكيل له الى نغرسواكن . واستبدل «مونزنجير» بك بممتاز باشا الذي سافر الى مصوع . وفي عام ١٨٧٧ تقلد علي رضا باشا منصب مونزنجير بك . وفي عام ١٨٧٧ عين جوردون باشا حاكماً عاماً للسودان . وفي طريقه الى الخرطوم مر بسواكن فأمر ببناء الجسر الذي يربط الجزيرة بالشاطئ الافريقي . فتم إنشاؤه في النصف الاول من عام ١٨٧٨ بواسطة عدد كبير من المذنبين . وكان علي رضا حاكماً عليها

وفي عام ١٨٨١ صدر مرسوم مصري قرر فيه فصل اقليم السودان الشرقي وجعله قائماً بنفسه تحت امرة حاكم عام مستقل عن حكومة الخرطوم . وعين لهذا المنصب اللواء علاء الدين باشا . فتقلده في اوائل عام ١٨٨٢ . وقد قوبل خبر استبدال علي رضا بالفرح والسرور في سواكن بين جميع الاوساط لانه كان مكروهاً ومتصفاً بصفات كثيرة لم تكن لتجعله محبوباً بين أهلها

\*\*\*

وفي يونيو ١٨٨٣ أنشئت لجنة لبحث مشروع انشاء خطوط سكة حديدية في السودان فاقترحت الخطوط الثلاثة الآتية :

١ — سواكن — كسلا — جوز رجاب — الخرطوم . ويخترق هذا الخط اقليم زراعة



القطن . وقد اعترض عليه لعقات هندسية . ٢ - القاهرة - الخرطوم . قامت صعوبات طبيعية أخرى . فرؤي مده الى اسوان فقط . ٣ - سواكن - بربر - الخرطوم . ولم يعترض هذا المشروع عراقيل ما . بيد انه لم يعبأ به في تقرير اللجنة . فلم ينشأ خط من الخطوط المذكورة . وتصادف اندلاع الثورة المهدية . ونشوبها في شرقي السودان تحت امرة القائد عثمان دقنة وانتشرت في تلك الناحية في عام ١٨٨٣

### عثمان دقنة

وكان عثمان دقنة <sup>(١)</sup> مدير الثورة ورأسها والحرك الأول في اشغالها من عام ١٨٧٧ . فلما استولى المهدي على « الالبيض » سافر عثمان دقنة اليه . وقدم فروض الطاعة . فقلده هذا امارة السودان الشرقي . فعاد الى اسوان حاملاً خطابات المهدي . وكانت قبائل جبال البحر الأحمر لم تسلم اليه امورها باديء الأمر ولم تكن مرتاحة الى أعماله . لكنها غيرت موقفها عقب عودته من زيارة المهدي . فاحترموه وأحلوه مكاناً عالياً في قلوبهم وقصة ثورة شرقي السودان معروفة ولا محل لسردها بالتفصيل هنا . وان كنا نقول ان عثمان دقنة لقي مع رجاله في اول جهوده ضد الحكومة المصرية هزائم متعددة . لكنها لم تقل من عزيمته ولم تؤثر فيها التأثير الذي كانت تتوقعه الدوائر الرسمية . وفي نوفمبر ١٨٨٣ عين سليمان باشا نيازي حاكماً للسودان الشرقي وحضر الى سواكن . وفي طريقه اليها أقام في سنكات خوفاً من مهاجمته واستدعى حامية سواكن اليه لحراسته . وبينما كانت الحامية سائرة الى الباشا هاجمتها قبائل القبائل وأبادتها ، واضطر الحاكم للاستنجاد برجال حامية سنكات ، وكان نجاح عثمان دقنة مشجعاً لتمامي رجاله في ثورتهم وانضم اليهم قاضي سواكن وبعض اعيانها وكانت النتيجة ان تقدم الى طوكر . وإذ ذاك شكلت قوة من المصريين والباشبوزق والسودانيين وأرسلت من سواكن الى ترنكنات لتخليص طوكر . لكنها هزمت

### سواكن بين عامي ١٨٨٣ و ١٨٩٨

إن تاريخ سواكن في فترة الخمسة عشر عام التي تتوسط ١٨٨٣ و ١٨٨٩ هو وصف مسهب

(١) ولد عثمان دقنة في سواكن . وكان أفراد أسرته يزاولون مهنة النخاسة وينقلون الرقيق من أعالي النيل الى بلاد العرب . فلما بلغ سن الرجولة شاطرهم العمل في مهنتهم . وقد حدث في سنة ١٨٧٧ ان امرت الطرادة الانكليزية ( دابل سوان ) زورقه . وكان فيه مائة سوداني وسودانية فرج به في السجن وحكم عليه بفرامة الف جنيه . وكان من الطبيعي ان ينطوي صدر عثمان دقنة على الحقد للانكليز فبدأ يضرهم نار الفتنة في سواكن ومنها الى بربر والالبيض وتعاون مع المهدي في ثورته . وأخيراً في ١٣ يناير عام ١٩٠٠ بينما كان معتصماً بأحد الجبال أسلم نفسه الى كتيبته فاعتقل الى ان مات عام ١٩٢٤ راجع تاريخ حياته في كتاب Jackson



للمعارك الدموية التي نشبت بين قبائل السودان الشرقي والقوات المصرية والانكليزية والعثمانية. فكم من أبطال زهقت أرواحهم واستشهدوا في سبيل إعادة الأمن والطمأنينة. نعلم ان الثورة المهدية نشبت متأججة في صدور رجالها القاطنين بشرقي السودان في منتصف عام ١٨٨٣ لما قام الزعيم عثمان دقنة تاجر الرقيق وجمع حوله الرؤساء الاقوياء من قبيلة همدنوه والقبائل الأخرى وأغاروا على سواكن، وكانت للحكومة المصرية حاميات كثيرة موزعة بين أنحاء ذلك الاقليم الشاسع، بين سنكات وطوكر وكسلا وجيرة والقضارف والجلابات، وفي نقطتين بشمال الحبشة، فلم يمض العام المذكور حتى كانت كل تلك الحاميات مهددة بحصار رجال تلك القبائل. وفي حالة شديدة الحرج

واذا أحصينا الحملات المتتالية التي أرسلت للقضاء على عثمان دقنة وجدناها سلسلة من الهزائم المنكرة. ففي اكتوبر سنة ١٨٨٣ أباد العدو قوة أرسلت لانقاذ سنكات. وفي ٤ نوفمبر هزمت تجريدة أخرى أرسلت الى طوكر وذبح قائدها مونكر يف. ولم نكد تصل الى سواكن قوة امداد من القاهرة قوامها ٢٦٢٠ جندي بقيادة الكولونيل ثاليتين بايكر حتى سمع رجالها بنكبة سابقة حلت بسبعائة جندي بالقرب من طمانيب. وكان المنتظر ان يقوم بايكر بالقضاء نهائياً على قوات الدراويش. لكنه أصيب أيضاً بأشنع نكبة أصيب بها الجيش بعد حملة هيكلس المعروفة، وتفصيل الحادث أنه في أوائل عام ١٨٨٤ تقدم لتخليص طوكر. فلما وصل الى الطب هوجمت حملته وتعدادها ٣٧٠٠ رجال عثمان دقنة وعددهم ١٢٠٠. فولت جنوده الأدبار ولقوا حتفهم في أبشع صورة. ولم ينج الا ثلث القوة بأعجوبة. ونجا «بايكر» وزملاؤه من البريطانيين، وغنم العدو ثلاثة آلاف بندقية وأربعة مدافع كروب

### البطل توفيق المصري

وفي ٨ فبراير سقطت سنكات بعد بلاء قائدها البطل «محمد توفيق» وجنوده ضروباً نادرة في أعمال البسالة ورجاله الذين استشهدوا جميعاً، وما زالت ذكراهم المحيدة أنشودة يتغنى بها سكان تلك البقاع. وترددها من حين الى آخر الكتب الانكليزية والعربية. فلما وصلت أخبار تلك الهزائم المتتالية الى الحكومة الانكليزية. أرسلت حملة بقيادة الجنرال جراهام قوامها أربعة آلاف لتخليص طوكر، فاكسبت نصراً يذكر في موقعة الطب (٢٩ فبراير ١٨٨٤) وفي موقعة طماي (١٣ مارس ١٨٨٤) التي اكتسحت فيها جوع الدراويش. وفي ذلك العام عين الماچور شرمسيد حاكماً عاماً للسودان

ثم سقطت القضارف في ايدي الدراويش. وفي العام نفسه تسلمت انكلترا مدينتي بربر



وزيلع من الحكومة المصرية . وسلمت هرر للوطنين وتخلت مصر نهائياً عن هذه الأقاليم وحدثت فيما بعد معارك هاشين ( ٢٠ مارس ١٨٨٥ ) وطوفريك ( ٢٢ مارس ) وطاي ( ٣ ابريل ) لكن لم تأت إحداها نتيجة فاصلة . وفي تلك الفترة سلمت مصر ثغر مصوع للايطاليين وفي ابتداء عام ١٨٨٦ حاول عثمان دقنة القيام بحركات حول سواكن لكنه لم يلق تشجيعاً من رجال القبائل وحاربه بعضهم . فأجبروه على الفرار وظل محتفياً لا يسمع أحداً باسمه عاماً طويلاً وفي ذلك الحين اشتعلت الحرب بين قوات الاحباش والدرأويش وقد انتهت بانتصار الآخريين في موقعة ديراسين . ودخلوا جندار

وفي اواخر عام ١٨٨٨ ظهر عثمان دقنة مبتدئاً بحصار سواكن فهزم وارقد الى هندوب وحاول الكولونيل كيتشنر على رأس بعض قواته غير النظامية القضاء على قوات عثمان . فلقى خيبة ذريعة وأصيب بجرح خطير في وجهه . استمر القتال دائراً في فترات متتالية حول سواكن الى ان ارسلت القاهرة قوات نظامية من الجيش المصري وأورطة انكليزية سلمت قيادتها الى السير «فرانسز جرنقل» . فالتحمت بقوات الدراويش . ونالت نصراً باهراً عليها في موقعة الجليزة ( ٢٠ ديسمبر ١٨٨٨ ) وقضت على العدو . وفي ٩ مارس ١٨٨٩ حدثت موقعة المنمة . وفي ١٩ فبراير ١٨٩١ وقعت معركة طوكر بعد استيلاء الكولونيل هوليدسميث على ترنكتات والطب . وارقد عثمان دقنة الى قرية تيمرين . وفي عام ١٨٩٣ تولى حكمدارية سواكن الكولونيل هنتر ثم خلفه الكولونيل ونجت . لقد سادت ذلك الأقليم المعارك الدموية سنين طويلة الى ان كتب له الخلاص بانتصار الجيوش المصرية والبريطانية على قوات المهديين في معركة ام درمان ( ١٨٩٨ ) وبالقضاء نهائياً على قوات عثمان دقنة استأنفت سواكن - الى حد ما - حياة الطمانينة والهدوء . وان بقيت ادارتها خاضعة للاحكام العسكرية . وانتظمت احوال المعيشة فيها غير ان التجارة كانت مقيدة بقوانين . وافتتح محافظها الكولونيل لويد ( وقد عين عام ١٨٩٥ ) مدرسة اميرية في الحيف . وكانت اول المدارس في تلك الأقاليم . وبدأت الحكومة السودانية تعنى بوضع برامج الاصلاحات والتعمير في انحاء البلاد . وقامت على أكتاف جنود الجيش المصري عدة مشروعات عمرانية جلبت الخيرات على أهالي البلاد

### العلم المصري

كانت سواكن محط انظار رجال الدولتين لما لها من المنزلة التجارية . فهي كما عرفنا المنفذ الوحيد للقطر السوداني . وكانت الى عام ١٨٩٩ وهي السنة التي وقع فيها الاتفاق الانكليزي المصري خاضعة للإدارة المصرية البحتة ، فكانت المدينة الوحيدة التي رفع عليها العلم المصري دون العلم البريطاني ، وكانت تطبق عليها اللوائح والقوانين المتبعة في مصر ، ولا شك ان



هذا الموقف لم يرق الأسد البريطاني في ذلك الحين ، فعمل على اضافة فقرة جديدة في اتفاق عام ١٨٩٩ وبموجبها ادخلت سواكن ضمن الاقاليم السودانية ، ورفع العلمان معاً منذ عام ١٩٠٠ وعند ذلك بدأ بحث عدة مشروعات هندسية لتحسين ثغر سواكن للانتفاع بها ، فوضعت مقترحات شتى تتعلق بالمدينة وثغرها ، وبحث بعض تلك الأمور المستر « كروسلند » في كتابه « حدائق الصحراء والمياه على ساحل البحر الاحمر » ، وتناولها ايضاً المستر ريشموند في مقال له سجل فيه مقترحاته لانشاء مدينة جديدة مع تحسين احوال المدينة القائمة المشتملة على الجزيرة والحيف ، وقدم مقترحاته عام ١٩٠٣ لبحثها وكان من أهمها انشاء حي للاوربيين عند نقطة « جراهام » ، وبناء رصيف بحري محاذ الجانب الجنوبي للميناء بالقرب من المسكان الذي وقع عليه اختيار تشييد مدينة جديدة وبناء محطة نهائية للسكة الحديد ، واعادة تخطيط الجزيرة والحيف من جديد بأساليب حديثة ، وقد رؤي ان تقوم الحكومة بجميع هذه المشروعات والبدء بشراء الأراضي اللازمة لتنفيذ التعديلات الجديدة ، وقد اتفقت وجهات النظر في ذلك الوقت على ان المدينة بحالها لا تصلح مطلقاً لأعمالها في المستقبل

وفي عام ١٩٠٤ كتب الكولونيل « رالستون كينيدي » مدير الأشغال الملكية بالسودان تقريراً عن التعديلات الضرورية لسواكن ، ولأول مرة نقرأ تقريراً تدور اهم نقطه حول فكرة جديدة ، وهي الارتفاع بموقع « مرسى برغوث » السكّان على مسافة أربعين ميلاً شمالي سواكن ولأول مرة نقرأ هذا الرأي وفيه القضاء نهائياً على سواكن كثغر للسودان ، وقد ارفق المستر « كينيدي » بتقريره تخطيطاً للمدينة المقترحة ، وأشار الى وفرة المياه الغزيرة في خور أرباط القريب منها ، وكانت النتيجة أن لقي هذا التقرير موافقة عامة ، ورؤي في الحال التخلي عن التغييرات المقترحة لسواكن وبناء ثغر جديد في مرسى برغوث ، أما الثغر الجديد فلا يتم بناؤه الا بعد أعوام ، فإذا تصنع الحكومة ؟ تقوم سواكن بدورها النهائي الى ان تؤدي الميناء الجديد مهمتها المقبلة

\*\*\*

استطاع لورد كرومر بما كان له من نفوذ توفير المال المطلوب لانشاء السكة الحديد بين عطبرة وسواكن ، وفي اكتوبر عام ١٩٠٥ قطع القطار لأول مرة المسافة بين المدينتين في ثلاثين ساعة ، وفي يناير من السنة التالية امتدت السكة الحديدية الى بورسودان ، وهو الاسم الذي أطلق على الثغر الجديد الذي كان العمل جارياً في انشائه ، وكان لورد كرومر قد رأى ان يطلق على المدينة اسم « بورت ونجت » ورأى « ونجت » ان يكون اسمها « بورسودان » ولكن لم يعمل بالرأين وقرر ان يكون « بورسودان »



## وأخيراً.....

قامت سواكن بمهمتها كمنفذ للسودان مدة ليست قصيرة . انتقلت اليها المصارف وبيوتات الاعمال والتلغراف وشركات الملاحة والنقل — الخ ، وكان موظفو الحكومة وغيرهم من الأوربيين يسكنون البيوت القديمة في الجزيرة حيث أقيم ناد لهم وبعض ملاعب التنس وغيرها وكنيسة انكليزية

وفي عام ١٩٠٥ كسر سد المياه الذي خارج سواكن فتدفقت المياه من خلفه وغطت على الحيف وأغرقتة ، فشيّد مكانه سور جديد من السمّنت المسلح لا يزال قائماً الى اليوم ، وبدأ الحجاج ينقلون منها في سنايك كبيرة ، وباختصار نمت تجارة سواكن نمواً كبيراً ، وكانت معظم واردات السودان تصل اليه عن طريقها

وفي عام ١٩١٠ انتقلت رئاسة المديرية الى بور سودان . وفي ذلك العام افتتحها الخديو عباس ولم يكن نقل المتاجر قد تمّ عن طريق الميناء الجديد . وظلت سواكن تقوم بعملها الاقتصادي على أحسن ما يرام . وجاءت الحرب العظمى فلم تحقق ما كان مرجوّاً من بور سودان . واستمرت الأولى على تأدية دورها فأطيلت حياتها مدة أخرى . وفي عام ١٩٢٢ بدأت الاشغال الكبيرة تتجه ناحية بور سودان . وانتقلت نخبة منزلة سواكن الى زميلتها الجديدة بور سودان

## الدور النهائي

جاء دور السقوط النهائي لسواكن . فأصابتها الاهمال والنسيان . وقلما اقتربت من ثغرها سفينة كبيرة . فاعتلى وجهها الحراب والشقاء . وبدأت تتحول عمائرهما الشرقية الى آثار خربة او أكوام من الانقاض . وخصص مبلغ ١٥٠ جنياً في ميزانية الحكومة للاحتفاظ بمبانيها . ولقي « الحيف » ما لاقته الجزيرة من اهمال . وتحولت أسواقها العامرة الى أماكن خالية . وتحول سجنها الى مصبغة وأصبح البنك الاهلي استراحة . وعطلت اعمال الكورتينا فلا تؤديها الا أثناء موسم الحج

كان لسواكن المدينة السودانية حقاً طابعها الخاص التي امتازت به على جميع مدن السودان ، ولكن انتهت حياتها بعد ان ادت دورها ، واختلست زميلتها المصرية عذاب مدة الى ان جاءت بور سودان ، فاختلست هي ايضاً ، ولن تقوم لها قائمة بعد اليوم ، فقد ادت رسالتها كمنفذ شرقي ، وسوف لا ينسى المؤرخ السوداني ماضيها المجيد ، ووقائعها وملاحمها ومن استشهد في بقاعها من الابطال ، كذلك لا يغفل عنها رجل الاقتصاد ، وما كانت عليه من مقام فريد



# هنري دافيد ثورو



كاتب الطبيعة والعزلة والامساس

لمحمد عبد الغني حسن

في مارس سنة ١٨٤٥ حينما اقترض هنري دافيد ثورو فأساً من صديقه النابه «الكوت» واخترق الغابة الى غدير «والدن» كان يمشي الى تحقيق أمل طالما صبت نفسه الى تحقيقه ... وكانت ذكرياته الاولى ترجع دائماً الى هذه البقعة التي تبعد ميلاً عن القرية ، لانه يذكر وهو صغير ان جدته احتملته وطوّقت به في تلك الغابة فودّ لو أتاحت له الايام ان تكون له مقاماً . وكبر الصبي ، وساقه الشوق الى الغابة ، ودعاه الهوى الى الغدير فأخذ يتردد عليه صائداً او سابحاً في الصيف ، أو منزلقاً على الجليد في الشتاء . ولقد فتن جمال الغدير ، وهدوء الغابة وعزالتها قلب الكاتب فكان يختلف اليها من حين الى حين . وما زال كذلك حتى حجب اليه المقام هناك فأقام في جامعة هارفرد التي « ثورو » بشاب يدرس الأدب القديم ، وقد اختار له كوخاً على ضفاف غدير هاديء .. لعل عزلة المكان تشجعه على المضي في دراسته . فود « ثورو » لو أتيج له أن يجد مكاناً مثل ذلك المكان تطمئن اليه نفسه وفي ذلك كتبت اليه « مس مارجريت فلر » سنة ١٨٤١ ( اود ان تخبرني هل ما زلت على عادتك من التردد الى ذلك الكوخ المنفرد ؟ لعلك تكتب إلي عن شاكسبير وهل كنت تقرؤه في ذلك الهدوء الجميل ) . ليس هذا الكوخ المنفرد هو الذي قضى الكاتب فيه أيام عزله . وانما هو اول كوخ اتخذته فراراً من القرية الهائجة استعداداً لكوخه الاخير في ( والدن )

ولد « ثورو » في كونكورد ( أميركا الشمالية ) سنة ١٨١٧ في بيت متواضع من أب اتخذ صناعة أقلام الرصاص حرفه له ، وأم مرحلة طروب اسمها سنثيا . وبعد اتمام دراسته الثانوية دخل جامعة هارفرد فلم يكن فيها ناهياً ولا دائماً . وانما اكتفى بالحصول على درجتها الجامعية . ودخل ميدان الحياة صانعاً للأقلام مرة ، ومعلماً مرة أخرى ، وصاحب جريدة أخيراً . وكان في صناعة التعليم زميلاً لشقيقه وحبيبه (جون) في إحدى مدارس كونكورد . وفي صيف سنة ١٨٣٩ بنى هو وأخوه قارباً وقاما برحلة نهرية اسفرت عن اول كتبه (أسبوع على نهر كونكورد ومير يماك) . لقد كانت صداقة ثورو الاولى بعد تركه الجامعة مع شاب نابه من قريته



اسمهُ «رالف امرسون» فكان الود بينهما وثيقاً طويلاً الأمد . ولقد بلغ من وثوق الصلة بينهما ان عاش ثورو في بيت صاحبه ثلاث سنوات يساعده في تنسيق الحديقة ويدبر معه شئون البيت وكان ثورو يصنع الاقلام ويبيي الاسوار ويمسح الارض . ولا ييالي العمل الحقير ما دام شريفاً . وظل كذلك حتى فاجأ جيرانه وأهل قريته — وهم عمليون لا يسبحون في سموات الخيال — بفراره الى الغابة للسكن في كوخ حقير . . .

لم يصطحب « ثورو » معه الى الغابة الا بدنه الصحيح وعقله الرجيح ونفسه الهادئة كأنما وطن العزم على ان يستمتع بها الى حد بعيد . . . وكانت نضارة شبابه وصحة بدنه واستواء تركيبة اكبر عون له على العيش في الغابات . فهو ابن ثمان وعشرين . قصير بدين . مليء نشاطاً وحياة — وصف شبابه الاول في آخر أيامه فقال ( لقد كانت حياتي متاعاً . في الشباب حلوة الي كرهائه ) . ويقول ( ليس النبوغ الا توفر الحياة واكتمال العافية . . . حتى نستطيع ان نحس الجمال في كل شيء : — في هذه الحبّات من التوت نطعمها . وفي خوار البقر كأنما يردد اصداؤه الجيل الهاديء قبل المساء . . . حيث الندى المتأرجح يعطر الهواء . . . وهناك قوة لا تزول . وصفاء هاديء يخيّل الى المرء معها أن هذا الصباح المشرق دائم الى الابد . . كل منظر أو صوت . وكل أريج أو طعم يسكر الانسان بخمر الصحة . . . )

كان ( ثورو ) حاد الحواس لانه استعملها في الاحساس بحال هذا العالم . ولقد قويت حاسة الشم فيه حتى أصبح يميز بين الازهار في ظلمة الليل الهميم برائحها لا بشكلها . وكان يذوق الاشياء التي يرى الناس خطراً في تذوقها . . ولما ضعفت عينه من اختلاف السنين وتطاول العمر لم تضعف فيه قوة الابصار . وكان صديقه « امرسون » يدعوها « العين المجهرية »

اما الصوت فكان له تأثير عميق في نفسه . فهو يفرح اذا سمع نباح الكلب أو خوار البقر . . أو مرور الريح على الشجر . . وهو يطرب اذا سمع أسلاك البرق ترن رنيناً . أو أصغى الى البعوض يطن طنيناً . أو صوت واحدة من خشاش الارض . . . هذه الاصوات المختلفة كانت تجعله يقضي الليل قائماً مستمعاً او كما يقول هو عن نفسه « مغموراً في أمواج الصوت المتلاطمة » وكان يقول ( أنا أحمد الله على الصوت . الصوت دائماً يصعد . ويجعلني دائماً في صعود ) ويقول ( لقد كانت حياتي بالامس متقطعة لا اتصال فيها ولا عمق في معناها ومنذ الساعة التي ارهفت فيها سمعي عادت الي حريقي واتابني شعور روحاني )

ولا تنس حاسة اللمس فقد كانت قوية فيه وكان يقول ( بدني كله يستطيع ان يلمس ) . ولقد عوّد يديه العمل . فكان نجاراً وبنّاء وفلاحاً ومساحاً وعاملاً في مصنع . وكان في ذلك



كله مجيداً . كان يستطيع أن يصنع قارباً أو يقيم سوراً أو يبني بيتاً أو يرفع مدخنة أو يزرع حقلاً أو يضع قلماً . . . وكان ذلك سبيله الى كسب عيشه واقامة صلبه . وخلق الميل الى العزلة في نفس « ثورو » ميلاً الى الانتفاع بالتجارب . وأتاح له أيامه في « كونكورد » و « هارثرد » أن يوسع معارفه في الادب القديم وان يكتسب حباً لا يبلغ ما أنتج الادب الانكليزي ولم يكن مع ذلك كله متوقد الذكاء ولا مكباً على الدرس وانما هي طريقة هادئة اختارها ووصل بها الى ما يريد . وأضاف الى حبه للادب الانكليزي حباً آخر فأغرم بالكتب المقدسة ولا سيما كتب الهند ووجد لذة في مطالعة تاريخ أميركا وخطط مدنها وخاصة مدن « انكلترا الجديدة » واهتم بقراءة أخبار المستعمرين الاولين

وكيف يقاسي العزلة او يتحمل مرارة الوحدة من امتلات خزان قلبه بهذا التاريخ العظيم ؟ كان ثورو الطفل يجد سرور نفسه في الازهار والطيور والحيوان والاشجار والحيال والغدر ( جمع غدير ) والحقول فلما كبر تحول ذلك كله الى عاطفة شعرية لازمه طول حياته اسمعه يقول ( أيتها الطبيعة الغالية ! كم أتذكر الآن — بعد نسيان قصير — غابات الصنوبر ! اني أتمالك عليها كما يتمالك الجائع على كسرة من الخبز )

وكأنما أحست هوام الارض وبغات الطير بعطفه عليها . . . ! فاطمأنت اليه . . . لقد كانت الطير تحط على كتفيه . والسماك يجري الى راحته . والزواحف تلتف حول رجله . والجربذ يدور حوله ويداعبه . وما اجل رضاه بأن يعيش عيشاً ساذجاً بين هؤلاء الاصدقاء المتواضعين ! كان « ثورو » رحالة عظيماً لا يدانيه عطاء الرحالين . ولكن رحلته كما قال هو لم تتجاوز ارض قريته ( كونكورد ) فهو لم يركب بحراً . ولم ينشر قلاعاً . ولكنه مع ذلك عرف لذة المخاطرة . وذاق حلاوة الاستكشاف . انه استكشف كونكورد قريته الصغيرة ! انه استكشف نفسه ! انه ركب بحاراً بعيدة المدى بمجولة الشاطئ عميقة الاغوار . ورجع الى الميناء محملاً بمجائب الكنوز . انه ذاق اللذة التي ذاقها خرسفورس كولبوس ورجاله حينما دفعتم الامواج الغريبة الى ارض نائية بعيدة . انه احس بما احس به المستكشفون الذين وقفوا صامتين على قمة في « داريان » ينظرون بعين العجب الى عظمة المحيط الهادي . . .

لم يكن ثورو مخاطراً فحسب بل كان ثائراً . انه ثار على الكنيسة وأبى ان يدفع لها ضريبتها . انه ثار على الحكومة وأبى ان يدفع لها ضرائبها . . . انه ثار على المجتمع . . .

ولما سجنوه في ثورته زاره في السجن صديقه امرسون وقال له ( لماذا انت هنا ؟ ) فكان رده عليه ( ولماذا أنت لست هنا ؟ ) . وكأنه يقول لصاحبه : في مثل هذا الوقت وفي مثل هذا الظرف يجب ان يكون السجن للرجال . . .



والآن نصل الحديث عن قرية « كونكورد » التي ولد فيها ثورو . فكانت وحي ألهامه الاول . والمشهد الذي تفتحت على جماله عيناه الطفلتان . .

في حرب الملك فيليب لم يستطع الهنود ان يغلبوا على هذه القرية مع أنهم أحرقوا جاراتها الصغيرة . وتقول خرافة تاريخية ان رئيس الهنود أطل على القرية من هضبة مجاورة ثم قال « لن نستطيع ان نغلب هذه القرية الفاتنة . . أنها محبوبة الروح العظيم »

ولا تمتاز هذه القرية بمعدن او منجم . . حتى جليدها الابيض لم يسلم من الحصى الأغبر في طياته . وانما تمتاز بغاباتها وحشائشها وهدوءها السائد . وفي ظل هذا الهدوء نشأ امرسون وثورو . ولقد كان امرسون صديق كاتبنا وأستاذه ورفيقه في الغابة يرتاح الى هذا الهدوء الذي لا يقطعه الا خير الماء ، وخوار البقر ، ونبع الشاة ، وتمتمة النسيم . وكان يقول ( ان هذه الابار الجائمة تحت ظل هذه الاشجار تبدو لي كأنها سباحة في بحار من الافكار العظيمة الهادئة ) وفي هذه القرية أيضاً يقول مستر بروكس مؤرخ الادب الاميركي ( كانت هذه القرية مدرسة لدراسة الطبيعة البشرية . يستطيع المرء ان يتعلم فيها شتى أنواع المهن بالتحدث الى صانعيها او بدأها . وقد تجمع فيها تاريخ البشرية وتكرر حتى لئى العالم في أحد أركانها المتواضعة . نعم العالم بماضيه ومستقبله ) . نشأ الصديقان كزهرتين ناميتين في حوض واحد . . . وكانت احدى الزهرتين اكبر من اختها وأشد صبغاً . وكانت الثانية أنفد رائحة . وكان ما بينهما من المسافة يأذن للنسيم بالمرور على كل واحدة في طلاقة وحرية

كان ثورو مثل امرسون يخرج الى الغابة كل يوم ومعه أوراقه يدون فيها مشاهد ومرائيه . ومعه « عينه المجهرية » يشاهدها ألواناً شتى من جشورات الارض وهوامها . ولم يكن ينظر الى الطبيعة فحسب . بل كان ينظر فيها ويرى خلالها ويدرك ما وراءها

انه كان يحب الوادي وهو مغمور في بحار الضباب الكثيف حيث تبدو فيه الاشجار كأنها السفن في غمر المحيط . وما أحب المطر الى نفسه ، يتساقط كالسيل المنهمر وهو واقف تحت شجرة ينظر الى اوراقها المتناثرة تحت قدميه ، او يفحص لحاءها المتقشر

وكانت غدران (والذن) كما يصفها هو بقامه « بلوراً على سطح الأرض . ولو قدّر لها ان تتجمد وتصلح لحلت — كالأحجار الكريمة — الى الابطرة لتزين رؤوسهم . ولكن سيولتها وكثرتها جعلتها قليلة القيمة »

هذا هو هنري دافيد ثورو الأميركي ، هدني اليه ايقلين ميلر Evelyn Miller الكاتبة الأميركية يوم ان التقينا على نهري الشير واللوار بفرنسا سنة ١٩٣٤ . فسمعت في صوتها صوت الطبيعة الجبهر . . .



ارو عطشك بماء فيه ملح قليل

## العطش والماء

في الصحة والمرض

للككتور غيره رزق

طبيب مستشفى الميناء والملاحه في الفاو ( العراق )

الشعور بالعطش حالة فسيولوجية عامة يمكن تحديدها بحاجة الانسان—والحيوانات كافة—الى تعويض خسائر الجسم الدائمة من سائل الدم الذي يُفرز عرقاً وبولاً او مفرزات اخرى مختلفة والعطش يكون على نوعين : الأول منهما يظهر في اثناء تناول الطعام كنتيجة محتملة لضرورة تحليل الأطعمة الجامدة ، والآخر بين وجبات الطعام . وهو يتفاوت بحسب حالة الانسان الصحية ويكون بوجه عام على أشده في الامراض الحموية الحادة ، ولا سيما داء السكر والهيبضة (الكوليرا) حيث يصعب التغلب عليه . أما في الحالات السوية فيكون مرتبطاً بما يخسره الجسم من العرق والبول والبراز والتنفس وغيره . وهذه المفرزات تقدر بنحو ٣٠٠٠ غرام من الماء يومياً وذلك حسبما يلي : ٣٣٠ غراماً بالتنفس و ٦٦٠ غراماً بالعرق و ١٧٠٠ غرام بالبول و ١٣٠ غراماً بالبراز . ولما كانت انساج الجسم تحتوي على سبعة اعشار من الماء كان لا بد اذ ذلك من تعويض تلك المفرزات بادخال مقدار مساو لها من الماء ، في جسم الانسان . ويتم هذا في الدرجة الأولى بما نتناوله من مختلف الأطعمة التي تحتوي على مقدار وافر منه . فالخبطة مثلاً تحتوي على ١٣٠ غراماً بالألف من الماء ، والحلن ٣٧٠ ، ولحم الثور ٧٣٤ ، والأسماك ٧٨٥ ، والتوت الأفرنجي ( Fraises ) ٨٧٤ ، والسلطة ٩٤٠ . وقس على ذلك سائر الأطعمة ، مما يعني احياناً بعض الاشخاص عن شرب الماء أو بالأحرى يكفهم الاقلال منه ، وعلى الضد من ذلك اذا امسكنا عن تناول الطعام فتركيب خلايا جسمنا يجعل تلبية الاحساس بالظلمة لامندوحة عنها ، وهذا الاحساس يكون غالباً أشد تأثيراً من الجوع

ويجب ألا يغرب عن ذهننا ان الافراط في استعمال التوابل والملح والفلفل واللحوم المحموسة والأطعمة المقلوة من شأنه ان يزيد وطأة العطش . وكذلك التدخين الذي يسبب



جفافاً في الفم ، ومثله الماء الآسن . وعلى كل يجب الامتناع عن شرب مقادير وافرة من الماء ، وعلى الخصوص الماء المثلوج عند الذي ينضج عرقه تجنباً لحدوث احتقان رئوي او دماغي غالباً ما يكون وخيم العاقبة

وعند ما يتعذر نفع غلة الظأ فالحساس به يتحول الى ألم حقيقي . وقد يعتري الفم والبلعوم الجفاف فالتهاب فالغثغينة ، وفي بعض الحالات يغدو الشخص فريسة للتهيج والهذيان وينتهي الأمر أخيراً بالموت الذي لا مفر منه كما يحدث أحياناً لبعض المسافرين في الفلوات والصحاري القاحلة ، أو في البحار عند ما ينفد ماؤهم

اما مركز العطش فيظهر أنه خلف البلعوم ويؤيد ذلك تسكين غلة الظأ بوضع قطعة من النسيج مبتلة بالماء على مقدمة العنق ، أو بالاستحمام أو بالحقن الوريدية من الماء المعقم وعلى كل مهما تكن أسباب العطش الجوهرية فيجب ان نشرب لنعيش وهنا نجد انفسنا بين أمرين متناقضين : فاما الشرب بافراط (Dipsomanie) كما يفعل بعضهم ، وإما الامتناع عنه (Adipsie) كما نشاهد ذلك أحياناً في بعض الاحوال عند كثير من الناس

وفي وسعنا من الوجهة الطبية ان نعتبر الافراط في شرب الماء مرضاً حقيقياً ذا علاقة وثيقة بوجه عام بمايسمونه « الهذيان الكحولي المرتعش » (Delirium tremens) او بأحد أشكاله المعروفة . والمصاب بهذه الحالة يكون معرّضاً غالباً لأشد الآلام لعجزه عن ارواء عطشه فاذا ما حاول التغلب على هذا العطش اتجهت أفكاره الى تعاطي الخمر والمشروبات الكحولية الاخرى ، ويغدو أخيراً فريسة للهيجان ونوبات الجنون المطبق

امّا الامساك عن شرب الماء فيشاهد في بعض الاشخاص الذين اعتادوا ان يكتفوا بقليل جداً منه او عدم تناوله بتاتاً في اثناء تناول الطعام . فأى الحالتين تراها اشد ملائمة من الناحية الصحية : الافراط في شرب الماء أم الاقلال منه ؟ من الراجح ان يستطيع كثير من الناس بالترويض الخاص اعتياد الامتناع عن تناول السوائل في اثناء الأكل . وكذلك تصبح هذه العادة غريزة تتعذر ازالتها ، والعادة كما يقول المثل طبيعة ثانية . ومع ذلك فالتقليد والعرف والعادات غالباً ما تفري الناس وتحملهم على الشرب في اثناء تناول الطعام ولا سيما اذا كانت المائدة مجهزة ببعض المأكول الشهية اللذيذة والمشروبات الفاخرة . اذ لا يعقل ان ينتهي الانسان من تناول طعامه ثم يجرع بعده مقداراً وافراً دفعة واحدة مما يزيد من المشروبات التي امامه

اما من ناحية الحيوانات كالحياد والثيران مثلاً فتجد انفسها مرتاحة مثلاً الى اتباع قاعدة معينة في طعامها وشربها عند ما تكون في الاصطبل . فزاهي تأكل أولاً ثم تشرب بعد ذلك . لكنها تخالف هذه القاعدة عند ما تكون في المراعي والحقول وذلك ان طعامها الجامد يتخلله



بين حين وآخر جرعات صغيرة من الماء . كذلك يفعل الكلب عندما يضعون امامه وعاء من الحساء مثلاً فإنه يقطع طعامه هذا من الحساء ليلعق الماء بين فترة وأخرى

\*\*\*

قلنا فيما تقدم ان الافراط في شرب الماء يُعدُّ مرضاً حقيقياً وابتاً عواقبه الوخيمة . والواقع ان المسأين او شربي الماء الذين غالباً ما يشكون آلاماً واضطراباً في المعدة لا تتحسن حالتهم قطعاً بهذه الطريقة بل على عكس ذلك تزداد سوءاً في بعض الاحيان . فهم يشربون كثيراً ظناً منهم ان شرب الماء القراح هو أشدُّ ملاءمة لهم من الناحية الصحية وأقل المشروبات خطراً ، وبذلك لا مانع يمنع ، بحسب زعمهم ، تناول مقدار وافر من الماء عندما يشعر احدهم بالظم . وقد طلع علينا أحد أطباء الألمان في السنوات الأخيرة ، يدعى الدكتور ستاركنستين Starkenstein بنظرية جديدة استوقفت انظار بعض الباحثين ، وهو ان الماء النقي الطبيعي الذي يعتقد الناس انه السائل الوحيد الذي ينقع غلة العطش هو ، بحسب زعمه ، أقل السوائل تأثيراً في تسكين هذا العطش . واليك البيان :

لتهذبة العطش يقتضي تعويض ما ينحسرهُ الجسم من الماء بسبب العرق وأبخرة التنفس والبول وغيرها . وعند ما يتم هذا التعويض بمساعدة المراكز الدماغية أولاً ثم بالشعور المؤلم الناتج عن جفاف الفم والبلعوم ، يتم حينئذٍ التوازن المنشود بين الداخل الى الجسم من الماء والخارج منه ويزول ذاك الاحساس المؤلم . لكن عندما تزداد خسارة الجسم من الماء في إبان القيظ مثلاً حيث يغدو التنفس سريعاً والحاجة الى تعويض الماء المفقود تكثر فجأة ، يضطر طبعاً الى المزيد من الشرب فاذا كان هذا الشرب من الماء كان عملنا على ما يظهر ، خطأ فسيولوجياً فاضحاً لان الماء النقي الذي نشربه يُفرز سريعاً بالعرق والبول وغيره لتنشيطه غدد هذين الافرازين ، وفي هذه الحالة لا تلبث الحاجة الى الشرب ان تتجدد سريعاً فكلما كثر الشرب كثرت الافرازات . ولكي يبقى الماء المتناول في الجسم ويعوض النقص الحاصل بصورة ثابتة يجب ان تكون نسبة الاملاح المعدنية المذابة فيه معادلة للنسبة الموجود منها في مصل الدم نفسه وفي سوائل الجسم الاخرى أيضاً ( ٨ بالآلف تقريباً ) . أما اذا كانت أملاح الماء الذي نشربه أقل من ٨ بالآلف فتتهبط حينئذٍ نسبة الاملاح في مصل الدم وهذا ما يدعو الى تهيج غدد العرق والكلية فيعرق الانسان ويبول كثيراً . وكذلك يختل التوازن وتتجدد العملية نفسها من جهة افرازات الجسم الزائدة من الماء ويحدث العطش سريعاً من جديد

واختبارات الدكتور ستاركنستين هذه قد أدت كل التأييدهذه النظرية الصائبة او بالأحرى هذه القاعدة التي يصح الاعتماد عليها . لان السائل الذي يدخل الجسم لا يمكن ان يغدو فعلاً



سائلاً ثابتاً فيه ، وبقدر ما يكون الماء نقيّاً ، خالياً من الاملاح وقریباً من الماء المقطر يكون بقاءه في الجسم قصيراً

أما الماء المحلى بالسكر وهو يتضمّن الشاي والقهوة ومنقوع الحشائش والبذور فلا فائدة منه أيضاً من هذه الناحية لأنه يستنفد سريعاً بواسطة أنساج الجسم ويعود ماءً نقيّاً . كذلك اللبن الحليب لاحتوائه على سكر اللبن وهو مدرّ للبول . والشاي والقهوة هما أيضاً مدران للبول لاحتوائهما على مادة الكافيين ، ومثلها كثير من النباتات المنقوعة والمغلية المتصفة بذات الخواص المدرة للبول لاحتوائهما على نترات البوتاس

ويدخل في هذه القائمة أيضاً حمض الكربون الذي يهيج افرازات البول . ولهذا يقتضي في حالة ارواء الظمّ نبد جميع المشروبات الغازية كاللّجة ، وعصير التفاح ( Cidre ) والابجاص والشبانيا والليموناده الغازية الخ . وأردأ المشروبات التي تقدم ذكرها هي الشاي والقهوة وعرق السوس لأنها تهيج معاً افراز البول والعرق

ونخلص من ذلك كله الى أن أفضل ماء يهدى العطش هو شراب نسبة الملح فيه تقرب من تركيب المصل الصناعي اي الذي يحتوي على ٨ — ١٠ غرامات من كلور الصوديوم في اللتر الواحد اما الاملاح القلوية في المياه المعدنية ، والسيترات والبيكاربونات والليمونادة الطبيعية فلا تفيد من هذه الناحية لأنها أيضاً ذات خواص مدرة للبول ، على الضدّ من كلورور الصوديوم الذي يفضل عليها جميعاً لأنه يحفظ في أنساج الجسم

\*\*\*

وربّ سائل يسأل : كيف يمكننا أن ننصح بشرب الماء المالح ارواء للعطش ؟ الجواب عن ذلك لاول وهلة كلا . ولكن الواقع ان الماء المالح (بنسبة ٨ بالالف) لا يكاد يشعر شاربهُ بطعمه . ويكفي أن نضيف أيضاً هذا القدر من الملح الى المشروبات الاخرى التي أتينا على ذكرها كي يزول او يتبدل ذلك الطعم المالح وتبقى فائدة هذه المشروبات كما هي . وعلى كلّ ينبغي ألا تتعدى نسبة الملح ٨ بالالف خوفاً من عودة الشعور بالعطش الى ما كانت عليه قبلاً

فهذه البحوث التي أجراها الدكتور ستاركنتستين بغية التوصل الى أفضل سائل يمكن اتخاذه نموذجاً للعمال في المعادن ، والذين يشتغلون بالزجاج ، والفلة والحصادين الخ — أولئك الذين قضية العطش عندهم أمرٌ مؤلم اومضنك معاً بسبب العرق الزائد الذي يتصب من أجسامهم والذي يضعف قواهم العصبية ويقلل من اتاجهم في الوقت نفسه — يمكنها أن تسدي أفضل الخدمات ، فتزيل عنهم تلك الموانع والاضرار وتحسن حالتهم ويكثر اتاجهم وذلك باضافة ملعقة صغيرة من الملح ( قدر ملعقة قهوة ) الى شرابهم اليومي



# سِيرُ الزَّمَانِ

---

## مقدمة لتاريخ الحرب العالمية الثانية

---

١ — فترة التفاؤل والتفهم

٢ — ثورة المصراع

٣ — النظام النازي وأساسه

٤ — مقررات ونتائج

أ — معاهدة فرساي

ب — حبوط العقوبات

ج — الروح الديمقراطي





# مقدمة لتاريخ الحرب

## العالمية الثانية

### ١ — فترة التفاؤل والنهم

يتصف ربع القرن المنقضي بين سنة ١٩١٤ و١٩٣٩ بصفة المأساة في أدب اليونان الاقدمين . فقد شُيِّد فوق انقراض الحرب العالمية الماضية قصر تعمرة آمال جديدة معقدها توطيد السلام الدائم وترسيخ الاصول الديمقراطية ونشر العدل الاجتماعي . وجاءت فترة من الزمان لاح فيها ان بعض الأمم سائر الى تحقيق هذه الآمال . ولكنها آمال انهارت معقورة بالتراب عند ما نشبت الحرب العالمية الثانية ، وهي حرب لا يعلم احد مداها ولا عواقبها وعلى الرغم مما بدا في معاهدة فرساي من مواطن الضعف ، فليس ثمة ريب في ان واضعها حاولوا ان يجعلوها اساساً لنظام دولي جديد . وقد شهد العالم في السنين الخمس عشرة التي انقضت على وضعها مساعي صادقة بذلت لانشاء منشآت دولية تقرب التعاون وتمنع الحرب في المستقبل . فجامعة الأمم ، ومكتب العمل الدولي ومحكمة العدل الدولية انشئت جميعاً في هذه الفترة . وجاءت ايام عقد فيها ممثلو العالم — اذا استثنينا الولايات المتحدة الاميركية وروسيا في العهد الاول — اجتماعات دورية في جنيف وبدا لمتبعي شؤون العالم ، لحة من الزمان ، ان الجامعة قد انشأت مجتمعاً دولياً ساحقاً ، وفازت هنيئة في منع العالم من الانقسام معسكرين متعاديين . ومع ان الولايات المتحدة الاميركية تكررت للرئيس ولسن إلا أنها حاولت ان تسدي ما تستطيعه من ناحيتها في مؤتمر وشنطن ( ١٩٢١ ) ثم في ميثاق باريس ( ١٩٢٨ ) . وكان هناك فريق من الناس يرى انه من المتعذر استئصال البغضاء القومية من النفوس والقضاء على الحرب ، فاضطروا امام ما تم ان ينجحوا الطريق للفتائلين بان في الوسع تحريم الحرب . وليس هناك شك في ان العالم أخذ بفكرة مقاومة الحرب وتحريمها ، اذ شعرت جميع الشعوب بسخطها ومقتها للمجازر المنظمة وأعمال التدمير الواسعة النطاق . حتى في ايطاليا الفاشية ومانيا النازية ، لم يصعد الحاكمون بأمرهم على اكناف الناس الى مقاعد الحكم الا لانهم احرزوا انتصارات قومية لم يبقوا فيها دماً ولم يزجوا في سبيلها بأهمهم في نيران الحروب . ومن المحتمل ان العالم لم يشهد في فترة سابقة من تاريخه نزعة السلام وهي أقوى وأعز مما كانت في خلال العشرين السنة الماضية . فالناس اقل تحمساً للحرب العالمية الثانية منهم لاية حرب سابقة



وقد صحب السعي الى منع الحرب وتحريمها ارتقاء عظيم شمل أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية في نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فرم الناس مادماً وخرب في الحرب الماضية ووسعوا نطاق الانتاج ومدوا في اسباب المواصلات والمحاطبات بالاذاعة اللاسلكية والتلفون اللاسلكي البعيد المدى والطائرات حتى انكشفت اقطار الارض ومضوا في ترقية العلوم والفنون الصناعية ورد حدود المجهول حتى غدا بعض الفلاسفة يتنبأون بأن الآلات سوف تقضي على الضجر الناشئ من العمل باليد

في خلال هذه الفترة زاد دخل العمال والطبقات المتوسطة في بعض البلدان. وأمسّت الجماهير تتمتع فعلاً بمستوى من المعيشة كان أمنية ترنو إليها انظار اجدادهم. وحنى المال في المدن متعة خاصة من الصور المتحركة والاذاعة اللاسلكية والسيارة. ومع ان الفلاحين لم يشاركوا عمال المدن في كثير من هذه المتع إلا أن حالهم تحسنت كثيراً بما اقترته الحكومات من برامج الإصلاح الزراعي وحماية الزراع. والواقع ان ما بدا من عناية بعض الحكومات بالفلاح — ولو كان ذلك على حساب الاقتصاد الدولي — كان من الميزات التي اتصفت بها هذه الفترة من تاريخ العالم الحديث

وجاءت الأزمة الاقتصادية العالمية في سنة ١٩٢٩ وتلاها استفحال امر الحاكمين بأمرهم فصدّم المفائلون بمستقبل البشر في السنوات التي تلت عقد الصلح اشد صدمة في آملهم وأحلامهم. نفيم على العالم جو تملؤه المخاوف لاحفاق الدول الديمقراطية في حل مشكلة التعطل عن العمل وجبوت سعيها للاتفاق مع الدول الدكتاتورية. ومع ذلك ظل ملايين من الناس مقتنعين بأن هذه المشكلات لا يحتمل ان تقضي الى حرب تشمل أوروبا وبلاياها ورزاياها حتى كان اليوم الثالث من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ اذ اعلان المستر تشمبرلن «قيام حالة حرب». قال في مجلس النواب «كل ما عملت في سبيله وبذيت عليه رجائي وآمنت به في أثناء اشتغالي بالشؤون العامة قد انهار انقاضاً»

\*\*\*

اما اليوم فانتا نرى الآمال التي كانت تعمر صدور الناس في خلال العقدين الماضيين مضطربة مشوشة. لم يبق من جامعة الامم إلا قصرها الفخيم على ساحل بحيرة ليمان وكأنه مقبرة آمال عظام. وميثاق تحريم الحرب الذي حرك انبل الشعوب في بعض الامم ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية وأثار فيها حماسة تكاد تكون دينية، لا يبدو كونه اضحوكة. اما السير في سبيل الارتقاء الاجتماعي فلا بد من الانحراف عنه في الدول المحاربة، والحد منه في الدول المحايدة. ومع ان دولاً كثيرة لا تزال متمسكة بحيادها فلا بد من القول بأن خطر انتشار الحرب في



جميع انحاء العالم ابدأ جاثم على الصدور كالسكابوس . ومعظم البراعة الفنية والصناعية في كثير من الامم متجهة الآن الى كشف اساليب جديدة للتدمير . وعلى كل دولة محاربة ان تتوقع خسائر كبيرة في الارواح وارهاباً لجمهور الشعب الا من وانخفاضاً في مستوى المعيشة . وجاء ربح من الزمن ذهب الظن فيه الى ان اتصال الشعوب بعضها ببعض قد ينشئ روحاً عالمياً جديداً ولكن ذلك قد اخذ بخلي الطريق لاستحكام الحقد والبغضاء تغذيها وتثيرها الدعاية المفرضة وقد يكون من التعميم الذي لا مسوغ له ان نقول ان الحرب العالمية الثانية ستدمر الحضارة . ولكن لا ريب في ان شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ كان مستهلّ عهد جديد في التاريخ، صفته البارزة تفاقم البؤس الانساني، واستفحال التحوّل الاجتماعي استفحالاً لا يعلم أحداً الى أين ينتهي فكيف نفسّر هذا اللغز الغريب ؟ ان الانسان الذي كاد أن يحقق في ربع القرن الماضي أعلى آماله اترجّ الآن في نضال مدمر لا يقبل عليه افراد اي فرع من فروع مملكة الحيوان . وكيف نفهم سرّ هذا المخلوق الذي يرتفع في بعض أدوار التاريخ حتى يقف عند أقدام الآلهة ثم زاه وقد انساق الى كارثة يعرف لها اول ولا يعرف لها آخر ؟

## ٢ - ثورة المرصرا

كان التقدم الذي تمّ في العقد الثالث من هذا القرن أقرب الى الوهم منه الى الحقيقة لانه كان محصوراً في طائفة يسيرة من الأمم . فالتضخم المالي الذي اكتسح في المانيا ودول اوربا الوسطى الناشء عن الحرب الماضية وعواقبها، محا الطبقة المتوسطة من سفر الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وقامت في طائفة من البلدان مشكلة مزمنة أساسها التعطل عن العمل وانتشار الفاقة ، وكان الناس يصيحون طالين الحرية ، فلما لم يجدوا فيها ما يشبع حاجاتهم المادية الملحة طلبوا السلامة وضمان الحياة . وليس ثمة ريب في ان احد البواعث الاساسية على ما في العالم من اضطراب إنما هو سعي الجماهير الى ضمان حياتهم ورغبتهم في مستوى أعلى من العيش

وقد كانت الدول الديمقراطية في غرب اوربا والولايات المتحدة الاميركية قادرة بما تملكه من موارد على مواجهة هذه المشكلة الاجتماعية من دون ان تقضي على نظام الملك الخاص ومبدأ الحرية . ولكن الدول الأخرى التي لم تملك من الموارد ما يمكنها من تلبية طلب الجمهور للسلامة والحرية ، سرت فيها موجة ضد نظم الحياة القائمة فاتجهت صوب الدكتاتورية . ففي روسيا السوفيتية والمانيا النازية وايطاليا الفاشية فاز الناس بأعمال يزاولونها . قد يكونون واهمين في اعتقادهم أنهم أحرزوا السلامة التي يطلبونها، ولكن جذور النظم الاجتماعية القديمة كادت تقتلع من الأغوار في خلال هذا التحول الذي طرأ عليها . هنا سخر الناس من مبادئ الحرية التي تسود غرب



أوروبا ، فانقلب الفرد جزءاً من آلة ، فاذا لم يلائم بين نفسه وبين حالته الجديدة ، وظلّ مصرّاً على انه فرد له رأيٌ خاص ناله الارهاب ، فاما ان يقبل الحالة الجديدة واما ان يزول كانت الحكومات الديمقراطية والحكومات الدكتاتورية في الماضي تستطيع ان تعيش جنباً الى جنب ، ولكن الدول الدكتاتورية غدت دولاً تضرب بمعمل الثورة صرح الحضارة القائمة وأساسها عداءٌ مستحكم للديمقراطية والرأسمالية . فالحزب الشيوعي المعروف بالدولي الثالث يشجع الاحزاب الشيوعية في كل دولة ، واذا طبق هذا الحزب مبادئه فلا ريب في انه سيمحو الطبقتين العليا والمتوسطة في شرق بولندة ويقضي على الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية فيه . وتأثير الدكتاتوريتين النازية والفاشية ليس بأضيق مدى من تأثير الشيوعية ، فايطاليا والمانيا أمداً الجزال فرانكو بالعون ليقم في اسبانيا نظاماً من الحكم والاجتماع على نمط نظامهما . والحزب النازي يطالب حكومته بفرض نظام الحزب الواحد المعادي لليهود على بوهيميا ومورافيا . وما كادت تشب هذه الحرب حتى اغتال الحرس الحديدي المسيو كالينسكو رئيس وزارة رومانيا ( ٢١ سبتمبر ١٩٣٩ ) والحرس جمعية رومانية سرّية تأخذ بمبادئ النازية ويقال انها تتلقى المدد المالي من المانيا . فالدول الدكتاتورية لا تثير حرباً عدوانية فقط بل وتسمى الى اصدار مبادئ ثورة جديدة من بلادها الى بلدان أخرى

واذا كانت ايطاليا متأثرة بفكرة احياء المجد الروماني القديم ، فان روسيا والمانيا تسعيان الى الفوز بتأييد الجماهير المتبرمة الساخطة في جميع البلدان فتطلب اليهم ان يقدموا على مذبحة العقيدة النازية او الشيوعية قربان ولائهم القديم

شهدت أوروبا الغربية ثورتين عظيمتين في الماضي ، ثورة البيورتان سنة ١٦٤٢ والثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ وليس ثمّة ريب في ان كرومويل في الاولى وروبسبير في الثانية تطرفا في بعض ما فعلا ، وان الثورتين اعقبتا ألماً وبؤساً كثيراً . ولكن عند ما انهار النظام الذي اقامته كل من الثورتين ، ترك وراءه أثراً من المبادئ التي شبت نار الثورتين في سبيلها . اما الآن فمن المتعذر على الباحث ان يقتنع بان النظم الدكتاتورية القائمة الآن ستترك وراءها أثراً نافعاً . وذلك لأنها لا تقوم على مبدأ أدبي ، وتضحي بالشخصية في سبيل المشيئة المشتركة . وهي تهدم الفوارق بين الطبقات لتقيم فوارق جديدة لا تجعل الطبقات الجديدة اقدر على حمل عبء الارتقاء الاجتماعي السليم المتزن من الطبقات القديمة . ثم انها تحكم بتحريك الشعور وإثارة الغريزة لا بالاستناد الى القانون ولا التسامي . قد ينجم عن كل هذا ان تتعلم الدول الديمقراطية الحلّ الصحيح للمشكلة الاجتماعية ، ولكن الثمن الذي تدفعه في سبيل العلم كبير وقد يكون مرهقاً اما السبب الآخر من اسباب هذه الحرب ، فهو انبعاث الخصومات القومية القديمة . فقد



انقضت عصور كانت فيها السيطرة لوضع دول كبيرة ، لكل منها سيادة لا تكاد تحدد ، وكل منها تسعى الى ضمان مصالحها وتوسيع نطاقها ولو كان ذلك على حساب الدول الاخرى . والباحث في تاريخ العصور الماضية يلحظ فيه دورة ، ينتقل فيها لواء السيطرة من دولة كبيرة الى اخرى . كانت اسبانيا وهولندة والسويد والنمسا وبولندة دول اوربا الكبرى قبل الثورة الفرنسية في ازمان متفاوتة . أما الدول الثلاث الاولى فقد ضعف شأنها الآن واما الدولتان الاخيرتان فقد ذهبتا الى حين . فما حبت نار الثورة الفرنسية حتى كانت السيطرة قد انتقلت الى بريطانيا وفرنسا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وهاهي ذي المانيا تمتازعهما السيادة وتؤديها في ذلك روسيا السوفياتية واليابان وايطاليا

ولا ريب في ان بريطانيا وفرنسا تعيان بمصالحهما ، ولكنهما كذلك بلدا الرأسمالية والديمقراطية والحرية . حالة ان المانيا النازية تمثل نزعة التوسع الدكتاتوري . وهناك فريق من الالمان يعتقدون ان يوم بريطانيا جاء عليه الدهر ، وان منشأتها عتيقة وجامدة لا تصلح لمواجهة الاجوال الجديدة وان نفوذها العالمي لا بد منتقل الى المانيا . فاذا ضحت هذه الآراء (وقد سبقها نبؤات من قبلها في سنة ١٧٨٣ عندما خسرت بريطانيا مستعمراتها الاميركية وفي سنة ١٩١٤ عند ما نشبت الحرب العالمية الماضية ولكنها لم تصح ) فبادئ الحكم الديمقراطي التي عززتها بريطانيا وفرنسا ونشرتها في القرن الماضي لا بد ان تنهار وتحل محلها مبادئ النازي وهي ما تزال قائمة على قاعدة الزعامة والخضوع لها . واما المانيا النازية ماضية في سبيلها متمسكة بسمعة النزعة القومية المتطرفة . وقد وصف هتلر المسألة التي يدور عليها النضال عند ما قال للسفير البريطاني يوم ٢٤ اغسطس ان انكلترا تحارب في سبيل «العناصر الصغيرة» وأما هو فيحارب في سبيل المانيا

وما يضطرم في صدر المانيا النازية وروسيا السوفيتية من البغضاء لبريطانيا لا يرتد الى الحسد من امبراطوريتها المتسعة وثورتها العظيمة فقط بل والى نظامها الاجتماعي . فانكلترا هي الدولة الوحيدة في العالم التي تحكمها طبقة من المحافظين تستطيع ان تفوز بولاء عامة الشعب . وقد تمكنت هذه الطبقة الحاكمة من الفوز بذلك بترسيخها في طبقات الشعب فكرة الوحدة القومية المقترنة بالديمقراطية والحرية . من المحتمل ان هذه الحرية كانت في بعض العهود وهما يغشاه الرياء ومع ذلك كتب بحاثه الماني يدعى الأستاذ ديبلوس Dibelius بعد ما تقلد هتلر ازمة الحكم في المانيا ما يلي : « ان انكلترا هي البلد الوحيد في العالم الذي يجمع بين رعاية مصالحه من ناحية وقدرته على منح شيء نفيس للدول الاخرى . هي البلد الوحيد في العالم الذي لا تمثل فيه الوطنية تهديداً او تحدياً لسائر العالم ولذلك تلف من حولها جميع العناصر النازعة الى الكمال الراغبة



في التقدم في سائر الأمم للتعاون معها « فتجاح انكسارنا في الماضي يجعلها هدفاً للدول الدكتاتورية فالجرب العالمية الثانية الناشئة الآن ليست مجرد نضال امبراطوري على المواد الخام . إنما هي ثورة شبت نيرانها دول « الجماهير » بغية توزيع الثروة توزيعاً جديداً . فهي في الداخل تقلب الأوضاع الاجتماعية ، وفي الخارج تسعى الى هدم منزلة الدول الغربية المتفوقة . فالمسألة التي يدور النزاع من حولها ليست مكانة الطبقات الحاكمة في بريطانيا ولكن النظم الاقتصادية والسياسية والثقافية القائمة على مبدأ الحرية التي تؤيدها هذه الدول الغربية . وعلى ما بين الدول الدكتاتورية من فروق فهناك وجه شبه اساسي بينها جميعاً وهو الاعتبارات القومية التي تسترشد بها وليس هناك ريب في انه اذا فازت المانيا أو روسيا أو الاثنان مشتركين في هذا الحرب فان المبادئ التي تقوم عليها الحضارة الغربية ستراجع ان لم تصب بالانهيار

### ٣ — النظام النازي وأساسه

لم ينشأ النظام النازي في المانيا — وهو أعظم الأنظمة الدكتاتورية مكانة وسطوة — كما يظن من معاهدة فرساي والازمة الاقتصادية العالمية . ان جذوره ممتدة الى الماضي البعيد ، مستمدة غذاءها من النضال الاجتماعي في العصر الحديث . والمانيا تلي روسيا السوفياتية في أوروبا من حيث عدد السكان . والشعب الالماني شعب موهوب ولكنه أصيب ، بالنظر الى وضعه الجغرافي وتطوره التاريخي ، بالقمع والكبت مرة بعد أخرى . ولو لم يشغل الالمان بتأييد الامبراطورية الرومانية المقدسة الناشئة من فكرة الوحدة المسيحية في القرون الوسطى ، لما بددت المانيا قواها في سعيها لتحقيق الى اخضاع ايطاليا . ثم ان الرابطة الامبراطورية كانت ضعيفة فيها ، فقامت فيها مئات من الامارات الكبيرة والصغيرة المستقلة . فلما جاء عهد اصلاح الديني وبدت فيها وجوه الخلاف الدينية عززت هذه الفواصل بين اجزاء المانيا باقحام العنصر الديني في مشكلاتها ، فعدت المانيا ساحة معارك أوروبا في خلال حرب « الثلاثين سنة » . والتفتت فرنسا الى موقعها بين امبراطوريتي هابسبرج شرقاً وجنوباً فاعتنمت كل فرصة لا بقاء المانيا ضعيفة بمفككة الاوصال . فالوحدة الالمانية لم تتم الا في سنة ١٨٧١ اي بعد انقضاء ستة قرون على قيام الملكية القومية في كل من بريطانيا وفرنسا

قد يسهل على الباحث أن يبالغ في وصف تأثير الوضع الجغرافي والوصف الطبوغرافي في سير التاريخ . ولكن لا ريب في أن حدود المانيا المبسوطة في الشرق كانت أهم باعث لها على التوسع في الشرق وفي انشاء صفات معينة في الخلق الالماني . وقد سعى الالمان قرونًا الى بسط سيطرتهم على الشعوب الصقلية وفي الوقت نفسه تمكن المستعمرون الالمان — وهم يحاربون —



من انشاء مراكز للصناعة في مدن متفرقة في أوروبا الوسطى على اساس امتيازات منحوها من امرائها . وعندما كانت أوروبا ماضية في غزوها العالم الجديد وتوسعها فيه كان التوسع الألماني محصوراً في أوروبا الصقلية وهو التوسع الذي انتهى الى اقتسام بولندة ثلاث مرات في القرن الثامن عشر . وقد كانت سياسة ألمانيا في خلال هذه المدة من وضع الاسرتين الحاكمين في ألمانيا والنمسا أي آل هوهنزولرن وآل هابسبرج تؤيدها ارسنقراطية اقطاعية بالجنود والحكام . فولند هذا النضال في الطبقة الحاكمة الألمانية شعوراً بالفوق على سائر الناس وهو شعور كانت تشاركها فيه الطبقة الحاكمة في انكلترا

ومع ذلك ظل فريق من كتاب ألمانيا ومفكرها يذهب — قبل الثورة الفرنسية وبعدها — الى ان فكرة الوحدة المسيحية اساسية في أوروبا فدعا جوته وشيلر وهردر ونوفاليس الى اخضاع الفروق القومية لفكرة الوحدة الاوربية

ولكن دعوة من هذا القبيل ، في عالم تتنازعهُ عوامل « سياسة القوة » كانت لا بد ان تقضي الى اضعاف القومية الألمانية . فشرعت ألمانيا في اثناء غزوة نابوليون لها تقتبس من الغرب صور الحياة القومية الوطنية فكانها اخذت سلاح العدو وأتقت صنعهُ وصقلهُ لتغلبهُ به

وفي سنة ١٨٠٧ — ١٨٠٨ عند ما كانت جيوش نابوليون محتلة برلين ، كان الفيلسوف فيخت يلقي محاضراته المشهورة التي جمعت في كتاب بعدئذٍ عنوانهُ « خطابات الى الامة الألمانية » قال ما مؤداه : ان الألمان مفردون في لغتهم وتقاليدهم وثقافتهم فيجب عليهم ألا يسمحوا بان يلوئوا بغيرهم وليس بينهم وبين سائر الشعوب شيء مشترك واذن فيجب فرض الثقافة الألمانية على العالم . ثم جاء فاجنر ونيششم فعززا هذه النزعة عززها الاول بموسيقاه والثاني بقوله ان الحضارة الغربية اخذت تنحط وان الحضارة لا تسير في سبيل الارتقاء الا اذا قامت ارسنقراطية فاتحة من الرجال المتفوقين ( سورمان ) تسيطر على الشعوب المنحطة . هذه الافكار التي تغلغل في نفس الشعب الألماني دفعت به الى خوض غمار الحرب العالمية الماضية

وجاءت فترة بعد الحرب ، في اثناء عهد جمهورية فيمار ، بدا فيها لمتبعي الحياة الألمانية ان فكرة الوحدة الاوربية التي قال بها جوته وشيلر قد تبعث من الماضي البعيد وهي اعز مما كانت . ولكن الهزيمة في الحرب الماضية ، والمصاعب الناشئة عن الحصر البحري في اثنائها وبعدها ، وطبيعة معاهدة فرساي ، والنفوذ الماركسي ، والتضخم النقدي في سنة ١٩٢٣ مضافاً الى ما عاتته الجمهورية من المشكلات الداخلية الاخرى — كل ذلك بث في نفوس الشعب الألماني شعوراً باليأس والقنوط حمله الى الالتفات الى زعمائه الحاليين . ولو لم يكن من خلق الألمان حب الانقياد لزعيم لاستطاعوا أن يقاوموا ما أغرامهم في برنامج الحزب النازي من دعوة الى العنف اكثر مما قاوموا .



ولكن كل دولة تتطوي على احتمالات النظام الفاشي في ثناياها . حتى اميركا قام فيها «هيوي لونغ» . وكل دولة تبلغ في حياتها القومية حدود القنوط تستسلم للطاغية المستهوي للجهاير . إلا ان هذا لا يرفع عن كاهل الأمة الالمانية تبعه اعمالها في عهد النازي ولا يوجب على العالم الاستسلام لحطة العدوان . ولكنه يشير الى انه اذا كتب النصر لفرنسا وبريطانيا فعليهما ان يعززا في المانيا منزلة الجماعة التي ترتد في فكرها الى جوته وشيلر دون فيخت ويتشبه وذلك بانشاء نظام عالمي جديد ونحن اذا نظرنا الى مبادئ الوطنية الاشتراكية رأيناها تلك الوطنية الالمانية المتطرفة التي سبقت الحرب العالمية الماضية ولكن بعد ان مضت في التطرف والانحراف الى أبعد حدودها . فهتلر يشتد في الدعوى الى الاعتبار العنصرية اكثر مما اشتد في الدعوة اليها أحد من أسلافه في حكم المانيا . ولكن الاعتبار العنصرية ذاتها ليست إلا أسلوباً من الأساليب لبيان تفوق الشعب (فولك) الالمانى الذي وجه فيخت النظر اليه . وقد بدل هتلر بعض ماجاء في «كفاحي» منذ تقلد زمام الحكم في سنة ١٩٣٣ ولكنه لم ينحرف مطلقاً عن اعتقاده في ان « الشعب الالمانى » انما هو شعب خاص وان الفرد يجب ان يندمج في الشعب ويفنى فيه . فلما أذغت الدول الديمقراطية في ما تصلبت فيه عند ما كان الحكم في المانيا جمهورياً ، اقنع هتلر بأن للنزعة الجرمانية رسالة تؤذيها وهي السيطرة على اوربا ان لم تكن السيطرة على العالم والنظام النازي القائم يؤله الدولة او الشعب ويصر رجاله على ان الله — جل — جلالة — يتكلم بواسطة الفورر وأن « الشعب » و « الأخاء الجرمانى » هما طريق الخلاص ، وما يشعرون به من الذهول والافتان بتأثير هذه العقائد ، ليس روحياً وانما هو ذهول وافتان جسيان منفذها في العمل ، فليس فيها مكان للتفكير او للتسامح او للتواضع . الدولة تملئ على كل فرد عمله والفورر لا يخطئ . وفي هذا وحده تسوينج لكل عمل . ومن اقوال الدكتور لاي رئيس جهة العمل « لم يبق في المانيا افراد . الجميع جنود ادولف هتلر » أما موقف النازي تجاه الشعوب الأخرى فيستدل عليه بمقال ظهر حديثاً في إحدى المجلات الحرية Das Schwarze Korps وصف فيها البولنديون بلفظي « انغال » و « مجانين » مثل قبائل الزنوج ا بهذا التفكير المثير للحفاظ والقرائر المنشور بأساليب جديدة فعالة متقنة من الدعاية أيقظت الحركة النازية في نفس الشعب الالمانى شعوراً جديداً . فضى هتلر من نجاح الى نجاح — قضى في الداخل على التعطل عن العمل في المانيا ثم احرز في الخارج انتصارات كبيرة ان هتلر دون موسوليني ثقافة ، ولكنه متصف بصفات غريزية يندر اجتماعها في رجال السياسة فاستطاع ببراعته ان يخرج المانيا من عزلتها . فقد تجرأ مثلاً على قلب سياسة المانيا تجاه بولنده رأساً على عقب ففقد في سنة ١٩٣٤ اتفاقاً مع بلسودسكي تمهد بمقتضاه بأن يتمتع عن



خوض حرب مع بولندة مدى عشر سنوات . واعتبط البولنديون باهتمام هتلر بهم والاتفاق معهم فظنوا أنهم استطاعوا أن يحولوا العدوان الهتلري من شرق أوروبا الى اقطار أوربية أخرى . ولكنهم في الواقع جازت عليهم مناورة هتلر لأنه بعمله هذا عزلهم عن حليفهم فرنسا . فلما غزا موسوليني الحبشة اعتمد هتلر على غضب موسوليني من فرض العقوبات على ايطاليا ففكك اوصال «جبهة ستريزا» التي كانت قد انشئت لمقاومة عدوان المانيا البادي اولاً في نقضها للمعاهدات ثم توج ذلك كله بانشاء الميثاق المقاوم للحكومتين فكان لذلك الميثاق تأثير عظيم في محافل بريطانيا وفرنسا السياسية لأنه بث فيها خشية بطش ايطاليا في البحر المتوسط واليابان في الشرق الاقصى اذا هما خاضت حرباً مع المانيا

وفي خلال هذه الفترة حاول هتلر أن يستغل شعور الاحرار في البلدان الديمقراطية باصراره على أن كل غرضه من سياسته إنما هو اصلاح الخطأ ورد الجور الواقع على المانيا من معاهدة فرساي . واستغل في الوقت نفسه شعور المحافظين بقوله أنه صد الشيوعية عن الانتشار في المانيا ومنها الى سائر أوروبا . وكان آخر ظفر له في سبتمبر سنة ١٩٣٨ عندما عقد اتفاق ميونخ

\*\*\*

في مدينة جودسبرج حيث التقى تشمبرلين بهتلر ثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٨ وعهد هتلر بأن تكون ارض السويد آخر مطلب جغرافي له في أوروبا . ومع ذلك اكتسح بوهيميا ومورافيا في مارس ١٩٣٩ وضمهما الى الرايخ . وفرض حمايته على سلوفاكيا . وفي الشهر نفسه بعث بانذار الى بولندة مطالباً باعادة دانتزج الى الرايخ وبحقوق معينة في ما يعرف باسم الحجاز البولندي كانت بريطانيا وفرنسا في خلال هذه الفترة قد ادركتا انهما خدعا . كان تشمبرلين قد سلم بمطالب هتلر في ميونخ لاعتقاد فريق كبير من الانكليز ان مطالبته بارض السويد قائمة على مبادئ لا يمكن انكارها ولأن بريطانيا لم تكن متأهبة للحرب . ولكن الشعب البريطاني بدأ يدرك حقيقة مطامع النظام النازي في أوروبا بعد اكتساح تشيكوسلوفاكيا وتقسيمها . فلما أتت بولندة الاستجابة الى الانذار الالماني ، اتجهت السياسة البريطانية اتجاهاً جديداً ، ومضت حكومة تشمبرلين ، مؤيدة من الشعب البريطاني ، في اقرار نظام التجنيد الاجباري وامتنعت عن معارضة الالتزامات البريطانية في أوروبا الوسطى والشرقية فعمدت مخالفة عسكرية مع بولندة وأعلنت ضمانها لسلامة رومانيا واليونان وتركيا

ولكن روسيا السوفيتية كانت في منزلة حجر العقيد في كتلة السلام التي اتجهت بريطانيا الى انشائها . وانقضت اشهر وحكومتا لندن وباريس تبدلان جهدهما لاشراك موسكو معها في



محالفة كبيرة. وكانت سياسة روسيا السوفيتية بعد الحرب العالمية الاولى قد تقلبت وفقاً لمصالحها فالتزمت العزلة الباهرة اولاً وهاجمت عصبة الأمم متهمة إياها بأنها « عش » الرأسمالية ، فلما نهض الحزب النازي على أساس مقاومته للشيوعية الى مقاعد الحكم في ألمانيا خرجت روسيا من عزلتها وانتظمت في عصبة الأمم سنة ١٩٣٤ وعقدت في السنة التالية محالقتين عسكريتين مع تشيكوسلوفاكيا وفرنسا . ولكنها برمت في السنتين التاليتين بمساعي بريطانيا وفرنسا الفاترة لكبح جماح هتلر ، فلما عقد اتفاق ميونخ في سبتمبر ١٩٣٨ بغير ان يدعى ستالين او ممثله الى حضوره بلغ برم روسيا حدود السخط على الديمقراطيتين الغربيتين . فلما بدأت المفاوضات في الصيف الماضي بين حكومتي لندن وباريس وحكومة موسكو اصطدمت بعقبات كثيرة لم يكن أقلها طلب روسيا الخاص بدول البلطيق مما أثبتته الحكومتان الديمقراطيتان . ومنها امتناع بولندة عن التسليم باختراق الجيوش الروسية لأراضيها بغية مقاومة الاعتداء الألماني

وكان اصطدام مفاوضات موسكو بعقبات كبيرة فرصة سانحة لهر هتلر وفون ربنتروب فاجتياها . وليس يخاف ان الريخسفير كان منذ بدء الحكم الهتلري غير راض عن سياسة هتلر العنيفة ضد روسيا . وكان أقطابه يميلون الى التفاهم مع روسيا لسببين احدهما إزالة خطر الحرب في ميدانين وثانياً الاعتماد على موارد روسيا الطبيعية للفوز بما يحتاج اليه ألمانيا من الخامات الصناعية . فلما رأى هتلر — وهو السياسي النهاز لا يتقيد بخطة او وعد او مبدأ الاً مبدأ السلطان — ما تعانيه الدولتان الغربيتان في مفاوضات موسكو ورأى ان الفرصة سانحة لهما هزيمة سياسية ، انقلب على سياسة مقاومة الشيوعية الى الاتفاق مع أقطابها . وكذلك عرف العالم صباح ٢١ اغسطس ان هتلر اقدم بعد ارهاق العالم ست سنوات متوالية بشبح الشيوعية ، على ضم ستالين بذراعيه

ومع ان هذا الاتفاق كان باعثاً على سخط اليابان وايطاليا واسبانيا وبعض انصار هتلر في ألمانيا نفسها ، إلا انه كان كسباً وقتياً لا يجب أنكاره لأنه فاز باجباط المساعي المبذولة لانشاء « كتلة السلام » ومهد لألمانيا نظرياً على الأقل الى الاعتماد على موارد روسيا الطبيعية . ومن المحتمل ان فون ربنتروب أقنع ستالين باصدار أمره الى وقف الدعاية الشيوعية الخفية في ألمانيا . اما من ناحية روسيا فما جنته من عقد هذا الميثاق لم يكن يسيراً ، لأنه مكنها من الفوز بنصف بولندة واستئناف توسعها الصقلي . فاذا طالت الحرب في الغرب وافضى ذلك إلى إعياء الدول المتحاربة فان الفرصة تتاح لستالين لتنظيم أوروبا او جانب كبير منها على قواعد شيوعية

وقد جاء عقد هذا الميثاق نتيجة طبيعية للقواعد المتشابهة التي قامت عليها السوفيتية والنازية وربة الريخسفير وعداء النظامين معاً للديمقراطية . ولا ريب في ان مستقبل أوروبا يتوقف الى حد



بعد على مدى تعاون موسكو وبرلين ، وتأثير هذا التعاون ، او على احتمال اختلافهما في ما بعد على شرق أوروبا

أما بريطانيا فأدركت حالاً ان الدفاع عن بولندة أشق من الدفاع عن الامبراطورية . ولكنها كانت قد قطعت عهداً لبولندة فليس في وسعها النكوص . ولذلك قيل اذا كان هتلر بطمع في داتنرج فعليه ان يحارب في سبيلها . وبعد ما انتهت الحرب البولندية يخذلان بولندة في الميدان عاد هتلر الى خطته الماثورة زاعماً انه لا يرى سبباً من أسباب الخصام بينه وبين دول غرب أوروبا ، اذا شاءت ان تعقد معه صلحاً على أساس يقبله

ولكن الأسس التي تقوم عليها فلسفة التوسع الوطني الاشتراكي ، لا تدع مجالاً للثقة بصدق نية هتلر وصحيه . فروز نبرج يقول : ان السلام الجديد لا يستتب الا بسيف عنصر متفوق يعي قوى العالم في سبيل حضارة أعلى من حضارته الحالية . وهتلر يقول ان الدولة التي تعنى وهي في دور الاخطاط بأجود عناصرها لا بد ان تغدو يوماً ما سيدة الارض

شهد العالم قيام امبراطوريات عظيمة ولكننا لا نجد في جميع عصور التاريخ شعباً يناهز بتطبيق مبادئه أفعال في هدم الحضارة الغربية — اذا أتيج لها الغلب — من مبادئ النازية ، ولا قوة حربية معبأة لفرض تلك المبادئ على الناس كقوة المانيا النازية . فدار الحرب الدائرة الآن هو هذا — أتتفوق الفكرة الغربية في الحياة الدولية أم الفكرة النازية

#### ٤ — مقدمات ونتائج

تسلم كثرة الشعب الالماني بالاشتركية النازية لأنها لا ترى سبيلاً آخر تسلكه الآن ولكن الاقلية فقط تؤمن بمبادئها . فليس ثمة كاثوليك صحيح العقيدة يستطيع ان يقبل فلسفتها . ومع ما اشتهر به اللوثريون الالمانيون من الخضوع للدولة يكثر بينهم من يجاري الكاثوليك . فتعاليم النازي لا تفوز بتأييد جميع الالمانيين الذين يؤمنون بالحضارة الغربية . ومع ذلك يسعى أقطاب الحركة النازية جهدهم متوسلين بجميع الوسائل التي اقرها علم النفس الحديث الى انتزاع الاحداث من البيت والكنيسة لتلقيحهم بها . وقد كان من نتائج الارهاب النازي ان فر كثير من الزعماء الاحرار من الالمانيا ، واعتقل الآخرون . وكذلك يلوح انه قد يتاح لهذه الطغمة من الحكام محو التعاليم الروحية المسيحية من المانيا بالارهاب والدعاية

ومهما يكن مستقبل ألمانيا فالباعث على تغليب الايديولوجية النازية على المانيا الآن هو احقاق الدول الغربية في النهوض الى مستوى عقائد مثلها الدينية والاجتماعية . فالدول الديمقراطية الغربية اذاغت اعانها بالعدل الدولي ولكنها غيت اولاً بمصالحها القديمة . وما اصاب



به الاقتصادي العالمي القائم على التبادل الحر اللازم لرخاء الدول المحرومة have nots إنما أصيب به على الغالب على يد الديمقراطيات وجماعة الأحرار الذي يشددون النكير الآن على ما تنصف به الدكتاتوريات من تعصب ، تعذر عليهم على ما يلوح التضحية اللازمة في سبيل تعزيز المبادئ التي يؤمنون بها . وإذا فازت الدول الغربية في هذه الحرب فإنها لا تستطيع أن تحقق الهدف الأعلى الذي تتجه إليه إلا إذا عدلت موقفها وخطتها تعديلاً أساسياً . فالنظام النازي في ألمانيا هو نتيجة لاختطاء الغرب . وهو النهاية المتطرفة المنحرفة للعالم القومية التي تسود غرب أوروبا . وما لم ينبعث الغرب انبعاثاً جديداً فقد ثبت لمؤرخ المستقبل أن الحركة النازية لم تكن إلا ناحية واحدة فقط في انحلال الحكم الديمقراطي في كل دولة

### معاهدة فرساي

ولعل الهفوة الأولى التي ارتكبها الغرب بعد الهدنة كانت معاهدة فرساي . ولو كان غرض هذه المعاهدة تقليص إطفاء الشعب الألماني لوجب أن تكون أشد مما كانت ولو أتيح لفرنسا تنفيذ خطتها بغير مقاومة بريطانيا والولايات المتحدة لكان المتعذر قيام الحركة النازية في ألمانيا . ولكن صلحاً شديداً من هذا القبيل حرك استنكار جماعة الأحرار في الغرب لأنها كانت تعتقد أن الشعب الألماني لا يكون أشد عدواناً من غيره من الشعوب إذا أتيحت له فرصة النمو في ظلال السلام . فجاءت معاهدة فرساي وسطاً بين الرأيين . فلا هي كانت شديدة فقمعت ألمانيا بالقوة ولا خفيفة يرضى منها غلاة الوطنيين من الألمان . وكان الرئيس ولسن يعلق أمه على جامعة الأمم في إزالة ما تطرق إلى معاهدات الصلح من وجوه النقص والجور . فلما تكررت الولايات المتحدة والرئيس ولسن للعصبة دفن هذا الأمل . وكذلك ظلت المادة ١٩ من ميثاق العصبة وهي المادة التي نصت على تنقيح المعاهدات حرفاً مماثلاً لم تعتمد الجامعة إلى تطبيقها مرة واحدة في خلال العشرين سنة من حياتها

وإذا نظرنا إلى الناحية السياسية من نقد ألمانيا لمعاهدة فرساي وجدنا ما يسوغه . فقد أشادت معاهدة فرساي بالمبادئ الأدبية العالية في العلاقات الدولية ولكنها لم تفتح الفرصة لتطبيق هذه المبادئ أو تجربتها . فالأحكام الأدبية الصادرة فيها على ألمانيا من حيث تبعه الحرب والمستعمرات والشدة التي عولجت بها مشكلة التعويضات اتاحت لهتلر مسوغاً لاشد طلباته وأبعدها عن العقول

وفي سنة ١٩٢٥ حاولت بريطانيا وفرنسا تنقيح ناحية من معاهدة فرساي بعقد معاهدة لوكارنو مع ألمانيا وعلى أثر عقدها انتظمت ألمانيا في جامعة الأمم . وقد كانت تلك الفترة التي



احكمت فيها اواصر التعاون بين بريان وشترزمان ازهى فترات السلام بعد الحرب الماضية . ومع ذلك ظل القسم الخامس من معاهدة فرساي قائماً وهو الجزء الذي يفرض على المانيا نزع سلاحها . ولا يستبعد ان الجمهورية الالمانية كانت تميل الى التسليم ببقاء هذه القيود لو ان فرنسا وحلفاءها نزعَت سلاحها وفقاً لروح ميثاق الجامعة . فلما قدم «ضمان السلامة» على نزع السلاح شرعت المانيا تطالب «بالمساواة» عن طريق التسليح . ولو ان الحلفاء قبلوا مبدأ المساواة عن طريق التسليح قبل فوات الوقت لمهد الطريق الى تنقيح المعاهدات تنقيحاً ساعياً ولظلت الجمهورية الالمانية قائمة . ولكن عند ما ذهب المستشار بروتغ الى جنيف في سنة ١٩٣٢ وناشد اعضاء الجامعة التسليم لالمانيا باشيء من هذا القيل لم يجب طلبه . ولم تفز المانيا بالمساواة الا بعد قيام هتلر الذي مزق القسم الخامس من معاهدة فرساي — وهي مساواة يرد اليها الجانب الاكبر من بواعث الحرب الناشئة الآن

ونحن لا نريد ان نقول ان الحلفاء وقفوا دائماً موقفاً جامداً مما طالبت به المانيا . اذ لا ريب في انهم سلموا لها في بعض ما تطلب ولكن تسليمهم كان يحجب على الغالب بعد فوات الوقت فلم يكن في هذا التسليم فائدة تذكر . ففسر الالمان تسليم الحلفاء بعد المداورة والامتناع بأنه ضعف يجب ان يستغل فقوت فرص ثمينة كان يجب ان تستغل لتعزيز اواصر التعاون والتفاهم وكيف قلبت النظر في معاهدة فرساي فانك واجد ان اكبر هفواتها هي تقصيرها عن انشاء كتلة من الدول تحل محل امبراطورية النمسا والمجر . وعلى الرغم من ان تلك الامبراطورية استبدت بشعوبها غير الجرمانية استبداداً منكرأفليس ينكر احد انها ربطت بينهم جميعاً برابطة التجارة الحرة . فلما تفككت اوصالها تفرقت الامبراطورية اجزاء مستقلة او ضمت اجزاء منها الى دول قائمة . ومع ذلك كان في وسع مؤتمر الصلح ان يعترف باستقلال كل منها على ان يقوم بينها نظام للتعاون الاقتصادي والسياسي . ولكن المؤتمر لم يفعل . وكذلك قامت على انقاض امبراطورية آل هابسبرج دول هنغاريا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وضمت اجزاء اخرى الى يوجوسلافيا ورومانيا . وكانت دول الاتفاق الصغير (تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوجوسلافيا) تعتمد على محالفتها مع فرنسا لمقاومة ما يحتمل ان يقوم بينها وبين هنغاريا والمانيا من خلاف . نعم ان معاهدة سان جرمان (الحلفاء والنمسا) اوصت بانشاء نظام تفضيلي للضرائب الجركية بين بعض دول الدانوب . ولكن اصرار الدول الكبرى — ومنها الولايات المتحدة الاميركية — على أن يشملها كل تخفيض يمنح لغيرها حال دون التقدم في هذه الناحية . واذن يصح القول بأن الاخفاق في تنظيم هذه الرقعة من أوروبا تنظيمًا اقتصاديًا يقضي به العقل والمصلحة كان من أهم البواعث على انهيار النظام الديمقراطي فيها



فلما أقدم هتلر على احتلال منطقة الرين المجرّدة من السلاح وتحصينها في مارس ١٩٣٦ قطع الصلة بين فرنسا وحلفائها في أوروبا الوسطى . فقد كانت هذه الدول تعتمد على فرنسا في مساعدتها على ألمانيا إذا اقتضت الحال ذلك . وكانت فرنسا قادرة على ذلك عندما كانت منطقة الرين مجرّدة من السلاح وفقاً لمعاهدي فرساي ولوكارنو ، لأنه كان في وسع جيشها أن يخترق ألمانيا ويشغل الجانب الأكبر من الجيش الألماني أيّاً كان وجيوش الاتفاق الصغيرة كانت كفيلة بمعالجة الباقي منه . فلما أمر هتلر باحتلال هذه المنطقة وتحصينها أصبحت قدرة فرنسا على نجدة حلفائها أمراً مشكوكاً فيه . فغدت أوروبا الوسطى ترهب جانب جارتها الجرمانية الكبيرة ولا تعلم أين تلتفت . فإيطاليا صديقة ألمانيا ، والعون الروسي يخشى بقدر ما يخشى العداء الألماني . وليس ثمّة ريب في أن مؤتمر الصلح الذي يعقد بعد هذه الحرب يجب أن يعنى بإنشاء نوع من الوحدة في بلدان الدانوب يمكنها من معالجة المشكلات الاجتماعية الخطيرة التي تواجهها وتجعلها ثقلاً ذا شأن في ميزان أوروبا الوسطى

### حبوط العقوبات

نصت المادة السادسة عشرة من ميثاق الجامعة على فرض العقوبات على كل دولة تقدم على العدوان . فلما أثبتت الولايات المتحدة النظام في الجامعة فقدت بريطانيا جاذباً من حماسها لنظام لو طبق لوقع أكبر عبثٍ عليها . فحبط نظام العقوبات قبل تجريبه . وإذا كانت دول الحلفاء قد أخطأت في امتناعها عن إزالة بواعث شكوى ألمانيا في الوقت المناسب فإنها أخطأت كذلك في أحجامها عن معاقبة أعمال العدوان التي قامت بها الدول الدكتاتورية معاقبة حازمة وقد جاء الاعتداء الأول على الحالة الراهنة التي أقرتها معاهدات الصلح والمعاهدات التي عقدت بعدها من جانب اليابان . وذلك بغزوها منشوريا في سنة ١٩٣١ ومع أن الولايات المتحدة الأميركية ليست عضواً في الجامعة إلا أنها تحركت للتعاون مع الجامعة في ردع اليابان متوسلة إلى ذلك باشتراكها في معاهدة الدول التسع التي عقدت في واشنطن (١٩٢١ - ١٩٢٢) وضمنت وحدة الصين وسلامتها . ولكن وزارة الخارجية البريطانية لم تقدر على ما يلوح عزم الحكومة الأميركية فامتنعت عن الانسياق في سياسة لم تكن واثقة بأن الولايات المتحدة الأميركية تثبت عليها ولا سيما إن انتخابات الرئاسة كانت وشيكة ولا يعلم ما تكون سياسة الرئيس المنتخب . وقد كان القرار الذي اتخذته الجامعة في يناير سنة ١٩٣٢ وسطاً فلم ترض به اليابان — والدليل على ذلك خروجها من الجامعة على أثر إعلان نتيجة الاقتراع — ولا أرضى المطالبين بتطبيق نظام العقوبات كاملاً . نعم إن الأعذار التي يعتذر بها كثيرة ، منها اشتداد الأزمة الاقتصادية العالمية حينئذ مما يتعرض دول العقوبات إلى تفاقمها فيها إذا طبقت العقوبات الاقتصادية كاملة ، ومنها قوة اليابان



البحرية في الشرق الأقصى . ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها ان دول الجامعة تفادت فرض العقوبات فكانها سلمت بالعدوان .

ثم ان العقوبات حبطت في سنة ١٩٣٥ عندما فرضت على ايطاليا في الحرب الحبشية ونجبتىء بالاشارة الى ذلك محيلين القارئ على مقال نشرناه في مقتطف فبراير ١٩٣٧ صفحة ٢٢٧-٢٣٢ عنوانه «حبوط العقوبات» . ومن ثمة توالى الحوادث . ففي شهر مارس سنة ١٩٣٦ احتل هتلر منطقة الرين المجردة من السلاح . وفي يوليو من السنة نفسها تدخل هتلر وموسوليني في الحرب الاهلية الاسبانية مؤيدين للجنرال فرانكو . وغيت بريطانيا وفرنسا بانشاء لجنة عدم التدخل فتعهد ممثلو الحكومات الاوربية بالامتناع عن اصدار الاسلحة الى الفريقين المتحاربين ولكن المانيا وايطاليا مضتا في شحنها الى فرانكو وروسيا في اصدارها الى الحكوميين . فلما زحف هتلر على النمسا في مارس ١٩٣٨ لم يرفع اصبع لوقفه وكذلك انتهت هذه السياسة الى اتفاق ميونخ في سبتمبر ١٩٣٨

ولو ان رجال السياسة في لندن وباريس ايتدوا الجامعة تأييداً صحيحاً ولو ان بريطانيا على وجه خاص قبلت قبل ثماني سنوات عند ما وقع الاعتداء الاول ( منشوريا ١٩٣١ ) الالتزامات التي قبلت ان تأخذها على عاتقها في مارس ١٩٣٩ ( محالفة بولندة وضماني رومانيا واليونان وتركيا ) ولو قرن ذلك بنظام للاعناش الاقتصادي العام<sup>(١)</sup> وتفتيح ما يجب تنقيحه في المعاهدات القائمة ، فالغالب ان اوربا كانت نجت من الحرب الناشبة الآن

وليس ثمة ريب ان احجام الدول الديمقراطية عن الاحتكام الى القوة كان سببه الاول ما يعرف بالنزعة السامية في شعوبها . فويلات الحرب العالمية الاولى كانت قد تركت اثرأ بليفاً في نفوس الناس فأقبل الرأي العام الديمقراطي على دعاية قوية واسعة النطاق لنزع السلاح وتحريم الحرب ، مع امتناع هذا الرأي العام نفسه عن الموافقة على الخطط السياسية التي تحقق النزع والتحريم بتخفيف الجفاء القائم بين الامم . فشعب الولايات المتحدة كان يرى انه ليس من مهمته القيام بعمل حارس عالمي وجاراه في ذلك الشعبان البريطاني والفرنسي . وهذه النزعة السامية كانت معتمد هتلر في جميع اعماله الدولية فكان يقدم عليها مقتنعاً بان الشعوب لا توافق على الحرب ، ثم بعد الاقدام على كل منها كان يعرض مشروعا للسلام ليغذي هذه النزعة في صدور الناس ويشغلهم بمشروعه عن السخط والتبرم بعمله

اما البواعث التي حملت الطبقات الحاكمة في بريطانيا وفرنسا على الوقوف هذا الموقف فكانت تختلف عن النزعة السامية التي كانت تحرك الجماهير . فكان ظن الحكام ومن وراءهم ان انشاء

(١) لبحث الحالة الاقتصادية العالمية من حيث علاقتها بالشكلات الدولية فضل خاص لم يتسع له هذا المقال



نظام دولي بالمعنى الصحيح يقتضي منهم ثمناً كبيراً، وكان الرأي الغالب على دوائرهم انه قد يكون في وسعهم منع نشوب الحرب بالتسليم بأعمال محدودة تقوم بها المانيا وايطاليا واليابان ضد بعض الدول الصغيرة وبوجه خاص ضد روسيا. فاستغلال اليابان لموارد منشوريا يستغرق سنين وايطاليا مشغولة بالحشة والمانيا بأوروبا الوسطى وقد تشبكت في حرب مع روسيا. وهذه هي «سياسة القوة» سافرة الوجه ولكنها لم تنجح لأن الرأي العام في الدولتين الديمقراطيتين والولايات المتحدة الاميركية استنكرها بعدها عن كل مبدأ ادبي يحترمه ولان قابلية الدول الدكتاتورية ارهفت بالاكل فلم تقف عند حد معقول. ذلك ان هذه الدول لم تكن معنية باستغلال البلدان التي ضمنها وتمتية مواردها بل كان همها الاكبر الفوز بالسيطرة وانتزاع ما للدول الغربية من منزلة ونفوذ

### الروح الديمقراطي

واذا بحثنا عن الباعث على عجز الدول الديمقراطية عن مواجهة المشكلات الدولية بما يجب من الحزم وجدناه في النضال الداخلي القائم في بعضها بين طبقاتها وأحزابها المختلفة. وقد شهد كل بلد منها سعيًا من احزاب العمال والهيئات المتصلة بها لاصلاح حال العمال والفلاحين وغيرهم. وهذا سعي نبيل يجب ان يفوز بتأييدها طبقات الاحرار اذا كان هذا لا يضعف الاركان التي يقوم عليها النظام الاقتصادي الذي يؤمن به الاحرار. ولكن الغلو في ما طلبته بعض الهيئات الاشتراكية النزعة وضعف الاساليب التي أقرتها بعض الحكومات لتحقيق هذه الطلبات أفضيا الى إضعاف النظام الديمقراطي

ولا تعوزنا الأمثلة نسوقها على ان فريقاً من اصحاب المال وزعماء العمال نظروا نظرة ضيقة الى مصلحة طبقتهم فرفعوها فوق المصلحة العامة. فاذا كانت حركة العمال منحرفة الى الشيوعية - ولو كان ذلك الانحراف نظرياً - فليس ثمة ريب في ان وحدة الدولة تهدد بالتصدع وقد جاءت فترة بعد الحرب العالمية الماضية فقد فيها العمال والمشتغلون بشؤون الفكر كل نفقة بالنظام الرأسمالي فاجتجهاوا الى روسيا السوفياتية وفاز الحزب الشيوعي الروسي بولائها الجماعات في شتى البلدان. يقابل هذا ان انحراف هذه الجماعات الى روسيا، وتفاقم الخطر الشيوعي، دفعا المحافظين والطبقات المتوسطة في ايطاليا والمانيا واسبانيا الى تأييد الانقلابات الفاشية. وفي بريطانيا وفرنسا الى ضعف العزم في مقاومة العدوان الفاشي

اما الاحرار فاستهوتهم دعوة روسيا الى انشاء كتل شعبية غرضها مقاومة الفاشية. فأنشئت الجبهتان الشعبيةتان في فرنسا واسبانيا وبذلت مساعٍ لانشاء جبهة من قبيلها في بريطانيا واميركا. ونحن اذا نظرنا الى حركة «الجبهة الشعبية» من ناحية المبدأ رأيناها مخففة



من بدئها ، لان الشيوعية بعيدة بعد الفاشية عن الديمقراطية . واذا نظرنا اليها من ناحية النتيجة العملية رأيناها وقد دفعت بالعناصر المحافظة الى معسكر الفاشيين والواقع ان مبالغة المحافظين في خوفهم من الشيوعية وغلو الاحرار في حماسهم لها يدلان على ان الضعف الاساسي في النظام الديمقراطي هو فقد ثقة الديمقراطيين انفسهم به . وهذا يترد الى ضعف المبادئ الفلسفية التي قامت عليها نظرية الحكم الديمقراطي

فالديمقراطية اصلاً وليدة الايمان بكرامة الانسان وقدرته على الاختيار بين عمليتين على اساس ما فيها من خير او شر . فرفعت الديمقراطية مبدأ الحرية ولكنها قيدته بمبدأ القصد . فالحرية في رأي الفلاسفة الديمقراطيين يجب أن تمارس بحيث تحقق للفرد اغراضاً أدبية اختارها اختياراً حراً لنفسه . وفي ذلك تعلم ان يحترم اختيار الغير وما يجب عليه نحوه وهذا أساسه التسامح واحترام الوعد هذه المبادئ الحلقية الاجتماعية اصبحت بما اضعف منزلتها في النفوس قبل ان يقتلها حاصف الانقلاب الدكتاتوري . ذلك بان الاحرار الذين يؤمنون بها استسلموا لنزعة الوطنية الضيقة وتأثروا بالمادية العلمية ومدارها أن الانسان ليس الا ورقة محمولة في إعصار التغير الكوني ، وبالمادية الاقتصادية التي ابتدعها ماركس وبالتعاليم النفسية الجبرية التي وضعها فرويد واتباعه وردوا بها اعمال الانساف الى نزعات في العقل الباطن قلما يستطيع الانسان ان يوجهها . وفي جميع هذه المذاهب شيء من الحقيقة ولكنها اذا قبلت على علائها قلها ولا ريب تضعف من منزلة الصور الادبية القديمة التي قامت عليها الديمقراطية لانه اذا كان الانسان آلة تحركها قوى غيباء

فلماذا يتعين عليه ان يناضل في سبيل حرية يتعذر عليها بحكم النواميس الكونية ان يحققها ولكن الجنس البشري لا يسهه الاستئمان الى هذه النتيجة القائمة . قد تمضي النزعة المادية في طريقها دهرأ ولكنها تقضي في آخر الامر الى رد فعل ، لانه اذا لم يبق من جماهير الناس الا آلات عمياء لا تتحمل تبعه ولا مسؤولية فالغالب انها تغرى بما في النظام الدكتاتوري من اوهام مدارها الفناء التبعة على كاهل زعيم فرد . وتاريخ الفترة الواقعة بين الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية شاهد على ان الجمعية البشرية لا تقوم على الفكر والمصلحة الاقتصادية وحدهما ، ولا بد لها اذا شاءت ان تتأهب لمقاومة الشدائد ، من مبدأ ادبي يوحد بينها ويستجيب الى ما في طبيعة الانسان من وحي الروح

ونحن نرجو ان يكون من نتيجة هذه الحرب وانتصار الحلفاء فيها ، بعث الحياة في الروح الديمقراطي واناحة الفرصة ثانية في اقل من ربع قرن لا نشاء نظام جديد تسوده المبادئ الادبية العليا . فاذا صح ذلك فالحرب العالمية الثانية مهما تكن رزاياها لا تكون عبثاً (١)

(١) الاعتماد في هذا الفصل النفيس على المؤرخ الاميركي بيول R. L. Buell في مجلة فورتشون Fortune



# مكتبة المقتطف

## أنساب الاشراف للبلاذري

القسم الثاني من الجزء الرابع — ١٧٢ ص للمتن و ٥٢ ص للتعليق من القطع الكبير — نشره ماكس شلويسنجر Max Schloessinger — القدس ١٩٣٨ ( وظهر ١٩٣٩ ) في مطبعة مدرسة اللغات الشرقية للجامعة العبرية

قد سبق لي هنا كلام على الجزء الخامس من « أنساب الاشراف » للبلاذري الذي نشره في القدس ايضاً الاستاذ جويتين Goitein وكان ذلك الجزء فاتحة الاجزاء المعدة للنشر . وهذا القسم الثاني من الجزء الرابع يتلوه . ومداره اخبار يزيد بن معاوية وآله ، ثم فيه أخبار ولد زياد بن أبي سفيان ( ابن أبيه ) ولاسيما عبيد الله بن زياد ، وأخبار محاربة الخوارج ، وأخبار العاص بن أمية وآله ولاسيما عمرو بن سعيد الأشدق ، وأخبار أبي العيص بن أمية وولده ، وينتهي الجزء بعقبات بن العاص بن أمية

وفي هذه الأخبار ما لم يذكره أحد من اصحاب التواريخ ، من ذلك ما وقع ليزيد بن معاوية في خلافته وما نسب اليه من الشعر ، ومن ذلك ما كان من أمر الخوارج ، ويقول الناشر هنا بأن البلاذري كأنه عوّل على مصدر لأحد من الخوارج لم يصل إلينا وقد جاء نشر هذا الجزء على أتم شكل من جهة الإخراج العلمي ، فقد تحرى الناشر الدقة في تدوين المتن ، ثم عمل له تعليقات جعلها في كتاب قائم برأسه . وقد أثبت في هذه التعليقات روايات المتن في الاصل إذا هو خالفها ثم أشار إلى المصادر العربية الاخرى التي جاءت فيها الاخبار الواردة في ذلك الجزء من أنساب الاشراف ، رغبة في العراض وإتمام الفائدة . وهذه التعليقات حقيقة بأن ننشط لها وبأن نقدر فضل صاحبها . ولو تمسّيت شيئاً بعد هذا قلت : ليت الناشر جعل روايات الاصل في هامش المتن لا في كتاب مستقل عنه فيراجع القارئ ويعارض لفوره بدلاً من أن يترك نصاً بين يديه ثم ينطلق يفتش عن أصله في هامش كتاب آخر أو يبحث هل للنص الذي بين يديه رواية في الأصل قد عدل عنها الناشر ؟ وعسى أن يلتفت الناشر واصحابه الى هذا الامر بعد اليوم — وبعد ، فقد وقفتني أشياء في المتن أحب أن أعرض بعضها عليك :

ص ٧ من ٢٠ ، ٢١ :

فان معي ذمة من يزيد وإني اعوذ باسلامكا  
من أن أظلم اليوم أو أن تطيع بي الكاذب الآثم الآفكا



والوجه : من ان (همزة وصل ، وهي من ضرائر الشعر) حتى يستقيم الوزن  
ص ١٠ س ٦٥ :

إذا ما قرش فاخرت بطريفها      فخرت بمجد يا يزيد تليد  
بمجد امير المؤمنين ولم يزل      أبوك امين الله جدد رشيد  
به عصم الله الأنام من الردى      وأدرك نبلاً من معاشر صيد  
ولعل الوجه : «جد رشيد» (والمعنى : معاوية) ، وفي رواية الاغاني : غير بليد . ويقول  
هنا الناشر : ربما عن الشاعر خالد بن يزيد ، وهذا من باب التأويل المرسل ارسالا  
ص ٥٠ س ٤ : امرأة من الخوارج — والصواب : امرأة

ص ٦٢ س ١٤ : قال معاوية بن يزيد في الخلافة : والله ما نفعتني حياً أفأحملها ميتاً —  
والصواب : ميتاً. فلمتعالم ان الميت (والمات) هو الذي لم يمت بعد ، وأما الميت فهو الذي  
مات (راجع القاموس مثلاً) . وقد اراد معاوية المعنى الثاني ، ودليل ذلك ما رواه البلاذري  
(ص ٦٣ س ٢٠ ووازن ص ٦٥ س ٦) «لما حضرت الوفاة (معاوية بن يزيد) قيل له لو استخلفت  
فقال كفيته حياتي ، واتضمنتها بعد موتي ؟ فأبى »

ص ١٣٤ س ٨ و ٩ : ان سعيد بن العاص كان جالساً ومعه قوم وهو يحدثهم فسقط  
جدار على قوم فانقضوا الأفتى ثبت معه حتى استتم حديثه ... — والوجه : على القوم  
ص ١٣٨ س ٧ : ولقد ضرستني الامور وجرستني الدهور — ولعل الوجه : ضرستني  
بتشديد الراء للازدواج  
بشر فارس

### فلسفة الطب

أو علم الامراض العام — تأليف الدكتور حسني سبيع — أستاذ الامراض الباطنية ومديرها ورئيس  
المعهد الطبي العربي — مطبعة الجامعة السورية بدمشق — صفحاته ١٠٧١ قطع المقتطف بنط ٢٤ ايض  
هذا كتاب نفيس في ما ينبغي على الف صفحة ما كان ليقدم عليه الا عالم متمكن وكاتب  
بمعرض بصناعة القلم . ففي صفحاته المتوالية تنتظم النظريات والآراء الباعية التي من وراء حقائق  
الطب الحديث واساليه . هنا دراسة الوراثة (وهي جزء من دراسة اسباب المرض الباطنية)  
وهنا بحث المؤثرات الكيميائية من اغذية وسموم وغيرها (وهو جانب من دراسة اسباب  
المرض الخارجية) . وهنا ايضا باب كبير في التغذية والتبادل الغذائي وآخر في الغدد الصم  
ومفرزاتها الباطنة . ولو نحن شئنا ان نتقل سجل محتويات الكتاب فقط لما اتسعت لذلك اربع  
صفحات من هذا الباب . وانما يجد القارئ في ما تقدم مثلاً على نفاسة ما تطوي عليه صفحاته



يقول المؤلف في توطئته « ويعتبر الطب من هذه الوجهة علماً وقنناً وصناعة معاً . فهو علم بطراز دراسته والاحاطة به . وفن بطريقة ممارسته وما يتطور ذلك من دائم التغيير والتبديل تبعاً لناموس الارتقاء . وهو صناعة لأنه مورد رزق لمحترفه . والطب في عصرنا نتيجة جملة علوم وفنون ومحصلتها ١٠٠٠٠ » . وما عليك الا مطالعة بضع صفحات متوالية من هذا السفر الجليل لتدرك ما عاناه المؤلف في تتبع بحوث الكيمياء والطبيعة والكيمياء الحيوية والفسيولوجيا وغيرها علاوة على علوم الطب المختصة لكي يخرج من مطالعته وبخبره بهذه الصفحات الميسرة للمطالع المفيدة للطبيب .

كنا نكتب الفصل الاول من مقتطف هذا الشهر عند ما تلقينا هذه الهدية النفيسة ، ففتحنا الكتاب على غير قصد فافتح عند الصفحتين ٤٨٨ و ٤٨٩ فوقع نظرنا على لفظ *acetylcholine* واسم كانون Cannon فاذا البحث الذي نقله عن عدد حديث من مجلة اميركية مجمل اجمالاً عامياً طبيياً في هذا الكتاب . واذا اعوزنا الدليل على ان المؤلف استقصى احداث ما خرج من معامل البحث مما يمت الى الطب بصله فهذا وغيره الدليل القائم ولعل معجم المصطلحات العربي الفرنسي الذي ذيل به الكتاب انفس اجزائه وهو في ٤٣ صفحة كل صفحة منها تحتوي على نحو اربعين لفظاً عربياً مرتبة على حروف الهجاء ومقابلها الفرنسي . واذا كنا نقتصر الآن على هذه الكلمة الموجزة فلأن المجال ضيق والرجاء معقود على العودة اليه في فرصة قريبة لا يفاته حقه

### النقود العربية وعلم النميات

الاب أنستاس ماري الكرمل . مكتبة لويس سركيس بالقاهرة ، ٢٥٩ ص من قطع المقتطف هذا سفر جديد يضيفه العلامة الاب الكرمل الى خزانة الكتب العربية ، وله عليها ايداع لا تكاد تحصى الا بالمراجعة والتذكر . وهذا الكتاب يتناول فنساً لم يطرقه الباحثون من وجهه دون غيره . وسبب ذلك ان التصنيف العربية التي تبحث في النقود لا تزيد على اربعة ، والباقي فرع منها ، كما يقول المؤلف : وهذه الاربعة هي رسالة في آخر « فتوح البلدان » للبلاذري ، واخرى في النقود الاسلامية للعقريزي ، واخرى نجدتها في الجزء العشرين من « الخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك » والرابعة في « تحرير الدرهم والمثقال والرتل والمكيال ، وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر على مقتضى ما حدد بدار الضرب سنة ١٢٥٦ » تأليف مصطفى الذهبي الشافعي

والرسالة الاولى والثانية مطبوعتان ، والثالثة متداولة مع مجموعتها ، واما الرابعة فما لا يزال



مخطوطاً . وقد اهتدى إليها الأب العلامة فاققتها . وها هوذا ينشرها في هذا الكتاب . وقد رأى أن يسبقها بنشر الرسالتين الأوليين فيزيد في تحريرها من طريق التمهيص والمراجعة ، وفي تقريب فوائدها بآيات المسارد ( الفهارس ) واستعمال الموازنة والمقاربة . وقد أضاف إلى كل ذلك ما سطره ابن خلدون في مقدمته والقلقشندي في «صبح الاعشى» بشأن السكة والنقود . وما أسف له ونأسف أنه لم يدخل ذلك في صلب الكتاب بل جعله بمنحى عنه

والكتاب مخدوم ، زاهر بالتعليقات والفوائد والتنبيهات والشوارد على أسلوب عودنا الأب العلامة إياه : فن استقصاء واستطراد ، وقص وتفحص . ومن الكتب التي رجع إليها المؤلف الناشر : الاحكام السلطانية والتعريفات والتهديب والعقد الفريد وفتوح البلدان وقوانين الدواوين لابن ممتى ونخب الذخائر في احوال الجواهر لابن الاكفاني ( وقد نشره الأب العلامة لسنة مضت ) . ولعل المؤلف الناشر رأى أن يهمل فصلاً صغيراً للخوارزمي في «مفاتيح العلوم» عنوانه « في مواصفات كتاب ديوان الخزن » وباباً في المخصص

وللكتاب بعد هذا سبعة عشر مسرداً ( فهرساً ) . وهذه طريقة للأب العلامة تذكر له ويمدح بها . ففي المسارد تقريب الفوائد وبذل الدقائق . ولا ضير أن تكون كثيرة . ومن مسارد الكتاب مسرد للنعوت والالقب والصفات المعظمة الواردة على النقود ، وآخر للموازين والمكييل والمقاييس والاثمان ، وآخر للاصلاحات والاضافات ، وهكذا ترى مبلغ فائدة هذه المسارد ، فن الخطأ ان يقنع الناشر بالفهرس المشتمل على فصول الكتاب ومواده

### الحكم في أصول الكلمات العامية

للدكتور احمد عيسى بك . مكتبة مصطفى الباني الحلبي — ٢٥٢ ص من قطع المقتطف  
للدكتور أحمد بك عيسى مئة على اللغة العربية هي المعجم الذي عمله في النبات، وله بعد هذا « تاريخ البهارستانات » . وهذان هما مؤلفاه المقدمان وبهما يحق له ان يفخر ويفاخر وقد أخرج اليوم كتاباً جديداً يدخل في فن اللهجات وهو فن مستحدث من فنون علم اللغة، قد علا شأنه في جامعات أوربة، ولم يطرق بعد هنا إلا عرضاً أو من طريق الإشارة والكتاب يثبت طائفة كبيرة من الالفاظ العامية ، مرتبة على حروف المعجم ، مع ما يراد منها في الاصل العربي الفصيح ، وقد حُرِّفَتْ عنه من طريق اللحن الجاري على ألسنة العامة . ومزية الكتاب أن مؤلفه يورد فوائدها عند الفحص عن الاصل الفصيح اذا كان للكلمة أصل في اللغة ثم يتبع مصدرها اذا كان مرتجلاً أو منقولاً عن لغة أجنبية . وربما عمد المؤلف إلى طريق الترجيح فاصاب : مثال ذلك ما قاله في « إنازح وإنزحه » و « إتاوى » و « دوا » . وربما ذهب في التخمين لجاء كلامه موضع نظر : مثال ذلك ما قاله في « شعاع » وهي كلمة ترد



في تعبيرات الصوفية ، وفي « أبو التسمين » و « الابعد » ( وفي « الابعد » كناية اذ يجري الحديث على غير السامع في موضع ذم فتبعده عن السامع دعاء ، وعلى ذلك قول العامة ايضاً ، « فلان — البعيد — لييم » )

هذا وكان يحسن بالمؤلف أن يرسم نبرات الحروف على وجهها في اللغة العامية فيجعل علامة للامالة بدلاً من الكسر الصريح في الحروف الممالاة ، مثل لفظة « شِفْتِسي » . وذلك لان علم اللهجات الحديث يتطلب حكاية الاصوات والحركات والنبرات على ما تنطق به ثم إتنا كنا نود أن يذكر المؤلف بعض من سبقه في معالجة فن كتابه . نقول هذا وبين يدينا كتاب « تهذيب الالفاظ العامية » للشيخ محمد علي الدسوقي ، مصر ١٩٢٠ ، فقد وافق كتاب الدكتور عيسى في غير موضع

وبعد فان هذا الكتاب حقيق بأن يُعتدَّ به ويُنتفع فهو من المؤلفات التي تخدم اللغة العربية الخدمة الجليلة وتجري الى تهذيب المنطق وتحرير اللسان

ب.

### في الادب المصري الاسلامي

من الفتح الاسلامي الى دخول الفاطميين

صفحاته ٢٩٠ — طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

عنوان هذا الكتاب كموضوعه يدل على اتجاه جديد في بحث الأدب العربي . فلقد كانت دراسة هذا العلم في مصر متجهة الى أدب بغداد أو أدب الشام أو أدب الجزيرة . لأن هذه البلاد الثلاثة تنقلت فيها الخلافة الإسلامية العامة . ولقد أغفل الأدب المصري الإسلامي وضاعت دراسته حتى في داره . وأهملت مناهج الأدب العربي للمدارس الثانوية المصرية دراسته المطوّلة . ولم يرد لمصر ذكر فيها الا كلمة صغيرة سريعة اللمح عن الأدب أيام الطولونيين والأخشيديين والفاطميين والايوبيين . وهي كلمة لا تقاس بجانب الكلام الطويل المفصل عن الأدب الجاهلي أو الأدب في العصر العباسي بقسميه

وعجب جداً أن « المصرية » ذابت في الأدب كما ذابت في التاريخ العام . فقليل جداً هم الذين يعرفون أدب مصر الإسلامية من المصريين . وذلك راجع الى عوامل سياسية تقلبت على مصر حتى كتب الله لها أخيراً ان تنهض على قدميها مستوية لتقول للعالم في كبرياء: هذا تاريخي وهذا أدبي ! وكان من أثر اهتمام جامعة فؤاد الأول بهذا الموضوع أن أنشئ فيها كرسي للأدب المصري الاسلامي . فاهتم الشباب المثقف المعز بأدب بلادهم . وظهر كتاب اليوم نتيجة لهذا الاهتمام . ومؤلف هذا الكتاب يشكر كل الشكر لأنه كان رائداً من رواد القومية المصرية متمثلة في الأدب . ولقد كلفته تلك الريادة سعياً طويلاً وجهداً متلاحقاً . الا أنها كلفته في



الوقت نفسه أسرافاً في التقدير . وله في ذلك بعض العذر . فهو محب لمصر ، والمحب دائماً مسرف  
والأ فكيف جاز له أن يستدل بهذا البيت

رماكم أمير المؤمنين بحية أكل لحيات البلاد شروب

أو بأشباهه على أن هذا المعنى من أثر مصر في أبي نواس لأن مصر بلد عصا موسى وحيات  
السحرة ( ص ١٨٧ ) . وما رأي المؤلف في المثل العربي القديم « ان العصا من العصية  
ولا تلد الحية إلا الحية » أناخذ من هذا أن القائل الاول للمثل لا بد أن يكون مصرياً أو عاش  
في مصر . قرأت هذا الكلام فابتسمت الابتسامة التي أضعتها حيناً أقرأ في بعض كتب الأدب  
المدرسية الحديثة — عن أثر البيئـة في الشعر فأجد فيها الاستدلال على بيت — ليكون — جاهلياً —  
بذكر الطلل أو الأبل أو الحنين . وهو استدلال خاطيء لأن قائل هذا البيت قد يكون متأخراً جداً  
ولكنه ممن في تقليد القديم

هذا الكتاب الجليل الشأن في تاريخ الادب المصري مقسم ابواباً متفرقة . تكلم فيها  
المؤلف الفاضل عن موضوعات جديدة بالقراءة جديدة بالتفكير ، فقد استله بالحديث عن الادب  
قبل الفتح الاسلامي . وخلص من ذلك الى الفتح والحياة العقلية وفن الكتابة والشعر . ومن  
الخط الحسن أن يكون للشعر نصيب عظيم في هذا الكتاب . فقد استغرق مائة وخمسين صفحة  
— أي أكثر من بقية الموضوعات مجتمعة — وتلك يد المؤلف يذكرها له الشعراء الاوفياء .  
ولا يعيب جمال تلك اليد أن المؤلف اخطأ كثيراً في نقل الايات خطأ لا يستقيم معه وزن  
ولا يقولن حضرته أنه خطأ مطبعي فلم يرد له تصويب في جدول التصويب بأخر الكتاب  
ولعله يعتذر من ناحية أخرى بأنه لا يلم بعلم العروض ، ولكنه قد كان له عن ذلك كله مندوحة  
بعرض اصول الكتاب على من له بالشعر بصر ....

ونسوق هنا بعض الادلة على ما نقول في صفحة ٢٠٢ ورد هذا البيت

فجزى الله حاجيا فظا كل خير عنا اذا يجزيه

والشطر الاول مكسور فبحره الخفيف وليس الوزن مستقيماً ولعل حاجيا حاجيا وفي صفحة

٢٠٩ البيت الثالث

يدل ذوي الالباب ان بناءه وبانيه لا بالضنين ولا الغمر

والشطر الثاني منه مكسور . وفي صفحة ٢٢٠ البيت الخامس

لقد طهرت الارض من سوء فعله ومن وجهه ذاك الكريه المورم

والشطر الاول منه مكسور لان ثالث مفاعيلن محذوف وهو لا يحذف وغير هذا كثير

وعبارة المؤلف العربية تحتاج الى شيء من التصحيح ثم ينقصها شيء من الضبط فهو يقول في



ص ٢٣٦ ( رقت شعورهم ) والشعور مذكر لا مؤنث ومفرد لا جمع . ويقول في صفحة ١٩١  
عن أبي تمام ( لم يصلنا عنه شيئاً كثيراً ) والصواب شيء كثير وغير هذا كثير  
وبالرغم من ذلك كله فالكتاب مجهود طيب لمؤلف زرجون ان يرى في تأليفه المقبلة اثرأ  
لكنوفه على كشف القناع عن أدبنا المطوي في تضاعيف السنين محمد عبد الغني حسن  
تورة الاسلام وبطل الانبياء

ابو القاسم محمد بن عبد الله

بقلم محمد لطفي جمعة — بمطبعة عيسى البابي الحلبي — ٥١٢ ص — من القطع الصغير  
هذه فاتحة ماسماه المؤلف الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي « سلسلة الثقافة الاسلامية وحضارة  
العرب » . وهذا الكتاب يتناول ظهور الاسلام وعلو شأنه على يد الرسول في زمن الجاهلية  
والوثنية العربية . وفيه اساطير جاهلية كثيرة لطيفة من فلسفة الى لغة الى عقيدة الى تاريخ .  
وقد عول المؤلف على طائفة من امهات الكتب العربية القديمة كالحامسة والسكامل والسيرة فضلاً عن  
القرآن وكتب الحديث . ولا بد من ان نقول ان المؤلف يجري في كتابه هذا الى تعظيم انبثاق  
النور الاسلامي . ولكن أحتاج في ذلك الى تنقص عهد الجاهلية وذم أهله اقبح ذم ؟ فقد قال  
مثلاً ( ص ٢٦٨ ) « كان القدر من ابرز رذائل الجاهلية فلم يعرفوا الوفاء والمروءة ومكارم  
الاخلاق إلا بعد الاسلام » . وهناك غير هذا من ألوان المأخذ الاخلاقية على عرب ذلك الزمان .  
والمؤلف في هذا يجري على منوال فريق من المؤلفين المحدثين من عرب ومستشرقين  
وما أبعد القوم عن الصواب ! فمن الشعر الجاهلي وأخبار الجاهلية يتبين لنا أن العرب في  
جاهليتهم لم يكونوا « متوحشين » كما جاء في ( ص ١٠٩ ) وفي كتاب « العرض عند عرب  
الجاهلية » للدكتور بشر فارس تفصيل ذلك ، وفي فصله « مكارم الاخلاق » من كتابه  
« مباحث عربية » إشارات الى مواضع كتب فيها مثل ابن قتيبة عن فضائل عرب ذلك العهد  
هذا والكتاب يُقرأ بسهولة كالقصة وفيه فوائد مجموعة ، وتسيره نيّة دينية حسنة \*

الربيع الآثم — مجموعة أقاصيص مصرية

للاستاذ محمود كامل المحامي — ٢٤٨ صفحة من قطع الثمن — دار الجامعة للطبع والنشر  
الاستاذ محمود كامل المحامي من الادباء الذين برزوا في كتابة الأقصوصة . وقد نالت أقاصيصه  
من الذبوع والانتشار ما لم تنله أقاصيص اي أديب آخر من أدباء العربية المعاصرين في مصر .  
ويرجع ذلك — في نظري — الى أنه فنان يعالج في أقاصيصه حياة الطبقة الوسطى المصرية  
وهي طبقة عليها كل الاعتماد اليوم في ذبوع الكتب وانتشارها ، لان منها تحيى الطبقة المتعلمة في  
مصر . ولا شك في ان لمعالجة حياة هذه الطبقة وتصويرها الشيء الكثير من التقرب اليها . على انا  
بعد ذلك نجد لهذه الأقاصيص قيمتها من الناحية الفنية الجديرة بالنظر ، ولهذا كان موضع من مواضع



مؤاخذتنا على زوكمان اغفاله الكلام عن أقاصيص محمود كامل في « تكملة تاريخ الآداب العربية » وذلك في الوقت الذي اشار فيه الى أقاصيص كتاب آخرين قد لا يجارونه في الروح الفنية والانتاج ( انظر لنا مجلة المعهد الروسي للدراسات الاسلامية — عدد أكتوبر — نوفمبر ١٩٣٩ )

ومن المهم ان نقول في هذا الصدد ان الاستاذ محمود كامل رأس مدرسة قصصية في الأدب العربي المعاصر، معظم أفرادها من أدباء الشباب انتظمت جهودهم على صفحات مجلة « الجامعة » و« العشرين قصة » ومن أبرز هؤلاء الأديان : ابراهيم حسين العقاد وعادل الجبال. والحق ان محمود كامل لم يزل زعامة مدرسة قصصية في الادب المصري اعتباراً ، فاتجاهه الكبير وما يتسم به هذا الانتاج من السمات الفنية هما اللذان مهدا له سبيل هذه الزعامة. وآخر آثاره مجموعته القصصية « الربيع الآثم » وهي تجمع خمس عشرة أقصوصة بين دفتيها ، والسمة الغالبة على هذه الاقاصيص : ان الواقعية تمسك عليها مداخلها والرومانسية تأخذ عليها مخارجها ، فهي من هنا مزيج من الفن الواقعي والفن الرومانسي. ذلك أنه ينقل وقائع أقاصيصه من المجتمع المصري، ويتخذ موضوعاتها من حياة الطبقة الوسطى في مصر ، ومن هنا يجيء الاصل الواقعي في قته . غير أن هذا النقل وذلك التصوير يغلبهما جانب تغليب الاحساسات والمشاعر . ومن هنا يجيء جو أقاصيصه صاخباً بصور عاطفية ، فيسبغ ذلك على مخارج أقاصيصه لوناً وجدانياً ( رومانسياً ) وهذا يظهر بوضوح في أقصوصتي « صراع » و « عندما يكره الرجل » على أنك بعد ذلك تصيب غلبة للون الباطني في بعض الاقاصيص كما هو الحال في أقصوصة « كانت أمينة » ففيها تظهر بعض معالم التفكير الفرويدى Freudism ( ص ٩٤ ) وأقصوصة « الربيع الآثم » التي يبدو فيها التأثر بأفكار ريبو Ribot ( ص ٤٣ ) . هذا فضلاً عما تصيبه من الاجواء الخيالية — romantique — في بعض الاقاصيص كأقصوصة « اضواء » ( ص ٧٩ ) وعناصر المأساة ( الفاجعة ) tragedie في أقصوصة « المنكوبة » وهي قطعة من الادب الانساني العالمي . وأظن ان الوقت قد حان للانتباه لما في أقاصيص محمود كامل الحامي من العناصر الفنية التي تجعلها حية بالشعور زاخرة بالاحساسات فتسبغ عليها قيمة أدبية خاصة

الاسكندرية

اسماعيل أحمد آدم

كتب قرأتها

قدر يلهو

### قصة تأليف الدكتور شكيب الجباري

قلت ، وقتما تقدمت القصة الاولى «نهم» وهي التي ألفها الدكتور الجباري « هوذا نجم أشرق في سورية يشير الى ميلاد قصصي » وقد أتى روح هذا القصصي الموهوب الا أن بمدني بفيض جديد من نبوغه دعم به حكومي فأصدر قصته الثانية « قدر يلهو » يرسم بها صورة شاب شرقي لقي فتاة في أحد شوارع برلين تخبط خطه في ليلة اشتدت فيها الرياح العاصفة فيعرض عليها مصاحبته حتى منزلها فترده شاكرة لانها تقطن منزلاً بعيداً عن البعد



لتي وجه رفيقته صبوحة تشرق الفتوة من عينيها فدساها الى منزله القريب يصيبان فيه بعض شراب ساخن أو طعام ، وبمكثان قرب المدفأة ريثما يهدأ وأبل المطر كانت الفتاة متأهبة لسماح مثل هذا الاقتراح الجريء ويقول المؤلف « نظرت الى ضيقي بعد ان آتينا على الطعام كله فاذا القلق ملء عينيها ، وكانت كأنها المنتظر مكروهاً لا بد من وقوعه .... » ويقول « أعددت لها ما يلزم لتنام ، ثم غادرت الغرفة ورجعت بعد دقائق فاذا الفتاة مدثرة لم يظهر منها سوى خصلات شعرها المشبعة الذهبية »

لهذه الفتاة الهاثمة على وجهها قصة موحجة تماثل وجائع أخواتنا اللواتي يلقين العنت الجائر والتصف المعض من زوجات والدهن فينفرن هاربات منهن ، ومن أكفهرار وجه الحياة في عيونهن ، ومن والدين وقد ايقظوا فيهن روح النفور بصدوهم عنهن وارتماهم في احضان زوجاتهم ، وقد قصصها لصديقها هذا الذي آواها بعد تشرد ، واشبعها بعد جوع . أخذت الفتاة تقول « في ليلة أفرطت فيها زوجة أبي في اهانتي ، وغالى والدي في الاغضاء عنها ، في تلك الليلة بنا عني الكرى ، وضاعت في عيني أفق الحياة ، وأخيراً مضى في ذهني خاطر دفع بي الى جمع ثيابي ، وانتشال محفظة نقود والدي ، والذهاب الى المحطة فركبت القطار الى برلين »

في برلين انكشفت لي المدينة الكبرى عن حقيقة ما انطوت عليه من فقر وفاقة ، لم أدع باباً من ابواب الرزق الا طرقت ، نصبت دراهمي ، أخذ الجوع يدهمني ، طردت من غرفتي ، لجأت الى الحدائق العامة ، شاهدت في زواياها المظلمة خسارة نفوس الرجال ، تضاعل الحياء والخوف والرغبة في دماغي ، وحين لقيتك كان الذهول متجمداً في رأسي والحمى تطن في أذني . وكان قد مات في قلبي جميع ما غرس فيه من حذر وحياء ، وغفاف . فما عرضت علي أن اصحبك حتى فعلت وصوت الجوع يهيم في أذني ، لحت فيك الرجل الجشع الشبق فأسأت بك الظن « أما الآن فخسي ان أذكر اني لقيت رجلاً » فهل لك ان تغفر لي سوء ظني على هذا الاساس من الشفقة والحنان ، والا كبر والاحترام ، والتجاوب الروحي ، وعلى دعائم الالم والهم لظواهر الاشياء وطبائعها تأسست وتركزت الصداقة بينهما

طراً على حياة الرقيقين ما جعل وجه الفتاة يعلوه الوجوم والشجن الامر الذي أحفظ الفتى وحرك ضجره ، فأخذ وهو المفطور على التقلب على الايدي الناعمة والاستنارة بالسمات الوضاعة يستهدف كل يوم هدفاً جديداً ويشتمى من معين جديد ، غافلاً عن استطلاع كنه شجن رفيقته وسبب وجومها . وأخذت هي تجد في النظر الى مستقبل حياتها ، وتعمل بلباقة المرأة ودعائها على ألا تدع رجلها يقلت منها لم تكن تقاوم تيار الرجل اعتماداً على جمالها وقتنها بل كانت تجاربه بالحيلة اللطيفة والبسمة العذبة ، والنظرة الصافية حان وقت عودة الشاب الى وطنه وقد آتم دروسه ، وتحدد موعد السفر ، فلم تطق المسكينة الذهاب الى المحطة خوفاً من اقتضاح جنبها الصامت ووجلا من ان يحومها جلدها ، بل حملت أحد المودعين كتاباً قالت فيه « .... أما اليوم فاني أبدي لك حي غير خائفة منك صداً ولا هزواً .... كتبت اليك لا لادخل الحزن فؤادك أو أنكد سفرك بقصة فتاة حقا ، بل لاعد ذهنك لامر جلل ... وان تغفر لي ذنبي الذي جنيته عمداً عليك وعلى بريء ثالث هو ثمرة حيي القهار لك ووليد انانية عمياء دفعني اليها حب الحياة دفعاً .... لقد عرفتك بإعلاء الدين كريماً شريفاً ابوقاً وسيكون ابنك أنوفاً شريفاً كريماً .... اعتقد ان المرأة المعوزة قريبة من بؤرة الرذيلة طالما هي طليقة تحيا بنفسها لنفسها ، اما المرأة التي وقفت حياتها على انسانيات تحب وتحترمه فلا خوف عليها من الرذيلة ولو مزقتها انياب الفاقة .... رجائي الاخير ان تذكرني بإعلاء من آن الى آن ، بينك وبين نفسك ، فان فعلت سعدت وسعد ابنك »

\*\*\*

جمع حب إعلاء الدين لصديقه اليزا كما جمع الحياة في البذرة ، ولم يبق منه سوى ذكريات درست الاعوام الطوال رسوماتها ومحت شموسها ، والشباب مجموعة من تلافيف في طبائرها ما لا يحصى من رسوم وصور وحوادث وذكريات لا يعود اليها الا في حالات الالهي الموحية ، أو الكلال والسعي عن ابتداء صور وذكريات جديدة ، أو مفاجأة صارخة مدوية ، وقد تكون تجمعت هذه العناصر دفعة واحدة لتتدفق بإعلاء الدين الى احد الملاهي ليرى الراقصة المسك التي اسرت لب صديقه الموظف في الحكومة الذي كاث يتفنن في الحصول على المال يذرعه على مائدة الشراب وهو الذي طالما حدثه بحماسة عن الصفات الكريمة والسجايا



النيلة لهذه الراقصة المجبولة من طينة تختلف عن النساء اللائي عرفن  
عرفت ايلسكا علاء الدين ولكنه لم يعرفها انما ايلزا ، لقد عرف ايلزا قبل اثني عشر عاماً فتاة ، تتدفق  
الحياة من عينيها ، والفتنة من نضارة شبابها ، والبساطة في هداياها المتواضع ، أما الليلة فهي سيدة أنيقة ،  
مرحة لعوب ، عملت أيدي التزيين والتفتين في شعرها وعينيها ووجهاً ويديها وظافرها كما انشبت الطبيعة الجائرة  
ظافرها في رثتها وهو اذ ينظر الى عينيها « فاذا بهما تسطمان يريق غير طبيعي يرسم الوهن والضعف  
في نصف الهالة النفسجية النجمة في محجرها » لقد عرفها حقاً وتجلت صورتها في ذهنه ساعة رآها مسجاة في  
سريرها مدبرة لا يظهر منها سوى خصلات شعرها الذهبية ، وسمع منها وهي تلهث وتسعل قصة جديدة ،  
قصة ولدها الذي ربه وعملت لان يكون صنو أبيه ، وكيف جاهدت وغالبت الحياة لتكسب ما يوفر الهناء  
والسعادة لذلك الولد الذي سكبت فيه روحها وجهاً ولكن الاقدار رزأها فيه ....

لقد اضاعت المسكينة كل شيء وأصبح ما حولها فراغاً ، فأخذت تطفئ احزانها بالخمير ، وتدغم بكاءها  
بالضحك ، وتبرقع سهوها بجنون الرقص وهي الا ان تدعو علاء الدين الى الاقتراب لتودع بين يديه نفسها  
الاخير كما حبته من قبل النسمة المقدسة من جها المقدس

\*\*\*

هذا ملخص مقتضب لهذه القصة الخافلة بنخائر من الفن لا تجد لها مثيلاً الا في خزائن ابطال القصة من  
الغريين ، وكان بودي لو يتسع المجال للتبسط في عرض خلاصات وافية لبعض فصول هذه القصة الرائعة .  
الرائعة في خصائصها الفنية ، في كيفية العرض وطريقة الاسلوب ، في طبيعتها الموضوعية والذاتية وما يعتمد  
فيها على قوة الملاحظة ، وبراعة الاستملاح في رسم الاحساسات والميول الخاصة والعامة ومزجها لتصبح كأنها  
الروح الشائع في الجسد ، في بصيرة كاتبها النفاذة يرى حقائق البواطن والظواهر ، ودوافع الجسوم والارواح ،  
وتدرك طبائع الاشياء والاشخاص من خلال الظلمات والانوار ومن شتى انفعالات النفس

الرائعة حقاً في اهتمام مؤلفها البارع بمراقبة طبائع الشهوات وزوات الغرائز ، في مقدرته على اشعار  
القارئ بغفلته عن فهم الحقائق وصور الجمال التي هداها اليها ، في جعل التصورات المتدعة من صميم الخيال  
تتمشى مع طبيعة الحياة المحسوسة ، في اقصائها عن ظواهر الحياة الخداعة ، في الانجاء الكيس الى اشخاص  
القصة الذي التي بهم في غمرة الحوادث وفي رسم ملامحهم وحركاتهم وما يطرأ عليها خلال اصطدامها بوقائع  
الحياة ، في الضباب الشفاف الذي يرقع به وجه الحياة الحساس المتقلب واستنوارته فينا حب الاستطلاع  
وغريزة الفضول

والرائعة حقاً في التحليل ينقض على العواطف ينتشلها من وهاد النفس ليطرحها في النور ، في تغليب  
العقل على ملكات الاستشعار والاستلهم ، في المزج بين خصائص العقل النزاع الى المنطق والنظام والتدريب  
والبناء وبين خصائص الخيال الفياض المبدع

لقد استجلبت هذه المزايا الفنية في قصة « قدر يلهم » واني اذ أحتفي كل الحفاوة بالكتور شكيب الجابري  
وأدعو القارئ الى الاشتراك معي في الترحيب به واحلاله المقام الاول ، فليراعه في جمع هذه الخصائص  
واشاعها في جوانب هذه القصة التي ينبض فيها الروح وترقص للحياة والجمال والحب

ولو حاولت الانتقال من التعميم الى التخصيص لذكرت الحوار البارع ، والسخرية الدامية ، والتهكم المفلج ،  
والنصح السديد ، والدعوة الحارة الى اغراض تبدو وتحتفي وفق المناسبات ، الى وثبات وومضات تقلبك  
بين راحتي الدهشة والاعجاب

لا أحسب الجمال بسحره وفتنته يجعلني اتفاضى عما ليس بفائق وساحر ، فغير الجيد في هذه القصة تعمل  
المؤلف اقحام كلمات ، غريبة نائية عن الذوق ، بعيدة عن الاسلوب القصصي السلس مثال ذلك « فاده »  
التي الجين في فؤاده و « باهل » وهو الذي يتردد بلا عمل و « مسرب » مسيل الماء و « لها تف » ضحك في  
تثور و « مخرقة » وهي سكة بين صفين من الشجر و « لفق » ان يكون في اللسان ثقل وانعقاد ، وعشرات  
من كلمات ليس في الامكان معرفة معناها بغير العودة الى المطولات من قواميس اللغة وكان في الوسخ تداركها  
بأثبات كلمات سهلة تفيد المعنى بالضبط ولا تضطر القارئ الى العودة الى الهوامش التفسيرية ، اما جوهر  
الموضوع فهو منبثق ولا شك من روح قصصي أصيل موهوب

حبيب الزحلاوي

القاهرة



# بَابُ اخْتِصَارِ الْعِلْمِ الْعَلِيَّةِ

قلوب منه الفولاذ

لاجل البشر

باستعمال قلب صناعي فولاذي بديلاً للقلب الطبيعي ، ورثة صناعية فولاذية

وبينا يبدو لنا ان القلب والورثة الفولاذيين شيء مخالف لمبتدعات الفنون العصرية ، نرى هذا الجهاز الحديث قد نجح وبلغ شأواً عظيماً ، في جامعة بنسلفانيا حيث استطاع القلب الفولاذي تلقي دماء الدورات الدموية التي كانت تدور في اجسام ١٣ من الحيوانات المربضة وجميعها من السنائر ، وأغلبها ما يزال حياً حتى الآن ، مع انقضاء حوالي سنة على تلك العملية ، وقد وضعت قطعة منها بضع قطيطات بعد مضي ستة اسابيع على امدادها بذلك الجهاز الجديد

وهذا المخترع « بفتح الراء » العجيب ، ثمرة من ثمار المباحث المدققة التي يباشرها الدكتور John H. Gibbon جون هـ . جيبون الصغير ، وهو طبيب في قسم هاريسون الخاص بمباحث الجراحة في جامعة بنسلفانيا وقد أعلن هذا المخترع ( بكسر الراء ) في حفل مؤلف من مجمع فيلادلفيا للجراحة ، وجمعية بوسطن للجراحة أيضاً ، رأيه في جهازه فقال إن ذلك القلب والورثة الفولاذيين المصفيحين بمعدن الكروم ، قد يستطيعان يوماً ما القيام بجزء على الاقل من عمل القلب في الدورة الدموية البشرية زمناً يختلف من عشرين

ما فقه ما ينتاب القلب من آلام ونوبات ، ووقوف عن أداء وظيفته ، مصدراً لمذاهب شتى تقضي الى خلط تلك الاوصاف بعضها ببعض ، حتى أجمع العلماء على ان جراحة القلب وترميمه من اشق المعضلات وأدقها ومع ذلك فقد تجدد الآن الأمل في نجاح تلك العملية الشاقة وذلك بالنتيجة العجيبة التي نتجت من تجربة حديثة عملت في القلب أو اختراع خاص به ، كما ينبغي أن نسميه ، يرجى منه فتح ميدان جديد في جراحة القلب ، ونعني به صون الحياة باستمرار خفقان القلب حيث يكون قد وقف . وكان المؤلف الى عهد قريب جداً ألا يتعدى مشروط الجراح الذي يعمد اليه في عمليات القلب ، السطح الخارجي لذلك العضو الغامض الذي هو مصدر الحياة ، مثل خياطة القلب عقب تعرضه لجروح طعن يصيبه واشباهها من الاصابات أو اجراء العمليات في الغلاف المغلف للقلب وهو تاموره أو شغافه أو جرابه فتتجح من حين الى آخر في استخراج الحصوات الجيرية منه

والمرجو الآن ان يصبح ترميم أصمة القلب التي ينتابها المرض فيتلفها ، في داخل القلب بأمن العاقبة بل أمراً واقعياً وذلك



دقيقة الى ساعة . وبهذه الوسيلة يتاح القيام بالعملية في القلب ، وهو الأمر الذي كان مستحيلاً أداؤه لعجز المريض عن الحياة بغير دوران الدم في جسمه

وتبين ضرورة تركيب ذئك القلب والرئة الفولاذيين ، للمرضى المصابين بداء انسداد الشرايين الرئوية وهو من المضاعفات الخطرة جداً التي قد تعقب عمل العمليات في الاعضاء الاخرى من الجسد حين يتجمد الدم بغير سابق دليل فيسد فجأة الشريان الذي ينقل الدم من القلب الى الرئتين ، ومن ثمة تحدث الوفاة عاجلاً . وقد تقع في الحال غالباً ، وذلك في أقل من ربع ساعة . ويأمل الدكتور جيون أن يتاح للقلب الفولاذي توصيله سريعاً الى المريض قبل مضي ١٥ دقيقة أي قبل أن تدركه المنية ، فيتسنى للجراح النجاح في ازالة التجمد الدموي

والجهاز المشار اليه لم يجرب حتى الآن في غير القطط ، وهو مؤلف من اسطوانة معدنية تدور ٣٠٠ دورة في الدقيقة ويطلق فيها الدم من أنبوب يسلط على العرق المعروف باسم حبل الوريد في عنق الحيوان . وحينها تدور الاسطوانة ، تقذف الدم على بطاتها وذلك على شكل غشاء رقيق يستطيع بسهولة امتصاص الاوكسجين الداخل في الرئة الصناعية من رأسها . وهذه العملية صورة طبق الاصل لما يحدث في بطانة الخلايا الهوائية الدقيقة في الرئة الطبيعية . ويجري الدم المشبع بالاوكسجين

الجديد في القلب الفولاذي ، وهذا يقذف به مرة أخرى في الشريان السباتي ( وهو أحد الشريانين الرئيسيين في العنق ) الذي في عنق القط ، كما هو في عنق الانسان ثم يقذف الدم الى الخلف في القلب الحي ومنه الى سائر أعضاء الجسم . ويبلغ مقدار الدم الذي يطلق في ذلك الجهاز الصناعي في التجارب نحو مائة درهم في الدقيقة

وأراد الدكتور جيون اثبات النفع الفعلي للقلب الصناعي في أثناء التجارب التي جربها فأحدث في القطط سدوداً شريانية لكي يشاهد ماذا يستطيع القلب الصناعي من العمل والحالة هذه فقبض أولاً على الشريان الرئوي بملقط فاعلقه بينما كان القط مستمراً في التنفس . ومع ذلك لم يجد التنفس تقاعاً بوقف جريان الدم في الرئتين واستطاع الدكتور جيون أن يشبك قلباً صناعياً في عشر دقائق بشرايين العنق . أما في الاجسام البشرية فيمكن استعمال المعصم أو الذراع بدلا من شرايين العنق وتقوم بالبصاصة الكهربائية بتنظيم الضغط والنض في القلب الميكانيكي . وليس الدكتور جيون الطبيب الوحيد الذي جرب تلك التجربة ، في وظيفة القلب بل جراه في ذلك المضمار الدكتور اسحق ستار Isaac Starr أستاذ المباحث العلاجية في جامعة بنسلفانيا اذ تبين مبلغ ما يطلقه القلب الطبيعي من الدم في كل ضربة من ضرباته وذلك باختراعه جهازاً اسمه cardioballistograph كارديو بليستوجراف أو السيرير القلبي المعلق . وهو



العدد خارج الجسد

ويسر كاتب هذه السطور مجازاة لقولهم « الشيء بالشيء يذكر » أن يثبت في هذا المقام ما كتبه في صباه على اكتشاف كاريل العظيم حين اذاعته الدوائر العلمية منذ ٢٧ سنة وذلك في مجلة المحيط (لصاحبها المرحوم الاستاذ عوض افندي واصف) التي كانت مشتركاً في تحريرها في ذلك العهد في مقال نشر في شهر مارس سنة ١٩١٣ بعنوان « سر اطالة الحياة »

سرير يعلق بالسقف الداخلي للحجرة بحيث يترن مع كل خفقة يخفقها القلب فيبين بالرسم التخطيطي على صفحة خاصة معدة لذلك مقدار ما يطلقه قلب المريض في كل ضربة. وقد أثارت بعض التجارب العلمية التي جرت في القلب هم العلماء ولقت أنظارهم أشد من غيرها وكان أعظمها تجربة كاريل ولندبرج بالقلب الزجاجة الذي يقوم مقام مضخة تطلق محلولاً مغذياً الى قطعة من النسيج البشري لتجعلها تواصل الحياة. ويستعمل القلب الزجاجة لحياء

طائرات تحمل امهزة الراديو المصور

لتستطلع خطوط الاعداء وتتجسس احوالهم

ذات عدسات مقربة تعمل دائماً في اثناء طيران الطائرة. فاذا حلت مثلًا فوق خنادق الاعداء ومصابط مدافعهم، وطرقهم الحربية ومستودعات ذخائرهم، التقطت تلك العين المتلفزة، ما تصادفه من الاضواء والظلال وحولتها الى شبه خيط من النبضات الكهربائية. ثم يقوم جهاز محكم قوي من اجهزة الراديو باطلاق تلك النبضات في الجو، بينما يجلس قائد الجيش في مقر القيادة، أمام ستار تلفازه المستقبل، مترقباً نشر مكشوفات صور ذلك المنظر الشامل التي تحملها الطائرة، ليستجلبها. وكلا تبين ضباط أركان الحرب، صورة مهمة من تلك الصور غرسوا دبوساً في الخريطة الحربية المبسوطة أمامهم، وذلك في الموضع الذي يجب تنبيه المدفعية الى تسديد نيرانها اليه أو في المكان

قالت مجلة العلم العام الاميركية ما يأتي : ستحلّق عما قريب في الجو، مدوية بعيدة عن مرعى مدافع الاعداء المقاومة لها، طائرات من سلاح الطيران الملكي الانكليزي، فتقوم بالنقاط صور مواقع الاعداء، ونقلها الى مقر رئاسة الجيش في الميدان الغربي وغيره وذلك بفضل اختراع بريطاني، نالت امتيازته شركة الاذاعة المصورة الكبرى البريطانية، قبيل نشوب الحرب الحالية. وهو جهاز يكشف بالتلفزة، عما تحويه بلاد العدو التي تطير فوقها الطائرة المجهزة به من الاستحكامات الحربية وغيرها بطريقة اوتوماتيكية تفيد في الحصول على المعلومات الخاصة بحركات جيوش الاعداء ويركب هذا الجهاز على نافذة في قعر جسم الطائرة. وهو في منزلة مصورة جوية للتلفزة



اعمالهم الحربية مما لا تظهره الصور العادية التي تصور من الجو ، فالجنود الذين يسترون بأغصان الاشجار واوراق النباتات التي يعلقونها بأغطية رؤوسهم ، عند زحفهم أو قفهم ، يتعذر تمييزهم في الصور الساكنة من الاوساط التي تحديق بهم . اما ستارة التلفاز المستقبلية التامة ، فتبين جلياً اي شيء متحرك فتجعل تخفي الاعداء ، من اشق الامور عليهم . وهذه الوسيلة يتاح تصوير كل منظر من المناظر المفيدة الممتازة تصويراً فوتوغرافياً على ستار الجهاز المستقبل السالف الذكر . قلت ولعل هذا النبأ العظيم يفسر لنا مغزى الغارات التي تشنها الطائرات الانكليزية ، على مدن المانيا ، متظاهرة بأن مهمتها مقتصرة على القاء المنشورات على الشعب الالمانى لتوقفه على الحقائق السياسية التي تخفيها عنه حكومته

الواجب توجيه الطائرات القاذفة القنابل صوبه . وعدا الاستطلاع الذي يتم عادة بالتصوير الجوي فان للتلفاز الجديد فوائد جلية في تنظيم القوات الحربية وكيفية استخدامها ، بحيث انه حالما تؤوب الطائرة الحاملة اياه الى قاعدتها ، او حينما تجلى الشرط الفوتوغرافية التي تأتي بها يقوم المختصون حالاً باحداث التغييرات الخطيرة الواجبة في ميدان الوعى على ضوء ما يستطلعونه من أحوال العدو التي تبيهم الطائرة بصورها ثم ان التغييرات التي تحدث في تنظيم الفرق الحربية المتنقلة بالسيارات او غير ذلك من الحوادث التي تقع سريعاً في الحرب الحديثة يماط عنها اللثام في حال حدوثها وذلك باستخدام الجهاز المشار اليه وهذا عدا كون عين التلفزة تكشف عن الحيل التي يلجأ اليها الاعداء اخفاء مدافعهم وسفنهم وسائر

عجم الخوخ

يقاوم الغازات السامة

اللازمة منه لكل قناع ، بحيث تصبح شحنة واحدة من ذلك الفحم الخوخي كافية لصون حياة الجندي اسبوعاً كاملاً ، حينما يستهدف لخطر الغازات السامة عند استخدامه في تعبئتها من مخازنها في القنابل المزعم تجهيز الطائرات بها ابتغاء الاغارة على خطوط الاعداء وتنتج كل مائة عجمة من عجم الخوخ مقداراً من الفحم يكفي لقناع واحد من الالقعة الواقية من الغازات المهلكة

عوض جندي

اهم الناس في انكلترا وغيرها من البلدان اهتماماً عظيماً بزيادة المقادير التي صدرت من الخوخ الى المانيا في خلال الاثني عشر شهراً الماضية . وقد تبين الآن جلياً ان الذي حدا المانيا على الاكثار من استيراد الخوخ عجمه لالبه . اذ قرر الخبراء الالمان ان عجم الخوخ اذا أحرق واستحال فخماً كان من أفضل المواد الواقية من أضرار أي غاز من الغازات السامة التي تستعمل في الحرب ، اذ يوضع فحمة في الالقعة ، بآلة خاصة تقوم بتنظيم المقادير



# فهرست الجزء الاول

من المجلد السادس والتسعين

- ١ تأثير الحب والبغض والغضب وغيرها من الانفعالات في الصحة والمرض
- ١١ رهين المحبسين : لاسماعيل مظهر
- ١٤ تأسيس القاهرة : لـحضرة صاحب السعادة حافظ عفيفي باشا
- ٢٠ تاييس الجديدة (قصيدة) : للشاعر علي محمود طه
- ٢١ اينبغي ان نشيخ : مباحث حديثة في موضوع خطير
- ٢٨ حجر الفلاسفة يتحقق في القرن العشرين : للدكتور امين براده
- ٣١ خليل مطران شاعر العربية الابداعي : للدكتور اسماعيل احمد ادم
- ٤١ البترول ومشتقاته : لامين ابراهيم كحيل
- ٤٦ حياة مدينة سودانية : لليوزباشي عبد الرحمن زكي
- ٥٧ هنري دافيد ثورو : لمحمد عبد الغني حسن
- ٦١ العطش والماء في الصحة والمرض : للدكتور عبده رزق
- ٦٥ سير الزمان \* مقدمة لتاريخ الحرب العالمية الثانية . ١ — فترة التفاؤل والتقدم . ٢ — ثورة للاصدار . ٣ — النظام النازي وأساسه . ٤ — مقدمات ونتائج .
- (١) معاهدة فرساي (ب) جبوط العقوبات (ج) الروح الديمقراطية
- ٧٢ مكتبة المقتطف \* انساب الاشراف للبلاذري : للدكتور بشر فارس . فلسفة الطب . النقود العربية وعلم النميات . المحكم في أصول الكلمات العسامية : للدكتور بشر فارس . في الادب المصري الاسلامي من الفتح الاسلامي الى دخول الفاطميين : لمحمد عبد الغني حسن . ثورة الاسلام وبطل الانبياء . الربيع الاثم : للدكتور اسماعيل احمد ادم . قدر يلهو : لجيب الرحلاوي
- ٩٢ باب الاخبار العلمية \* قلوب من الفولاذ . طائرات تحمل اجهزة الراديو المصورة . عجم الخوخ تقاوم الغازات السامة . لعوض جندي
- ٩٧ لحق بالمقتطف \* اوقات الفراغ وكيف نستثمرها
- ٩٩ (١) — للدكتور محمد حسين هيكل باشا
- ١٠١ (٢) — للدكتور منصور فهمي بك
- ١٠٨ (٣) — للدكتور علي عبد الواحد وافي
- ١١٤ (٤) — للاستاذ امين ابراهيم كحيل
- ١١٧ (٥) — للاستاذ احمد شفيق زاهر بك
- ١٢٠ (٦) — للاستاذ زكي بدوي





# أوقات الفراغ

وكيف نستثمرها

في النواحي الفكرية والفنية والرياضية  
والاجتماعية والحلقية

« إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت »

الدكتور محمد حسين هيكل باشا

الدكتور منصور فهمي بك

الدكتور علي عبد الواحد وافي

الاستاذ أمين ابراهيم كحيل

الاستاذ احمد شفيق زاهر بك

الاستاذ زكي بدوي

لحق بمقتطف يناير ١٩٤٠







## تقرية:

لمضرة صاحب السعادة الدكتور محمد حسين هبكل باشا

الوزير السابق لوزارة المعارف العمومية

ورئيس رابطة الاصلاح الاجتماعي

هذه مجموعة من المحاضرات ألقاها بعض حضرات اعضاء ( رابطة الاصلاح الاجتماعي ) في اجتماع المؤتمر الذي اقامته الرابطة بتاريخ ١١/٦ / ١٩٣٩ للتحدث عن اوقات الفراغ . والمحاضرون جميعاً رجال عرفوا الأمة المصرية ، بل عرفت الأمة العربية كلها مكاتبتهم ، وتضلعتهم بما عرضوا له في هذه المحاضرات من شئون . وحسبي هذه الكلمة لأدل القراء على ما لقيت هذه المحاضرات من نجاح ، وما يجذونه في تلاوتها من متعة وفائدة

والموضوع الذي تعرض له مؤتمر الرابطة : « أوقات الفراغ والاستفادة منها » ، من أجل الموضوعات وأدعائها الى التفكير . إتنا جميعاً نزاول في كل يوم أعمالاً في الحياة يطالبنا الحرص على الحياة بمزاوتها : هذه الاعمال هي التي نكسب منها رزقنا ورزق من نعول ، وهي التي تستنفد من نشاطنا أعظم جانب . فإذا أتممتها بقي لنا من وقتنا فراغ لا بد لنا من أن نملأه . وهذا الفراغ يطول أو يقصر ، بمقدار ما يطول العمل للحياة أو يقصر ، على نسبة عكسية بطبيعة الحال ، في أي شيء . رأنا نقضي وقت الفراغ هذا ؟ يختلف الناس في الأمر رأياً ، والاختلاف هو الذي جعل حضرات المحاضرين بالرابطة يعرض كل واحد منهم على الناس رأيه

لكن اختلافهم هذا لا يرجع الى أن احداً منهم يدعو الى ترك أوقات الفراغ فارغة . وانما يريد كل واحد منهم أن يوجه الشباب وغير الشباب الى ناحية بذاتها يشغل بها وقت فراغه . يريد بعضهم أن يكون وقت الفراغ للرياضة البدنية ، ويريد البعض أن يكون للتعاطي بالفنون الجميلة ،



ويريد آخرون أن يكون بثقيف الذهن بالمطالعة أو بغير المطالعة . وذلك كله حسن ، وكله حق ، على رغم ما يبدو من اختلافه

فأوقات الفراغ إنما جعلت بطبعها لرياضة النفس . والناس يختلفون في ميولهم نحو هذه الرياضة ، ويرجع اختلافهم الى طبيعة العمل الذي يزاولونه في الحياة حيناً ، والى اختلاف أمزجتهم حيناً آخر ، والى اعتبارات ذاتية قائمة بنفوسهم حيناً ثالثاً . لهذا يسعد الذين يشغلون أنفسهم في الحياة بالعمل الذهني ، إذ يتسلون بالرياضة البدنية في أوقات فراغهم . وقد يكون من هؤلاء مع ذلك من يؤثر التسلية في وقت فراغه بالفن الجميل او بمطالعة كتب الادب وما إليها . فأما الذين تقتضيهم حياتهم العمل الجسماني لكسب رزقهم فيودون أن يفيدوا من وقت فراغهم لتثقيف أذهانهم ، وزيادة معلوماتهم ، وقد يؤثر بعضهم ان يتصل بالحياة بأساليب مختلفة . وأنت ترى من هذا ان وقت الفراغ هو الفرصة التي يرجع الانسان في خلالها الى نفسه ، والتي يشعر فيها شعوراً حقيقياً بما في الحياة من نعمة او متاع . وهو لذلك يسارع الى هذا المتاع بنعم به كلما وجد إليه السبيل

ما دامت الاعتبارات الذاتية هي التي تصوّر لنا خير ما نتجه إليه في أوقات فراغنا ، ففيم المحاضرات اذاً والبحث؟ ان هذا السؤال لا يرد على النفس وكلنا نعلم ان أوقات الفراغ يحسن ان تقضى في الجماعات لا في العزلة . وكل عمل يتصل بالجماعات يجب ان يكون موضوع بحث ومحاضرة . هذا الى أن من الميول الذاتية ما يتجه الى الضار الوخيم العاقبة ، فلا بد من نصيحة الناصح ، ومن رأي المحاضر لا لقاء هذه العواقب . وهذا هو السبب في ان « رابطة الاصلاح الاجتماعي » قد حرصت على ان تجعل من وقت الفراغ موضوعاً لاجتماعاتها ومحاضراتها حتى ترد الضرر عن قد تنزع بهم ميولهم اليه ، وحتى يقول كل محاضر من المحاضرين الممتازين لأبناء وطنه وأبناء لغته ما يرى فيه الخير لهم ولأمتهم

واني لو اتق بان يقدر قراء هذه المجموعة من المحاضرات ما تحتوي عليه من آراء قيمة ، كما انني ارجو ان يتاح لرابطة الاصلاح الاجتماعي ان تعود في مؤتمراتها التي تعقدها بين حين وحين الى ( اوقات الفراغ ) لجعلها موضوعاً لاجتماعات ومحاضرات جديدة . فهو موضوع تتجدد الآراء فيه كلما ازداد الافراد تقديراً لما لأنفسهم عليهم من حق ، ولما للرياضة النفسية من اثر صالح في المتاع بالحياة



# أوقات الفراغ

وكيف نستثمرها

للمستأثر الدكتور منصور فهمي بك

المدير العام لدار الكتب المصرية

## قيمة البحث

للحديث عن أوقات الفراغ قيمته عند من يقدر أن الوقت من ذهب ، وإن التحدث في استقلال الوقت هو من أحب الأحاديث عند من يقدر أن نقاسة الزمن . ولعل قائلًا يقول أن الرشيد من الناس هو أعلم بما يرضاه لنفسه في أوقات فراغه فليس في حاجة إلى من يذكره بأمر هو أولى بالعلم به من سواء . وفي قول هذا القائل بعض الصدق إذا جاز أن جميع الناس هم على علم بأحوالهم ودوافعهم حين يقدمون على أمر وحين يتأخرون وحين يستخدمون أوقات فراغهم على نحو أو على نحو آخر وحين يكون قضاء ما تنوق إليه نفوسهم سهلاً ميسوراً . لكن لو دققنا النظر لوجدنا أن بعضاً من الناس لا يعلمون كيف تقضي أوقاتهم على خير وجه وأن بعضاً آخر قد يعلمون ولا يجدون الوسيلة ، وذلك لأن الفرد منا يعيش مع جماعات قد تيسر له الوسائل لما يريد . وقد تيسرها عليه . هب أن فرداً من الناس يود أن يقضي بعض يومه في متحف أو في بستان لكنه لا يجدها في ظل الجماعة التي يعيش فيها ولا في القرية التي هو أحد أفرادها ، أفلا يقال حينئذٍ أن الفرد يريد شيئاً لا يقدر على الحصول عليه بنفسه وأن الجماعة التي قد تقدر لا تهيء له ما يريد ؟ . وهب عكس ذلك أن مدينة انشأت متحفاً ليغشاه من يريد من الأفراد وأن فرداً من الناس يجمل فائدة التردد عليه ، أفلا يقال أن الجماعة هيأت خيراً للفرد وقد منعه جهله من الحصول عليه ؟ . ولعل أشد ما يوجه النظر إلى التفكير في أوقات الفراغ أن المدنية الحاضرة تمد للناس فيه وتفسح ميادينه أمامهم بحكم توالي الاختراعات الآلية التي تخفف جهد الإنسان وتقلل الحاجة إلى الأيدي العاملة وكذلك بحكم الشرائع والقوانين التي تسن لحماية الأفراد من غت الكد والارهاق . ولقد توقع بعض الاجتماعيين أن ساعات العمل في اليوم قد تصير بعد نصف قرن حول الخمس وأن عمل الإنسان في العام كله لا يزيد على ثلثائة من الأيام ، وسواء أصح هذا التكهن في تفاصيله أم لم يصح فإن الواقع يؤيد بحمل معناه فأوقات الفراغ تزداد اتساعاً ويتخلف عن اتساعها ضرورة البحث في وسائل شغلها



ومسائل وقت الفراغ وشغله تهم من يربأون بالايام التي قدرت لهم في الدنيا عن ان تكون ثقيلة على نفوسهم فمن المسلم به ان الوقت الذي يمر على المرء دون ان يشغل بما يرضاه النفس قد يصبح ثقيلاً مؤلماً يسم ويمل بخلاف ما اذا تقضى في مشاغل ترضاها النفوس فانه يصبح مؤنساً ومسعداً . كذلك تهم مسألة الفراغ الجماعات التي يعينها ما يبسط للناس في سعادتهم وما يمد في انتاجهم واستغلالهم للزمن . وما دام وقت الفراغ له قيمته عند الجماعات باتصاله بالانتاج . وله قيمته عند الافراد . فلا عجب إذن أن تشتترك الجماعات والافراد في تقدير شأنه ، ولا عجب ان تتعقد المؤتمرات وتساهم الحكومات في تمحيص هذا الموضوع

ولو كانت الطبيعة هيأت للناس جميعاً ان يقضوا يومهم فيما يشغله ويملؤه ، حتى اذا أنهكهم مجهود العمل عمدوا الى قسطهم الطبيعي من هنيء النوم وراحة النعاس لما كان لمتحدث ان يتحدث في وقت الفراغ . ولو ان نظم الحياة الاجتماعية هيأت للناس جميعاً ان يعرفوا ما يتفق وقواهم وكفاياتهم ورغباتهم واستعدادهم ورفقتهم الانسانية وان يشغلوا بذلك في كل ما يتاح لهم من الزمن ، لما كان ثمة حاجة لذكر مسألة الفراغ . لكن الطبيعة تفسح للفراغ مجالاً ، والحياة الاجتماعية تغري باستغلال هذا المجال لمصلحة الجماعة ولمصلحة الفرد . على انه اذا وجدت الاسباب التي يتهبأ معها ان يستغل زمن الفراغ استغلالاً حسناً ، فان الانسانية تحب من وراء ذلك ثمرتين من أطيب الثمار ! فأما أولى الثمرتين فظفر الانسان بما يخفف وطأة القلق عن النفوس حين يعتريه الملل من أثر الحلو من المشاغل المحمودة ، وتلك نتيجة جديرة بالسعي الى بلوغها لأنها تعين الانسان على ما ينشده من الطمأنينة النفسية . وأما الثمرة الثانية فهي تحويل أوقات الفراغ الى فرص تستغل لرفع الانسان الى مستوى أرقى مما هو عليه ، وذلك بتعزيز العواطف النobile وتقوية الفضائل في نفسه وتوجيهه الى المثل العليا التي تنشدها الانسانية . وانه بمثل ذلك الاستغلال تضعف عوامل الخصومة بين الناس ويقوى حسن التفاهم ويقرب عهد السلام

### صور مختلفة لأوقات الفراغ

ويحسن ان نستعرض صوراً مختلفة لأوقات الفراغ لنواجه كل صورة بما يوافقها من طرق الاستغلال وأدواتها . في هذه الدنيا وفي مختلف أجناسها وأعمارها زراع وصناع يغلب في أعمالهم جهد الجسوم وفيها عقالون وفنيون يغلب فيما يحترفونه جهد العقول ، وفيها من استنفدوا الكثير من قوى الابدان والعقول ، ومن استقالوا من تكاليف الحياة وعنائها كالرضى والشيخوخة . وفي الحياة أنواع من الناس لا تتحدد عندهم قيمة الوقت ولا يتحدد عندهم تقديره ولا ضيقه ولا سعته كالاطفال الذين يبسم لهم ثغر الزمن . وفي الحياة من مالوا عن جادة المألوف فلا



يشعرون بوطأة الايام والزمن على نحو ما يشعر الانسان الرشيد ، ويصبح الفراغ لهم أداة من أدوات العبث ، كالمتهربين والأشقياء . ومن أجل النوع إذن في أعمال الناس ومنهم وطبقاتهم وثقافتهم وأحوالهم النفسية ، تعدد صور الفراغ ولذلك يجب على الباحثين ان يجدوا لكل صورة منها ولكل طائفة من طوائف الناس ما يناسب من طرائق استغلال أوقات الفراغ . لكن برغم هذا الاختلاف والتنوع فين الناس جامع مشترك يوحد بينهم في بعض الوسائل التي تتخذ لشغل اوقات الفراغ ذلك ان جميع الناس مهما تعددت اجناسهم أو طبقاتهم أو اختلفت اعمارهم أو تنوعت مهنتهم . فانهم يشتركون في السكون لحسن الصوت وجمال النغم ، وينتجذبون لمظاهر الفن الجميل وأساليب الجمال ، وإنهم يخضعون كذلك بدافع من جسدومهم وغرائزهم لظلق الهواء ومنتشر الضياء . لذلك ينبغي ان يكون الحظ الأكبر في شغل وقت الفراغ للموسيقى والفن الجميل ورياضة البدن

### أهم النواهي بوقت الفراغ

وفيما نحن بصدده ليست تطلب العناية بالموسيقى والفن الجميل الى الافراد فحسب انما اكثر الرجا في تعميق تفهمهما ونشرهما يكون من جانب الحكومات والجمعيات ، لأن الحكومات الساهرة على مصالح الشعوب ترى لزاما عليها مدد الأسباب التي تمكن الناس من التماسي وتجنب الوسواس السيئة وليس أشد أثرا من الموسيقى بلوغ ذلك فيصح ان يقام في كل مدينة وفي كل قرية منتدى يراض فيه العمال في أثناء فراغهم من العمل على الانشاد والاغاني والمعازف والى مثل معاهد الموسيقى ومتدياتهم يهرع الناس عن طيب خاطر لأنها تتفق مع هواهم وميولهم ولا يسأمون الوقت الذي ينفق في سبيلها . ربما تكون بعض أنواع الموسيقى أرقى من ثقافات أصناف من الناس وأعلى من مستوى أفهامهم وأبعد من مألوف أذواقهم ، ولا شك أن هذا الصنف من الموسيقى لا يكون عوناً صالحاً للناس في استغلال فراغهم الا اذا فهم ومرنت الاذواق عليه والانصب ألا يستعان به على وقت الفراغ الا عند فهمه وتذوقه . وانه لأولى بمعاهد هذا الفن الجميل ان ترعى من الاغاني والانشيد ما هو ادنى الى الذوق العام وأقرب الى نفسيات الجماهير ولعل ذلك يكون برعاية الانعام والانشيد الدينية والشعبية ، ذلك لان صميم الوجدان مهما تشككف عليه غشاوة العيش والحياة فانه يمت الى الخالق بسبب ، ومهما تراكم على القلوب اصداء الانانية والفردية فانها تمت الى الجماعة والشعوب بسبب

وعلى نحو ما ذكرت من فضل الموسيقى في استخدام وقت الفراغ أذكر ما للتصاوير والمتاحف من اثر صالح حسن . وأرجو ان ينتشر في انحاء البلاد وأقاليمها ، بل ارجو ان ينبت في البيوت وحيها



على أنه ينبغي ان تكون محتويات المتاحف الاقليمية ذات معنى لا يتعذر ادراكه ولا يتعسر تذوق دقائقه لمن ليسوا من خاصة الناس وليس المقصود من صورة تعلق او تمثال يقام او تحفة تقرر في مكان ، ان يقع البصر عليها دون ان يحرك في نفس الراي معنى من المعاني السامية أو عبرة من العبر البالغة أما المقصود من غشيان المتاحف الشعبية أن تلهم محتوياتها النفوس بما ترتقي به وأن تغذي مناظرها القلوب بما يعمرها بالفضائل وأن تنال منها العقول غذاء من المعاني السامية

\*\*\*

وهناك جهة اخرى يحسن ان يشترك اكثر الناس ايضاً في استخدامها لاوقات فراغهم ، تلك هي ناحية الرياضة البدنية ، وهي لا تقل خطراً عن ناحية الموسيقى والفن الجميل فكأن ان الناس يجمعهم الانجذاب الى الفن وجماله ، فهم كذلك يشتركون في حاجتهم الى الهواء المنعش والى اشعة الشمس المنشطة والى مرانة عضلاتهم وأعضائهم وقد تطلب مثل هذه الرياضة البدنية والعناية بها الى الافراد قبل ان تطلب الى الحكومات لان فضاء الله ممدود للرياضة وان هواء الطبيعة مبدول ونورها غير ممنوع ، ولان اكثر عناصرها الاخرى التي تصلح للرياضة ترحب بمن يصطفي استخدامها ممن يقدررون الرياضة ولكن مع ذلك فان الحكومات تطالب بكثير من العمل لتيسير أمر الرياضة على الناس وتحييها اليهم فعليها ان تنشئ المنشآت لذلك كالحدايق الجميلة الواسعة والطرق الممدودة والمراكر والمحطات التي يسكن الناس اليها ويرتاحون الى وجودها اذا ما ارتاضوا وغنوا بجسومهم وعافيتهم مما يتعذر على الافراد ان يقوموا وحدهم بأعبائه

هذه هي بعض النواحي العامة الجامعة التي تصلح لكثرة من الناس في استخدام فراغهم وليس من حرج أن اربط دور الصور المتحركة بناحية الفن الجميل . وقد نقرر لأول نظرة في دور السينما أن هذا النوع من أنواع الملاهي الذي يبلغ من العمر نحو الأربعين عاماً هو من اشدها جذباً للجماهير ومن أكثرها قبولا عند تلاميذ المدارس والعمال وأحداث السن ، ومن أقواها أثراً في نفوس الناشئين . ولما كانت دور السينما مؤكدة العمران بزمر من روادها رجالاً ونساء ، فقد رأت الحكومات الرشيدة استخدام هذه الدور لتعليم الجمهور وتثقيفه . كما أنها فطنت كذلك لخطرها إذا ساء استعمالها ، فعمدت لمسكافة الشرائط التي تؤذي الذوق وتضر الناس في آدابهم وأفهامهم ، ولمثل ذلك تأسس في النمسا وفي ظل الحكومة معهد خاص في سنة ١٩٣٤ ليعمل بشق الوسائل المشروعة ليرد دور السينما الى مدارس مهيبة ومتديبات مروضة . ومن وسائله لذلك ارشاد الناس الى الشرائط المفيدة والدعوة لها عن سبيل النشرات أو المحاضرات ، وعن سبيل الترغيب فيما يرتفع به مستواهم ويرقي أذواقهم . ومن أعمال هذا المعهد ايضاً أنه يرشد المشتغلين بفن الشرائط واصحاب الدور ويعين هؤلاء هؤلاء ليحصلوا على الشرائط المفيدة



## نواحي خاصة لاستثمار الفراغ

ألمعت سريعاً فيما قدمت الى أبرز الوسائل وأعم الأدوات الصالحة لشغل فراغ عدد من الناس واسع كبير . لكن في الناس طوائف معينة محدودة ، يناسبها لأوقات فراغها وسائل أخرى عدا التي أسلفنا ذكرها . فبعض الناس من طبقات الخواص أو من أهل الحرفة الواحدة قد يروقه أن يهينوا لأوقات فراغهم منتديات تجمع فيما بينهم ، وربما يكون السبب في ذلك تشابهاً بين روادها في الطبقة الاجتماعية أو في تقارب الثقافة أو في نظرات السياسة والاجتماع أو في روابط الأعمال أو غير ذلك مما يقرب بين بعض الناس . واقامة هذه المنتديات أمر مألوف لا يخلو منه بلد متمدين وهي لاشك تصلح لاستثمار وقت الفراغ الذي يكون لرواد هذه المنتديات والذي يختلف طولاً وقصراً باختلاف طوائف الرواد

ومهما يكن من صلاحيتها فإن خيرها لا يتأكد وإن شرها لا يؤمن إلا إذا أحاطتها رعاية خاصة ورقابة موفقة لكي لا تتسرب اليها عناصر الفساد كالميسر والخمر ، لأن الفراغ مزرعة للعفاسد لا تبقى إلا إذا حسن استخدامه لترقية النفوس وتقوية نزعاتها النبيلة

وهناك طوائف أخرى محدودة العدد معينة الشخصية لهم أوقات خاصة من الفراغ، ويشغلونها بما يناسبهم ويناسبها ، كالسائنة والعقلين ، فانهم عند ما يظفرون بغير الوحي من أوقات فراغهم يستخدمونه في التزاور والترابط الفكري والمؤتمرات العالمية الدولية والحج الى المكاتب البعيدة والمعامل المعروفة والمتاحف العامرة والسياحات والرحلات المفيدة والقيام بواجب البعثات وغير ذلك مما يناسب عمل العلماء من خدمة التعاون الفكري وبث الروح العلمية العامة

ومن الطوائف المعينة التي يناسبها استخدام خاص لوقت الفراغ طوائف طلاب الجامعات والدراسة العالية حين يظفر المجتهدون منهم بعدة أشهر في العام تشغل فيها مدارسهم ، فبعد أن ينال هؤلاء لانفسهم قسطاً من الراحة ، مستحقاً ومطلوباً ، قد يتجه البعض منهم الى شغل وقت الفراغ بقراءة كتب ميسرة تغاير صنف الكتب التي ألفوا قراءتها واستذكارها في أثناء الدراسة وهؤلاء لاشك موفقون حين يقدمون على ذلك لانماء معلوماتهم وتوسيع دوائرها . وقد يتوجه بعض آخر منهم ليطوفوا بالقرى لالقاء المحاضرات والموعظة الحسنة وهؤلاء يستفيدون من أوقات عطلتهم لرياضة أبدانهم وتمرين فكرهم لاستخلاص أصفى الخلاصات التي كسبوها من العلم وإعدادها أعداداً حسناً مقبولاً لفائدة مواطنيهم ممن لم يقدر الله لهم التقدم في سبيل العلم والمعرفة . هؤلاء هم من عباد الله الصالحين الذين يستفيدون ويفيدون وتقوى بفضل مجهودهم حركات الإصلاح الاجتماعي في الامم

تلك هي بعض النواحي الخاصة لقطع وقت الفراغ قطعاً مثمراً ، على أن هناك ناحية خاصة



أخرى هي من أهم الوسائل وأقواها . تلك هي ناحية المكاتب العامة . ولقد قدر الانكليز رسالتها وعززتها قوانينهم منذ سنة ١٨٥٠ ، لكنه يرجع للبلجيكيين فضل كبير في إعلاء شأن الرسالة الاجتماعية التي تقوم بها المكاتب العامة وتقدير المكانة السامية التي ينبغي ان تكون لها حيث ضمّنوا تشريعهم في سنة ١٩١٨ ما يشعر بعلو شأن المكاتب وقدرها الرفيع . ولايمان البلجيكيين بعلو رسالة المكاتب العامة فرضت أتاوة . تقدر على الأقل ربع الفرنك على كل فرد من سكان الدساكر والقرى وبنفق المتحصل منها في شؤون هذه المكاتب ، ولو أننا تأثرنا بخطوات البلجيكيين في ذلك لزادت ميزانية مكاتب الاقاليم اضعاف ما هي عليه الآن وبما يدل على مكانة المكاتب العامة الاقليمية في هذا البلد أن احداها لا تغلق الا بعد مداولة قوية في مجلس القرية واستصدار قرار بذلك من الملك نفسه ! والى جانب هذه المكاتب الاقليمية العامة يوجد نوع من المكاتب المتنقلة المتحركة تنشأ لتزويد مختلف المصالح بمختلف الكتب ولامداد المدرسين في الاقليم بما هم في حاجة اليه منها . ولكي أظهر صورة واضحة لحيوية المكاتب المتنقلة وحدها حسبي أن اضرب المثل بمدينة « ليج » اذ اودع في دارتها سنة ١٩٣٤ نحو العشرين ألف كتاب ، فأعيرت لنحو مائة الف وأربعة آلاف من المستعيرين . أليس في ذلك المثل شاهد ناطق على سرعة سريان الكتاب وطلاقة مجراه في تلك البلاد ، وعلى ان شطراً من وقت فراغ الناس هناك لا ينقضي سدى بل تتخذ له اداة الكتاب لترفيه الذهن وترفع النفس

#### ضريبة الكتاب

ولو أننا فرضنا في مصر كما فرض غيرنا ضريبة قرش واحد في العام على كل مصري وجعلناها ضريبة الكتاب ، لتجمع لنا في كل عام من هذه الضريبة اليسيرة وحدها نحو ال ١٥٠٠٠٠ من الجنيهات ولو أننا وزعناها على مراكز القطر لنال كل مركز أكثر من ١٠٠٠ جنيه في كل عام وما أشد هذا المبلغ نفعا لو انشئت به مكاتب واستخدمت من أجلها جهود شباب عاطل مثقف يعود الناس القراءة ويرسل فيهم معلومات صالحة ويسوق الى أذهانهم كنوز المعارف العامة ويبيث الى ديارهم رسلاً من الكتب تؤنس وتقيد . قد يقول معترض وهل تزعم ان الناس عندنا يحرصون على القراءة وأكثرهم لما يخرج عن حظيرة الأمية . وأجيب مثل هذا المعترض بأن أشد الناس شوقاً الى القراءة هم الأميون وأشباه الأميين من الذين يكدحون بأجسامهم ، والسبب في ذلك أن الطبيعة ترى أمر التوازن بين حاجات العقل وحاجات الجسم فتدفع الجاهدين بأجسامهم الى الميل للعمل العقلي والجهد المعنوي إذا ما انفسح لهم المجال في ذلك وحسنت لديهم الوسيلة ، ولطالما رأيت جموعاً من الفلاحين والعمال يلفنون حول من يقرأ قصة أو صحيفة ملائمة مبسطة اندفاعاً وراء حاجة النفس الى نسائم الجو المعنوي



ومن فضل الله على الناس أن الأمية آخذة في الانكماش والتلاشي بسبب تعميم التعليم الأولي، ولم يكن يوماً تخليص الشعوب من الأمية مقصوداً لذاته، إنما قصد لكي يتذرع أفراد الشعب بالأداة التي تهيء لهم قراءة الكتاب القيم ليحدثهم بما ينطوي في صفحاته من المعلومات التي تتناول إليها العقول. فلا قيمة إذن لدفع الأمية من ديارنا ما لم نعوّد الناس القراءة واستقبال الكتاب الميسر المفيد. ومن أجل ذلك ندعو لإنشاء المكاتب في الأقاليم وتعميمها واحسان عدتها. ولو أنشئت المكاتب الجديرة لأتحت الفرص للقراءات النافعة التي تعطش لها النفوس ولحوربت القراءات السخيفة التي تضل العقول. وإن الشعوب لترتفع عن سبيل المكاتب ارتقاء لا تيسره المدارس لأن أهم ما يؤديه الكتاب القيم لقرائه إنما هو حلو النتائج وناضج الثمرات وإننا إذا راعينا حالة بلادنا الزراعية الخصبة وتقدم الفن الزراعي وقدرنا على نحو ما كان يقدر ابن العاص أن الزراع يرمون الحب، وينتظرون الحصاد من الرب، فإن أوقات فراغ الفلاحين ستكون متسعة ممددة، ومن الخير أن نمهد منذ الآن لوقت فراغهم وسيلة الكتاب المفيد الجذاب الذي تهوى إليه أفئدتهم وتعمر منه رعووسهم. وإني أدعو كذلك منذ الآن إلى تخير عدد من أذكاء الشباب وأقربهم نسباً للحياة العقلية الراقية وأشدّهم تقديراً لها، وأقواهم ميولاً للخدمات العامة، ليؤهلوا تأهيلاً علمياً فنياً لإدارة المكاتب الإقليمية والدعائية للكتاب بالتحدث عنه والتعريف به، وليجعلوا من المكاتب نواة صالحة لجامعات شعبية ومنتديات فكرية طليقة لتهديب النفوس وشحن العقول.

وإذا كان من حق الجماعات أن تخرج من أصلها صفوة كريمة من خيار أبنائها لكي يكونوا لهذه الجماعات عدة في حاضرها ومستقبلها، فإن هذه الصفوة تبدو في الشباب العاكف على الحياة الفكرية ممن يلودون بالمكاتب ويألفون القراءة والفكر. ومن حقهم على كل حكومة رشيدة أن نمهد لهم وسائل حياتهم العادية والفكرية، لأنهم أمارات ظاهرة دالة على استعداد الامم لتقدير الحياة الفكرية والعظمة العقلية.

### ملاحظة

ما من شيء أشق الامم وأضناها ومال بها إلى الانحطاط أكثر من وقت الفراغ إذا هو ترك لاستتبات الشر والسوء والشهوات الوضيعة

وما من صورة أبشع من صورة الوقت ينقضي على المرء دون أن ينفذ فيه إرادة الله في جعل الوقت أداة للتكامل البشري وترفيه النفس إلى عوالم الخير والتسامي

وما من واجب أشد أخذاً بمحقق الحاكين من محاربة البطالة والعطلة ومغرياتهم السيئة بشق الطرق، وأخذ الناس أخذ المقتدر ليستغلوا أوقات فراغهم بالحسن وفي سبيل الحسن



# ميادين الخدمة الاجتماعية

للككتور على عبد الواهر وافي

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

لا يتسع مجال الخدمة الاجتماعية في بلد ما مقدار اتساعه في مصر . فلدينا من المشكلات القومية ، وأمراض المجتمع ، ووجوه النقص في مختلف فروع الحياة ، ما لم يكد يتوافر مثله في بلد متمدين من بلاد العالم . والحكومة بما لديها من موارد محدودة في المال والرجال ، ومع الواجبات الباهظة التكاليف التي ألقته حديثاً على مانتها مقومات الاستقلال ونصوص المعاهدة وشؤون الدفاع عن البلاد ، والتي زاد من ثقلها نشوب هذه الحرب وما جرته في ذيلها من مشكلات وما ألقته على كاهل الدولة من تبعات في مختلف الشئون ، أقول إن الحكومة بما لديها من موارد محدودة في المال والرجال ، ومع هذه الواجبات الباهظة التكاليف ، لا تستطيع أن تقوم بعشر معشار ما ينبغي القيام به بصدد الإصلاح الاجتماعي . فباقي في هذا السبيل يقع على كاهل القادرين من الشعب : يقع على كاهل الشبيبة المتعلمة ، ويقع على كاهل الجمعيات والهيئات ، ويقع على كاهل الأغنياء من الأفراد : أي يدخل في نطاق ما جرت العادة بتسميته «شئون الخدمة الاجتماعية»

لدينا في مصر خمس مشكلات رئيسية تحول دون تقدمنا ، وتوقنا عن اللحاق بالأمم المتقدمة إذا نجحنا في حلها والتغلب على آثارها استقامت لنا الامور ، وسرنا بخطى حثيثة نحو الحضارة والكمال . وهذه المشكلات مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، ومتأثر بعضها ببعض ، ومتربط بعضها على بعض : إحداها مشكلة الجهل وثانيها مشكلة الفقر وثالثها مشكلة المرض ورابعها مشكلة الترف وخامستها مشكلة الانحلال الديني والخلقي . ومن هذه المشاكل وما نجم عنها من أدواء يتألف منهج واسع للإصلاح الاجتماعي . وفي سبيل حلها ينبغي أن يتجه نشاط الخدمة الاجتماعية ، ويحشد جميع قوى الشعب ولا سيما قوى الشبيبة المتعلمة والجمعيات والهيئات والأغنياء من الناس

## مشكلة الجهل

أما مشكلة الجهل فتتمثل في مظهرين : الأمية من جهة ، وضمف التفكير ونقص الثقافة من جهة أخرى . فالأمية لا تزال ضاربة أطنابها على تسعة أعشار النساء وثلاثة أرباع الذكور من الشعب .



والجهل بالقراءة والكتابة يعوق الفرد عن الإحاطة بشئون الحياة ومعرفة واجباته نحو نفسه ونحو أسرته ونحو المجتمع ، ويقصر به عن إدراك حقوقه السياسية وعن الإلمام بشرائع بلاده وما تسنه الحكومة من قوانين ويمهد السبيل لاضطراب الحياة وفساد الأمن والوقوع في الجريمة والحكومة ، مع ما بذلته من جهد ، لم تستطع في حدود مالىتها وما يحيط بها من أحوال أن تمحو الأمية إلاّ عن جزء يسير من أفراد الشعب . والخطة التي رسمتها بهذا الصدد لا تحقق نحو الأمية محواً تاماً إلاّ بعد زمن طويل . على أن التعليم الإلزامي لا يطبق إلاّ على الصغار في سن معينة . فيترك فزاه طوائف الزراعة والصناع والعمال والباعة والخدم الذين لم يتح لهم في صغرهم تعلم القراءة والكتابة . ومن هذه الطوائف يتكوّن الآن القسم الأكبر من أفراد الشعب فمن أهم شئون الخدمة الاجتماعية العمل على محو الأمية عن هذه الطوائف وعن الصغار الذين لا تتسع لهم الآن مدارس التعلم الإلزامي . ويقع هذا كما قلنا على عاتق الشبيبة المتعلمة وعلى عاتق الجمعيات والهيئات وعلى عاتق الأغنياء من الناس . وبلوغ هذه الغاية يتحقق عن طريق التعليم الجمعي ، وذلك بإنشاء المدارس الشعبية الليلية في المدن والقرى وترغيب الأميين بمختلف الوسائل في الالتحاق بها . ويتحقق كذلك عن طريق التعليم الفردي ، فيتصل الطالب المتطوع في شئون الخدمة الاجتماعية ببعض الأميين ، ويعطي كلاً منهم على حدة ما يشبه الدرس الخاص ، فإذا ما نجح في محو الأمية عنهم استبدل بهم آخرين .. وهكذا

وغني عن البيان أن قيام الشبان والفتيات من الطلبة والطالبات وغيرهم بهذا الواجب لا يكلفهم أكثر من تضحية بجزء يسير من أوقات فراغهم ، في مقابل ما يكتسبونه من رضا الله ورضا الشعب وإرضاء ضمائرهم وأدائهم لبعض ما يجب عليهم نحو مجتمعهم . هذا إلى أن مزاولتهم للتعليم ، واتصالهم بطبقات الشعب الدنيا ، وعلاجهم لعقليات تختلف عن عقلياتهم ... كل ذلك وما إليه يزيد من إحاطتهم بشئون الحياة ، ويوسع نطاق معلوماتهم عن المجتمع ويعودّهم الرفق والعطف والمثابرة ، ويدربهم على الأمور العملية ، ويعدّهم أعداداً صحيحة للحياة المستقبلية

هذا هو المظهر الأول من مظاهر الجهل . أما المظهر الثاني فيتمثل في ضعف التفكير ونقص الثقافة ، وهذا المظهر منتشر في معظم أفراد الطبقة الدنيا من الشعب ، سواء في ذلك الأميون منهم والملمعون بمبادئ القراءة والكتابة . فطوائف الزراعة والصناع والباعة والخدم ... كل أولئك ينقصهم سمو التفكير ، وتعموزهم أنواع كثيرة من الثقافة : تعموزهم الثقافة الاقتصادية والإلمام بخير الوسائل لتنمية مواردهم وتنظيم استهلاكهم وتدير أمور معاشهم ... وما إلى ذلك . وتعموزهم الثقافة الصحية والإحاطة بطرق الوقاية من الأمراض وعلاجها ، ووسائل الاسعافات الضرورية ، وما ينبغي أن يسيروا عليه في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم . وتعموزهم الثقافة العائلية



والوقوف على خير الطرق لحياة الأسرة ، وتنظيم العلاقات بين أفرادها ، وتوزيع الأعمال عليهم ، ومراعاة حقوق كل منهم وواجباته ، وتربية الاطفال وما الى ذلك . وتعوزهم الثقافة السياسية والاحاطة بالنظم التي تسير عليها الدولة بهذا الصدد ومعرفة العلاقات التي تربطها بما عداها من الدول ، والالمام بحقوقهم وواجباتهم حيال السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية . وتعوزهم الثقافة الدينية الصحيحة والوقوف على ما يوجبه الدين على الفرد حيال ربه وحيال نفسه وحيال أفراد أسرته وحيال مجتمعه وحيال جميع أفراد النوع الانساني . وتعوزهم الثقافة التاريخية والاحاطة بشيء من ماضي بلادهم ومجدها التليد ، حتى يتكوّن لديهم الكبرياء الوطني والاعتزاز بقوميتهم وما الى ذلك من الصفات التي لا تستقيم بدونها حياة الشعوب . وتعوزهم أنواع أخرى كثيرة من الثقافة

وعلاج هذا المظهر من الجهل أهم كثيراً في نظري من علاج الأمية . فالالمام بمبادئ القراءة والكتابة لا يفيد الفرد كثيراً في حياته ما دام ناقص الثقافة ضعيف التفكير . على حين أن تثقيفه من النواحي السابق ذكرها يرفع من شأنه ويزيد من صفات الانسانية لديه ، ويكسبه الحرص على أداء واجباته والاحتفاظ بحقوقه ، ويزوده بالقدرة على التغلب على صعوبات الحياة ، ويهذب طباعه وسلوكه ، ويولد الانسجام بين حياته الفردية وما يتطلبه المجتمع ، ويحقق له السعادة في مختلف فروع حياته . . . . يكسبه جميع هذه المزايا حتى ولو كان جاهلاً بالقراءة والكتابة وغني عن البيان أن الحكومة التي لم تستطع في حدود مآليتها وفي الظروف المحيطة بها ، أن تمحو الأمية إلا عن جزء يسير من أفراد الشعب ، لا تستطيع من باب أولى أن تقوم وحدها بجميع ما يجب القيام به حيال تثقيفه

فمن أهم شئون الخدمة الاجتماعية العمل على نشر الثقافة بمختلف انواعها بين افراد الطبقات الدنيا من الشعب . ويقع هذا كما قلنا على عاتق الشبيبة المتعلمة وعلى عاتق الجمعيات والهيئات وعلى عاتق الاغنياء من الناس . وبلوغ هذه الغاية يتحقق عن طريق السينما التعليمية والارشادات الصحية وتنظيم محادثات ومحاضرات شعبية في المدن والقرى وانشاء المدارس الليلية في الحواضر والارياف . . . . وهلمّ جرّاً

وقيام الشباب والفتيات من الطلبة والطالبات وغيرهم بهذا الواجب لا يكلفهم أكثر من توضيحية جزء من اوقات فراغهم . والتعبير بالتوضيحية تعبير غير دقيق . فالواقع انهم بذلك يستغلون اوقات فراغهم خير استغلال اذ يؤدون أهم ما يجب عليهم نحو مجتمعهم ، ويجنون من وراء ذلك فوائد كبيرة . فزاولتهم لشئون التثقيف واحسناكمهم بالطبقات الدنيا من الشعب ، وعلاجهم لنفسيات تختلف عن نفسياتهم . . . . كل ذلك وما اليه يزيد من بصرهم بشئون الحياة ، ويوسع دائرة



ادراكهم ، ويخلق في نفوسهم عاطفة الرفق والعطف ، ويكسبهم قوة الصبر ، والمثابرة ويحطمهم حريصين على الخير ميالين الى الكمال ، ويعدهم إعداداً صحيحاً لحياتهم المستقبلية ، إذ يصبحون آباء وأمهات ورعاة مسؤولين عن رعاياهم

هذه هي المشكلة الاولى من مشكلاتنا الاجتماعية ، وللعلم على تخفيف ويلاتها عن طريق الخدمة الاجتماعية أنشئت جماعات الرواد ، وقامت في هذا السبيل بجهود جليلة مشكورة ، وقطعت فيه مرحلة طيبة . فإذا كثرت هذه الجماعات وتعددت محلاتها في المدن والقرى ، وانضم إليها أكبر عدد ممكن من الشبيبة المتعامة ، كبر الامل في التغلب على الجهل بمظهره : مظهر الأمية ومظهر نقص الثقافة

### مشكلة الفقر

أما المشكلة الثانية من مشكلاتنا الاجتماعية فهي مشكلة الفقر . والفقر منتشر في كل بلاد العالم والفقراء في كل أمة أكبر عدداً من الاغنياء . غير ان هذه المشكلة قد ظهرت بمصر في صورة فاجعة لم تكن تظهر بمثلها في أي بلد متمدين من بلاد العالم ، في صورة تنذر بمواقب وخيمة وشروع مستطيرة ان لم يتداركها المصلحون بتخفيف ويلاتها . فمعظم العائلات المصرية لا يزيد متوسط دخل العائلة فيها على جنيه واحد في الشهر . وهذا هو أقصى ما يمكن ان تصل اليه الفاقة في بلد متمدين . والفقر اذا وصل الى هذا الحد ، وانتشر بين هذا العدد الكبير من أفراد الشعب ، عاق الأمة عن التقدم ، وساعد على انتشار الجهل والمرض ، ومهد السبيل لاضطراب الحياة وزراع الطبقات وفساد الأمن وكثرة الجرائم والاعتداء على الحقوق والانحلال الديني والخلقي . وعلاج هذه المشكلة يقع معظمه على كاهل الحكومة لان أهم أسبابها يرجع الى فساد في نظم توزيع الثروة او فرض الضرائب على الاغنياء او صرف الاموال في وجوهها الصحيحة او إلى تسلط النزعة الأرستقراطية وإهمال الطبقات الدنيا وجميع هذه الاسباب وما إليها لا يمكن لغير الحكومة العمل على إزالتها

وعلى الرغم من ذلك لا يزال المجال متسعاً في هذا السبيل أمام الخدمة الاجتماعية . فالجمعيات الخيرية والهيئات المختلفة وطبقات الاغنياء من الشعب يمكنها ان تقوم بشيء كثير في سبيل تخفيف ويلات الفقر وتحسين حال الفقراء ، والشبان المتعلمون والفتيات المتعلقات يستطيعون ان يضطلعوا بقسط غير يسير من هذا الواجب وخاصة عن طريق جمع الاحسان المنظم وإقامة الحفلات والاسواق الخيرية . وما يستطيع ان تقوم به الفتيات في هذه الناحية يفوق كثيراً ما يستطيع ان يقوم به الفتيان . فمن أقدر على جمع الاحسان وإثارة عواطف الرفق عند الاغنياء والقادرين



وهنَّ أقدر على تنظيم الحفلات والاسواق الخيرية وعرض ما ينبغي عرضه فيها من أشغال يدوية وما إليها

### مشكلة المرض

وثالثة المشكلات هي مشكلة المرض، وهي نتيجة لازمة للمشكلتين السابقتين: للجهل والفقير، ولأمر ثالث وهو عجز الحكومة أو تقصيرها وتقصير الهيئات والجماعات والقادرين من الناس في القيام بما يجب عمله في هذا السبيل

وتبدو مشكلة المرض في مصر بشكل فاجع مروع، وفي صورة تندر بعواقب وخيمة وشروع مستظيرة. فالبلهارسيا والانكلستوما وغيرها من الامراض المستوطنة تقتك بالفلاحين فتكا ذريعاً. وأمراض الاطفال لا تقي الا على نسبة ضئيلة من المواليد، حتى أصبح الاصل في الطفل القروي ان يموت، والاستثناء ان يفلت من برائن الهلاك، وهو لا يفلت منه الا بأعجوبة ويعيش في الغالب هزيل الجسم، ضاوي القوى، ضعيف الحركة، كسولاً حاملاً، لا يكاد يصلح لأداء واجبه، ولا تكاد تنفع منه البلاد في شئون الدفاع وما إليها

وعلاج هذه المشكلة يقع بعضه على كاهل الحكومة. فمن أهم واجبها تعميم المستشفيات والمصحات الثابتة والمتنقلة، ومن واجبها تذليل سبل العلاج لجميع أفراد الشعب وخاصة الفقراء منهم، ومن واجبها العمل على القضاء على الامراض المستوطنة، ومن واجبها سن القوانين الصحية بصدد الزواج والحمل والولادة وما الى ذلك. وقد قامت حكومتنا بقسط غير يسير من واجبها بهذا الصدد. وهي لا تستطيع في حدود مالىتها وما يحيط بها من ظروف في الوقت الحاضر ان تقوم بكل شيء في هذا السبيل. فما بقي يقع على كاهل القادرين من الشعب: يقع على كاهل الجمعيات والهيئات، والاعنياء من الافراد، والشبيبة المتعامدة، أي يدخل في نطاق ما جرت العادة بتسميته « شئون الخدمة الاجتماعية »

وقد قام بعض الجمعيات وبعض الهيئات وطائفة من الاعنياء بشيء من واجبها بهذا الصدد ولكن لا يزال في هذا الميدان متسع كبير لاضعاف ما بذل فيه من جهود. والشبان المتعاملون والفتيات المتعامات ولا سيما المشتغلون بالطب منهم، يستطيعون ان يضطلعوا بقسط غير يسير من هذا الواجب، وخاصة عن طريق الدعاية الصحية وارشاد العامة الى طرق الوقاية والعلاج ومساعدتهم على الاتصال بالاطباء، والاتحاق بالمستشفيات والمصحات، وعن طريق جمع الاحسان المنظم، واقامة الحفلات والاسواق الخيرية وتنظيم الاسابيع الصحية كأسبوع الطفل وما الى ذلك



## مشكلة الترف

وأما مشكلة الترف فتتمثل فيما يسود طبقات الاغنياء بمصر من الميل الى السرف والتبذير، وانفاق الاموال في غير وجهها الصحيح والانغماس في الملاذ والشهوات المشروع منها وغير المشروع، والمبالغة في تقليد الاوربيين وخاصة في القيقج من عاداتهم، واحتقار الوقت، وعدم تقدير قيمته، وقته في باطل الامور وسفاسفها، وضعف الشعور بالواجب الوطني والاجتماعي وازدراء الطبقات الفقيرة وما الى ذلك

وهذه المشكلة لا تقل خطورة عن المشكلات السابقة ان لم تزد عنها. وعلاجها يتطلب كثيراً من الحزم والحدق والروية. ويقع بعضه على كاهل الحكومة نفسها، وبعضه على كاهل الجمعيات والهيئات، وبعضه على كاهل الشبيبة المتعاملة. ففي استطاعة الشبان المتعلمين والفتيات المتعلمات أن يضطلعوا بقسط غير يسير من هذا الواجب، وخاصة عن طريق ترغيب الاغنياء من اعيان البلاد وغيرهم في الانضمام الى جمعياتهم أو رأسها أو الاشراف عليها، وحملهم بطريق عملي على اعمال البر والعناية بالفقراء والاهتمام بشئون الطبقات الدنيا، وشغل اوقات فراغهم بشئون الخدمة الاجتماعية، وبث الدعاية الطيبة في قوسهم عن طريق ممارسة اعمال الخير والاحسان، مستخدمين في ذلك وسائل الاغراء التي تستخدم اغنياءنا ومترفينا كالاشادة باعمالهم ونشر اسمائهم في الصحف والثناء على جهودهم... وهلم جرا

## الانحلال الخلقي والديني

والمشكلة الأخيرة هي مشكلة الانحلال الخلقي والديني. وهذه المشكلة ناشئة عن المشكلات السابقة. فهي في بعض مظاهرها نتيجة للجهل أو الفقر أو المرض، وفي مظاهرها الأخرى نتيجة للترف. فخير علاج لها هو علاج المشكلات الأربع السابقة. وهذا العلاج — وان كان غير مباشر — أجدى كثيراً في نظري من علاجها بشكل مباشر عن طريق الوعظ والارشاد. فقاما أثر النصح في نحو رذيلة أو غرس فضيلة

ولا يفوتني قبل ان اختتم كلمتي ان أنوه بالجهود المشكورة الصامته التي أخذت وزارة الشؤون الاجتماعية تبذلها في هذا السبيل. فقد ألفت لجنة لبحث وجوه الخدمة الاجتماعية وتوجيه الشبان الى الصالح منها، وستظهر نتائج عملها قريباً ان شاء الله



# أوقات الفراغ

والناحية الرياضية

لـ **استاذ امين ابراهيم كميل**

كبير مفتشي الكيمياء بوزارة المعارف

تمضية وقت الفراغ فيما يفيد وينفع فن كباقي الفنون يكتسب بالمرانة والممارسة ألا أن للعامل الشخصي والميول الذاتية أكبر الأثر في توجيهه الى ناحية معينة وهو كباقي الفنون يجب ان يربى في المرء من الصغر في دور العلم وفي المنزل . وليس ما نراه الآن من جهل اكثر الناس بالارتفاع باوقات الفراغ الا نتيجة حتمية لا هال شأن هذه الناحية من نواحي التربية في المدارس . الا أن الحال قد تبدل نوعاً الآن واصبح لما يسمى عرفاً بالنشاط المدرسي بعض الشأن في معاهد العلم وفي نظر الذين يتولون امر التربية والتعليم في وزارة المعارف . أقول بعض الشأن لان الواجب يقضي ان تكون النظرة اليه جدية كالتي تنظر بهما الى سائر مواد الثقافة لا ان تؤجل الى نهاية اليوم المدرسي عند ما تتجاذب التلميذ جملة عوامل ويغريه الشارع ويشجعه اعتبار نواحي النشاط في المرتبة الثانية من المقام فيغادر اكثرهم المدرسة ولا يستفنون بما يكون قد اعد لهم ويحتل التربية البدنية في مدارسنا مكاناً يقع بين بين فلا هي ثانوية تماماً كنواحي النشاط المدرسي الاخرى ، ولا هي في المرتبة اللائقة بهما من خطر الشأن بين باقي مواد الثقافة المدرسية . اذ ان لها مكاناً مقررأ في جدول الدروس وهذا ما لا يمكن انكاره ولكن هل تصيب من عدد الحصص ومن اهتمام اولي الامر في المدرسة وغير المدرسة ما هي جدرة به ؟ سأحاول الاجابة عن هذا السؤال حالا

لقد فاضت الاحاديث بفائدة الرياضة البدنية الصحية وبانها ضرورية لسلامة الابدان توطئة لسلامة الازدهان وانها تبعث على النشاط والقوة ومثيرة لجمع عوامل الفتوة ولن أتوسع في هذا الذي نسلم به جميعاً ولكنني أبادر فاذكر ان لها مراحي أوسع واغراضاً أنبل من كل هذا

يتحدث المفكرون والمصلحون والمربون عن الامة وعن ضرورة مكافحتها والقضاء عليها مدللين بفوائد التعليم وينصب كلام الجميع على ذلك النوع من الامة التي معناها الجهل بمبادئ القراءة والكتابة والحساب الخ .. ونحن لا نكر هذا ايها السادة فلاأمية الذهنية كانت ولا تزال رمزاً للجهل والتأخر ولكن ما بالكم بأمية اخرى هي أنكي وأشد فتكاً والجهل الذي ينشأ عن تقشيرا أكثر وضوحاً وأعظم أثراً حتى في مجموعة العلماء والمثقفين . هذه الامة التي اشير اليها هي الامة



الجسمانية ولذلك فهي في حاجة الى مكافحة أقسى وأشد من مكافحة الامة الذهنية  
نشأ الاهتمام بأمر الامة الذهنية عن عقيدة قديمة في ان العقل الانساني يسكن الرأس دون  
باقي اعضاء الجسم ولكنه قد آن الاوان لتغيير تلك العقيدة فالعقل البشري موزع على جميع  
اعضاء الجسم الباطنة والظاهرة فيجب اذن ان يبدأ اهتمام المربين بهذه الاعضاء جميعاً لا بالذهن  
دون الايدي والارجل والجذع وغيرها

وبعد . أليست فضيلة ضبط النفس والتحكم فيها هي ام الفضائل جميعاً ، وأليس ضبط النفس  
معناه التحكم في الافكار والشهوات كما انه يقتضي التحكم في الحركات ايضاً ، وكيف يتسنى  
ذلك لشخص لم تدرّب اعضاء جسمه التدريب الحقيقي الفني حتى تكون منطقية مهذبة كالفاظ  
الفم التي يوحى بها الذهن المرتب المصقول

ايها السادة — الا ان العالم الجديد بروحه الجديد يتطلب ان تمشي تربية الذهن وتهذيبه  
جنباً الى جنب مع ترقية الروح وصقل حركات الجسم اي ان مكافحة الامة الذهنية والتغلب  
عليها يجب ان تسير تماماً بالتغلب على الامة الجسمانية . والشخص الكامل الثقافة تام التربية هو  
الذي تربي جسمه وروحه وذهنه معاً

ايها السادة — ارجو ان اكون قد وفقت الى الاجابة عن السؤال الذي سألته في بدء حديثي  
ولا يحتاج الامر الى اثبات ان نصيب التربية البدنية في مدارسنا ضئيل هزيل وانا نحاول  
التغلب على الامة الذهنية بمجهود الجيابة ونهمل أمر الامة الجسمانية التي تقف بنا اطفالاً  
وشباباً وشيوخاً رجالاً ونساء

ايها السادة — اذا اريد بهذه الامة خيراً فالواجب الاول على المهتمين على أمر التربية  
والتعليم فيها ان يكون مقدار اهتمامهم بذهن الطفل لا يزيد على مقدار اهتمامهم بجسمه وان تصقل  
حركاته كما تهذب كلماته وان يبدأ هذا فوراً مع مراحل التعليم الأولى، ألا وهي المكاتب الالزامية،  
وان يزداد نصيب التربية البدنية في مراحل التعليم الاخرى بما يتفق وقيمتها وان يقضي  
على تلك الروح العتيقة التي تعتبر التربية البدنية والرياضة ضرورياً من اللهو وتضييع الوقت وانها  
أما تشجع الصغير على العبث والكبير على الفساد

زيد ان ينشأ في مصر حيل سليم تام الثقافة ولا يتأتى هذا الا ان تتناولهم اليد المصلحة  
الرشيده من سن الانزام الى سن الرجولة فنصبح ولدنا آباء وأمهات ربوا في مهد العصر الحديث  
فيكونون اكبر عون بعد ذلك لمن يتولون أمر تربية ابنائهم

ثم زيد ان تفكر جدياً ايضاً في أمر من سنوكل اليهم تثقيف اجسام البنين والبنات وان  
يدرب هؤلاء تدريجاً فنياً صحيحاً اساسه الحب الخالص لعملهم والعقيدة السليمة في ما اختاروه



من المهن وان يشعروا بكافة الطرق والوسائل ان عملهم لا يقل في قيمته وفائدته عن عمل أي معلم آخر. كما نريد ان تتوسع السلطات في تخريج العدد الوافر من هؤلاء في أقصر وقت حتى نطمئن الى ان القوس قد اعطيت بارها

هذا من ناحية التعليم والاعداد. اما الشباب الذي تربي ذهنه وأهمل جسمه والذي رغم ما ناله من شهادات وما اتقنه من ثقافات فلا يزال امي الحركات جاهلاً بجسمه وبعضاته وكذلك من ناحية شباب الشعب الذي ترك فريسة الامية بنوعيتها ذهن خامل وجسم متكاسل. نريد ان يقدم هؤلاء وهؤلاء على الاندية الرياضية والملاعب التي يجب ان تتعدد ويتوفر وجودها في كل حي. ولا أقصد بها تلك الاندية المترفة التي تطلب اشتراكاً ضخماً لا يستطيع أداءه الا الذين أوتوا بسطة في الرزق او تفوقوا في ناحية رياضية ممن تسعى اليهم الاندية وتنصب شباكها حولهم مستخدمة كافة أنواع الاغراء لحاجتها اليهم لدرجة جعلتهم أشباه محترفين لا أعضاء عاملين

وانما أريد ان تزداد ميزانية نشر الالعاب الرياضية لدرجة تجعل من المستطاع إيجاد منتديات وميادين يؤمها الشباب للرياضة فقط وان يكون ارتيادها سهلاً ميسوراً على الشباب في كل حي او قرية ويترك أمر الاشراف عليها للرياضيين الفنيين الذين يفيدون ويستفيدون ولدينا عدد لا بأس به من هؤلاء الذين توافروا على دراسة التربية البدنية وأتقنوها فمما كاملاً فهم أجدر الناس بهذا العمل

ثم نريد ان تحل المهرجانات والحفلات الرياضية تدريجاً محل الموالد وما شابهها من الاجتماعات الشعبية وان تجعل ميادين يتبارى فيها الشباب في اظهار قوته وقوته ونبوغه وتفوقه واني اغتم هذه الفرصة لأحيي ذلك الرياضي العظيم الذي كان أول من فكر ونفذ موضوع نشر الرياضة في القرى والارياف ومعاونيه وأتمنى له ولهم من كل قلبي أعظم توفيق ونجاح ان شاء الله أيها السادة — نخرج من كل هذا بما يلخص في :—

١ — ان تربية الجسم رياضياً لها نفس الشأن الذي لتربية الذهن والحياة لا ينجح فيها الا الرجل السليم الجسم المذهب العضلات المصقول الذهن فيجب ان تسير مكافحة الامية الذهنية الامية الجسمية وان يكون الجهود الذي يصرف في ناحية يتكافأ مع مثله في الناحية الأخرى

٢ — نطلب ان يتسع مجال اعداد الرياضيين الفنيين من الجنسين فهؤلاء عدة الوطن ورسالة الثقافة السكاملة والنور الذي تتبدد باسرافه ظلمات الامية الجسمية

٣ — نطلب ان تتسع ميزانية الدولة لما يكفل نشر الاندية والميادين الرياضية في أنحاء متعددة بحيث يسهل على الشباب من كل طبقة ارتيادها



# أوقات الفراغ

والناحية الفنية

للمستاذ احمد شفيق زاهر

تعلمون حضراتكم ان ساعات العمل لا بد ان يتخللها فترات للراحة والترفيه . والناس جميعاً في هذا سواء فليس منهم من يستطيع ان يواصل العمل بدون انقطاع . ومن هنا نشأت مشكلة أوقات الفراغ وهي مشكلة تتطلب حلاً سريعاً لما لها من المنزلة في حياة الشبان بنوع خاص والمجتمع بنوع عام

ويختلف الناس في ميولهم الى طبيعة الاشياء التي يمارسونها طلباً للراحة والترفيه عن انفسهم من عناء العمل . فمنهم من يكون النشاط الحركي هوايته . ومنهم من يميل الى انواع التسلية الهادئة . ومنهم من يميل الى شيء وسط بين هذين . ويدخل في النوع الاول الألعاب الرياضية العنيفة كالكرة والسباحة والتجديف وما اليها . ويدخل في النوع الثاني بعض انواع الفنون الجميلة كالوسيقى والغناء والتصوير والاشتغال بالادب والشعر وغير ذلك . اما النوع الثالث فيشمل بعض انواع اخرى من الفنون كالأعمال اليدوية والنجارة وفلاحة البساتين وبعض الالعاب التي لا تتطلب مجهوداً كبيراً

والذين يمارسون هذه الانواع المختلفة يجدون فيها هوايةً لذيذة يستمتعون بها وينعمون بنتائجها والهوايات المختلفة مهتها التنفيس بوسائل منتظمة عن الغرائز الانسانية . وبغير هذا التنفيس المنتظم يستهدف المرء لنوع آخر من التنفيس العاثر المملوء بالشرور المخوف بالخطر . وأن من أهم الاغراض التي نرمي اليها من تنظيم أوقات الفراغ إعلاء الغرائز الانسانية أو تحويلها كي لا تتخذ على الرغم منا مخرجاً للتنفيس غير مشروع

وإعلاء الغرائز معناه تهذيبها وتحويل تيارها الى جهة اخرى من الجهات المحمودة التي يمكن ان تبرز فيها المواهب الطبيعية لكل فرد . وقد تكون هذه المواهب فنية أو أدبية أو رياضية ويقال تبعاً لهذه الفكرة ان الوقت الذي يميل فيه الفرد الى اشباع غريزته الجنسية مثلاً هو نفس الوقت المناسب لتحويل تلك الرغبة الى نظام الشعر إن كان شاعراً أو عمل صورة إن كان



مصوراً أو غير ذلك . فكما أن هذه الغريزة تثير في نفس الشاب العواطف والميول والرغبات كذلك الفنون الجميلة لها ارتباط بعالم الوجدان فهي والحالة هذه قريبة منها يستطيع الشاب ان ينصرف اليها ارضاء لغريزته دون أن يعد خارجاً على التقاليد الاجتماعية

والفنون الجميلة ميدان فسيح محبوب من جميع الناس . ولو ان منهم من يعتقد خطأ أنه عاجز عن النزول اليه . ويود خلاصاً لو استطاع ان يفعل فيجني من ثماره مثل ما يجني الآخرون . مع ان الثابت الذي لا شك فيه ان الانسان في كل زمان ومكان ومهما تختلف حضارته كان يمارس الفنون الجميلة من نقش وحفر وتصوير

أنا لا أريد ان اقول ان كل انسان يمكنه ان يكون مصوراً بارعاً او نحاتاً عظيماً . ولكنني أريد ان أذكر ان الشخص العادي يستطيع ان يمارس فنا من الفنون وان يصل فيه الى مستوى مقبول . والمهم في هذا كله اختيار نوع الفن الذي يتفق مع جسمه واستعداده . فالتنقش يتطلب درجة من المهارة اليدوية والمرونة العضلية وحدة البصر اكثر مما تتطلبه أعمال النجارة البسيطة . كما ان النحت اكثر ملاءمة للشبان منه للصبيان وهكذا

وكم يكون جميلاً ان يزين الشاب جدران منزله بصور من عمله بصورها بالالوان المائية او الزيتية او ألوان الباستل عن الطبيعة ما بين الريف والشروق والغروب وغير ذلك ولا ينبغي أن يفوتنا ان الفنون لا تقتصر على التصوير والنقش والنحت بصورها المعروفة بل هي تشمل فوق ذلك شتى الفنون التطبيقية . فاعمال الجلد والتطريز وطبع المنسوجات واعمال النجارة البسيطة كلها تدخل في نطاق الفنون

فالقناة التي تقوم بتطريز ما في البيت من ستائر ومفارش وأغطية وعمل مظلات المصايح وزخرفتها وصنع مختلف الحقائق الصغيرة وسائر المصنوعات الجلدية تقضي فراغها في عمل في مفيد . وانه جميل جداً ان يحتوي البيت على قطع من السجاد ومناضد صغيرة ورفوف جميلة من صنع اهل البيت

بهذا يكتسب كل منزل طابعاً خاصاً هو صورة لذوق ساكنيه . وليس يكفي ان يكون لكل بيت طابع خاص . بل المهم ان يكون هذا الطابع متفقاً مع الذوق السليم . وممارسة مختلف الفنون المذكورة بعد التدريب عليها تحت إشراف اناس قادرين على حسن التوجيه والارشاد من شأنه ان يؤدي الى النتيجة التي ترمي اليها

وطبيعي جداً أن من بين شباننا من أتاحت له فرصة التدريب على هذه الامور في المدارس وهؤلاء ينبغي لهم ان يواصلوا جهودهم في هذه الناحية واستمرارهم هذا كفيل بالوصول بهم الى نتائج طيبة . وفي اعتقادي أن المدرسة التي لا تعمل على توجيه تلاميذها منذ الصغر الى



ما يلائمهم من الهوايات الفنية المختلفة يكون التعليم فيها ناقصاً لا يؤدي رسالته على اكمل الوجوه ذلك لأن للعادات التي يعتادها الصغار أثراً كبيراً في حياتهم المستقبلية أما الذين لم تساعدهم ظروفهم على التدريب على الاعمال الفنية من الصغر فيستطيعون دائماً ان يبدأوا محاولاتهم الاولى تحت ارشاد من سبقت لهم الخبرة في هذا السبيل . هذا بطبيعة الحال اذا لم يكن من الميسور ان يلتحق الشاب بأحد معاهد الفنون الليلية وهو ما تلجأ إليه الحكومات في الخارج لبث الروح الفنية بين أفراد الشعب . هنالك ترى معاهد الفنون وقد غصت أقسامها الليلية بالطلاب والطالبات من شتى الطبقات ممن لا تسمح لهم ظروفهم بالدراسة النهارية المنتظمة ، وهم يدرسون في الاقسام المختلفة كل على حسب استعدادهم وميوله وكثير من هؤلاء يصلون الى درجة من المهارة تساعدهم على السكسب بما يخرجونه في اوقات الفراغ اما الذين لا يصلون الا الى مرتبة الهواة العاديين فيكفهم ما يسمعون من تسلية بريئة وترفيه عن النفس من عناء اعمالهم في النهار

وجذا الحال لو أقيمت معارض دورية يقصر الاشتراك فيها على الهواة في مختلف الفنون يعرضون فيها ما ينتجون في أوقات فراغهم على ان تمنح الجوائز للمتفوقين منهم والفنون الجميلة لها فوق المزايا الخاصة التي سبق الكلام فيها ميزة عامة هي أثرها في حياة الفرد ونظام معيشته واسلوب تفكيره بوجه عام . وليس من شك في ان الشعب الذي يعد أفراداً هذا الاعداد يكون شعباً أهناً بالحياة وأضعفها من شعب يضع أفراداً اوقات الفراغ جلوساً على المقاهي يتحدثون فيما لا خير فيه او يلعب بهم الشيطان فيصرفون فراغهم في اللهو والعبث والمجون





# منشآت اوقات الفراغ

القائم منها والمراد انشاؤه

للمستاذ زكي بروي

سكرتير مدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية

تختلف ميول الافراد واغراضهم باختلاف طبائعهم فما يصلح لفريق لا يصلح لآخر . لذلك نجد مثلاً انواعاً مختلفة من النشاط الاقتصادي والزراعي والصناعي والتجاري تقابلها اشكال عديدة من التعليم ويسير بجانب هذه وتلك صور متباينة من المنشآت الخاصة بالفراغ وقد تكون هذه المنشآت قائمة جميعها او بعضها بمصر ولكن الشائع منها انواع محدودة . ومن ثم كان من الخير للفرد ان يعرف انواع هذه المنشآت على حقيقتها ويقف على الفروق التي بينها ، كما انه من الواجب على الجماعات ان تعمل على تنويع المنشآت القائمة بانشاء انواع جديدة تسد حاجات جديدة . والآن نعرض بإيجاز لاهم هذه المنشآت :

﴿ المكشف ﴾ هو نوع من التربية يعمل على صقل النفس وتدريبها على التواضع وحب الخير وانكار الذات في سبيل المجموع ، وتعويد الشباب النخشن والابتسام امام صدمات الحياة وقد كان بادن باول أول من وضع نظام الكشافة سنة ١٩٠٠ بانكلترا ومن ثم انتشر في جميع بلاد العالم . حتى اذا كانت سنة ١٩١٨ دخلت الحركة الكشفية مصر وكان فوز الحركة الاكبر يوم نصب الملك فاروق الاول شبلأ اعظم لمصر سنة ١٩٢٨ وكشافاً اعظم سنة ١٩٣٣ ثم إنشاء جمعية الكشافة الاهلية إنشاءً رسمياً معترفاً به .

وقد قامت نظرية بادن باول على فكرتين : الاولى أهمية حياة المكشف في تكوين الفرد والثانية هي ان يكون الطفل مسؤولاً عن نفسه . وذلك لانه لاحظ ان المتوحشين احسن من المتمدنين بدنياً واخلاقياً فيجب ان ينفع المتمدنون بالحياة الطبيعية وتعليم الاطفال تعليماً اخلاقياً يرمي الى (١) تحسين الذكاء (٢) تنمية الاخلاق (٣) الخدمة الاجتماعية (٤) عواطف البطولة

وحيث انه لا يمكن وضع الاطفال المتمدنين في بيئة المتوحشين لذا يجب تعويدهم حياة المتوحشين والعمل على تقليدهم من حيث الملابس وضروب العمل وغيرها فيبتدىء الطفل بمواجهة صعوبات نظرية تساعد على مقابلة الصعوبات الحقيقية في المستقبل



تنقسم الكشفة الى ثلاثة أقسام : —

- ١ — صغار الكشفة ( البررة ) : وهذه الفرقة يتبدى عمر أفرادها من ثمانى سنوات الى اثنتى عشرة سنة والغرض من تدريبهم تقوية اجسامهم وتثقيف عقولهم
  - ٢ — الكشفة : يتبدى عمر أفرادها من إحدى عشرة سنة الى ثمانى عشرة سنة والغرض من تدريبهم تقوية اخلاقهم وتعويدهم القيام بالواجب عليهم
  - ٣ — الجواله : وهذه الفرقة قوامها الذين عمرهم اكثر من ثمانى عشرة سنة والغرض من تكوينها الاحتفاظ بفضائل الكشفة في معاملاتهم الاجتماعية والحياة القومية
- ميثاق الكشف : أعد بشرفي أنى سأسعى جهدي لان أقوم بما يجب على الله وملكى ولأمتى وان أساعد غيرى في جميع الظروف وان أعمل بقانون الكشفة
- قانون الكشفة : (١) شرف الكشف إيمان وثيق (٢) الكشف مخلص لملكه ولوطنه ووالديه ورؤسائه ومرؤوسيه (٣) واجب الكشف ان يكون نافعا وان يعين غيره (٤) الكشف صديق الجميع وأخ لكل كشف كائنا من كان (٥) الكشف حميد السجايا (٦) الكشف رفيق بالحيوان (٧) يطيع الكشف أوامر والديه ورئيس قسمه ومعلم فرقته طاعة عمياء (٨) ييسم الكشف للشدائد ويصفر لها (٩) الكشف مدخر (١٠) الكشف تقي السريرة
- طيب الاقوال كريم الحاصل

﴿ فنادق الشباب Auberges de la Jeunesse ﴾ نوع من الفنادق تسمح للشبان بالنوم والاقامة فيها بأجر رخيص ، للتشجيع على السياحة ، والتعلم من الطبيعة ، ومعرفة الوطن والبلاد الأخرى ، ولا اكتساب الصحة ، والاعتماد على النفس ، وتحمل المشاق ، والسير على الاقدام ، وتعلم الابتكار ، والتمتع بالهواء الطلق ، والتدرب على البساطة في الحياة ، وتعزيز الروح الرياضية أول ما نشأت هذه الحركة في المانيا قبل الحرب وأول فندق أنشئ سنة ١٩٠٧ وقد كان مؤسس هذه الحركة الاستاذ ريشار شيان Richard Schieman وكان يقوم برحلات أيام الخميس والاحد بصحبة تلاميذه ومن هنا نشأت الفكرة وانتشرت فلم تعد مقتصرة على المدارس بل انتفع بها غير الطلبة متى كانت الفنادق خالية ، أي السياح

وفي سنة ١٩١٣ وجد بالمانيا ٢٠٠ «أوبرج» وفي سنة ١٩٣٨ — ٢٠١٨ وانتشرت الفكرة في انكلترا واسكتلندا والنمسا وبلجيكا والدانمرك وهولندا والنرويج وبولونيا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا الواحدة تلو الأخرى ما بين سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣١ وانتشرت في السنوات الأخيرة انتشاراً عظيماً بفضل تدخل السلطات العامة ومساعدتها في تلك البلاد

الحركة الدولية لفنادق الشباب : اجتمعت عدة جمعيات لانشاء هيئة دولية لفنادق



الشباب فنلت عدة دول وألقيت محاضرات متعددة وعقد الاجتماع الاول في هولندا باسترداد  
خضره ممثلو ١٥ دولة سنة ١٩٣٢ وفي ألمانيا سنة ١٩٣٣ وفي انكلترا سنة ١٩٣٤ وبولونيا  
سنة ١٩٣٥ وسويسرا سنة ١٩٣٩ والدانمرك سنة ١٩٣٦ وباريس سنة ١٩٣٧ وإيرلندا سنة ١٩٣٨  
وغرض هذه المؤتمرات الدولية هو :

١ — انشاء الصلة بين البلاد المختلفة ٢ — قبول الاقتراحات عن الدعاية والانظمة الخاصة  
بهذه الفنادق ٣ — الحكم في حالة الخلافات بين عدة أنظمة في البلد الواحد ( مثلاً في بلجيكا  
توجد فنادق كاثوليك وبروتستانت ) ٤ — اعطاء بطاقة عضوية للشبان الذين يرغبون في الرحلات  
والارتفاع بهذه المنشآت عندما لا يوجد في بلاد العضو فنادق من هذا النوع ( اذ ان المفروض  
ان لا تعطى تذكرة الاشتراك الا اذا كان يبلد العضو المشترك فنادق للشباب فاذا لم يكن  
يبلاده فنادق من هذا النوع متمية الى الحركة الدولية فانه لا بد له من الالتجاء الى المركز  
للحصول على هذه البطاقة ) . ومن أهم أغراض هذا المركز ابعاد الحركة عن كل فكرة سياسية  
او دينية . ولذلك لا يسمح للشبان بخوض الموضوعات في الفنادق

وتعتمد هذه الحركة بحسب البلاد المختلفة على جهة معينة فمثلاً في بولونيا توالي وزارة المعارف  
العمومية هذه الحركة بينما تعتمد في النرويج على نادي السياحة واحياناً تكون مستقلة  
أنظمة هذه الفنادق في البلاد المختلفة : تختلف بحسب ذوق كل بلد وميله وروحه .  
وكذلك من حيث الوجهة . فمن فندق أشبه بالفنادق العادية من حيث كثرة عدد حجر النوم  
وغرف الاستحمام والمكتبة وأبهاء الاستراحة والطعام . الى مجرد حجر بسيطة بأرضها  
عدة مراتب من القش . ومن هذه الفنادق ما بدأ في الحقول في بيوت الفلاحين . ومنها  
ما الحق بفندق او بقهوة او بقصر قديم او مدرسة الخ


﴿ الهياآت الرياضية ﴾ هناك كثير من الهياآت تقتصر جهودها على نوع من الرياضة او على  
عدة انواع . وهذه الجهود في منزلة توازي الجهود الرياضية المدرسية ولكنها اعظم جاذبية وأكثر  
قرباً من الناحية العملية ، ومهمتها اعطاء احسن النتائج . واذا تعمقنا في البحث وراعينا التشريع  
وظوائف الاعضاء وعلم النفس فان التربية البدنية في الوقت الحاضر تمثل مجموع الوسائل  
التي تشجع نمو الفرد ، ونمو جميع الوظائف الفسيولوجية ، وتحسين الجهاز البشري بحيث  
يمكن الحصول من كل عضو على اكبر نتاج ممكنة . اما بخصوص الرياضة فهي ليست الا جانباً  
من التربية البدنية كتنطبق لها او كدليل على قدرة ممارستها على المعيشة الكاملة

ولكن هذه التربية البدنية يجب ان تكون جزءاً من التربية العامة ، وهي تمارس حالياً على  
حدة ، وبدون الاعتماد على طريقة معينة غالباً ، وبلا تنسيق مع باقي منظمي فروع اوقات الفراغ وهي بذلك



غير كافية ، ومن ثمَّ يجب على كل هيئة من هيآت تنظيم فراغ الشبان ان تخصص لعضائها على الاقل ساعتين اسبوعياً للتربية البدنية . وبذلك لا يمكن فقط تكوين العضلات او تربية الملاحظة بل وتعزيز النشاط ايضاً والقدرة على العمل الشاق ، وكلها تصلح لجميع انواع الاعمال وتسمو عن طريق النضوج الاخلاقي الذي يدفع الفرد الى خدمة المجموعة . ويستلزم ذلك استخدام طرق التربية البدنية الصالحة كطريقة هربرت التي يجب ان تكون صادقة وعملية وجذابة اذ يمكنها ان توفر العناصر اللازمة لتحسين صحة الشبان

لقد ازداد الاندفاع نحو الرياضة زيادة كبيرة في هذه الايام . والرياضة التي ليست منظمة تنظيمياً كافياً تؤدي الى مبالغت مؤلمة ، فمارسوها الذين تساء قيادتهم غالباً ، يضعفون ابدانهم بالمباريات التي تجري قبل اوانها . اما المعجبون بهم فهم مجرد متحمسين عاجزين عن العمل ، والرياضة بين الهواية الكاذبة وهؤلاء المعجبين الحاملين ليست الا وهماً كبيراً ان لم تكن مهزلة كبرى من الواجب توثيق صلة التعاون بين جميع الهيئات وتعزيز المبادئ والطرق المتفقة مع الحياة الطبيعية . كما يجب ان نصرف المتفرجين عن الملاعب الكبيرة المخصصة لمشاهدة الاستعراضات وان نشيء بدلاً منها ملاعب صغيرة اكثر صلاحية منها حيث لا يخشى فيها جمهور اللاعبين عرض مواطن ضعفهم او مواضع نقصهم ومن واجب الدولة تشجيع هذه الوسائل الرياضية في البلاد

الاندية الاجتماعية  تعتبر الاندية من اهم الخدمات الاجتماعية الانشائية والوقائية ومن أنفع المنشآت التي تعمل على تنظيم اوقات الفراغ وتحتصر اغراض معظمها في توثيق عرى الروابط الاجتماعية بين اعضائها وفي العمل على توفير وسائل التسلية ، الا ان اندية الشباب يجب ان تعنى بالنواحي الجسمية والفكرية والاخلاقية والاجتماعية بما يلائم الشباب ويشبع رغباته وينسجم مع البيئة . فالعناية بالجسم تكون عن طريق التربية البدنية والرياضية والالعاب القوى ، وترمي التربية البدنية هنا الى تنمية القوة الحيوية وتعليم العادات الصحية وتكوين الخلق القويم . اما الرياضة والالعاب القوى فتكامل للتربية البدنية اذ تنمي الارادة والمواهب الخاصة بالفرد . وتقوم العناية بالناحية الفكرية على استخدام جميع الوسائل الممكنة لتوسيع أفق الفكر ، وتدريب الذهن لمواجهة مشكلات الحياة واصدار الحكم الصائب عليها ، دون فرض اي مذهب خاص بالنظام الاقتصادي او الاجتماعي . وهذه الوسائل هي انشاء مكتبة مزودة بأحسن الكتب الملائمة واهم الجرائد والمجلات وتنظيم دروس مسائية في بعض المواد العملية كاللغات والموسيقى والتصوير وغيرها . وكذلك لقاء محاضرات بين حين وآخر في الموضوعات المصرية التي تخدم الشباب وتنظيم رحلات اسبوعية وفي اوقات الاعياد الى الضواحي والقيام بزيارات المتاحف والآثار تحت اشراف اخصائيين



على الرغم من ان العناية بالجسم والفكر تؤدي بطبيعتها الى تهذيب الاخلاق الا انه من المستحسن دائماً العناية بالناحية الخلقية عناية مباشرة.

ويكون ذلك بمحاربة الآفات الاجتماعية عن طريق المحاضرات ونشرات الدعاية وتكوين الاخلاق الطيبة ببت روح المحبة بين الاعضاء واحترام العمل والحياة العائلية

تعمل الاندية ايضاً على تعزيز الروح الاجتماعية وایجاد مثل اعلى مشترك وبث روح الطموح والتقدم بين الاعضاء، وتعويدهم خدمة الغير كالنزول الى الطبقات الفقيرة والاحتكاك بافرادها ومساعدتهم على تحسين حالتهم الصحية والفكرية والاجتماعية. وتشجع كذلك الاعضاء على تعليم الاميين وتبث بهم الى القرى في ايام العطلة للاقاء التعليمات والارشادات على الفلاحين فينبون لهم طرق المعيشة الصحية ويقومون بتوزيع المنشورات عليهم. او وضع الاعلانات الجذابة والرسوم والصور الرمزية التي تخدم هذه الغاية

﴿ دور الكتب ﴾ للاطلاع والقراءة أثر عظيم في الثقافة وشغل اوقات الفراغ على احسن وجه، لذلك أنشئت دور الكتب لتيسير هذا المطلب وقد انتشرت المكتبات المختلفة انتشاراً عظيماً، وأصبحت لها مكانة عالية، ولا غرابة اذا وقفت عليها الاموال الطائلة ووضعت لها الميزانيات الكبيرة في كثير من البلاد الاوربية والاميركية

وليس الغرض من إنشاء مكتبة الاحتفاظ بالكتب لحين الحاجة اليها بل تشويق الافراد وتربيتهم في الدرس والمطالعة وتوصلاً لهذا الغرض تهتم كل مكتبة بتعيين أمين كفاء لها. وهو غالباً من السيدات ويشترط فيه ان يكون خريج احدى المدارس التي تنحصر مهمتها في اعداد طلابها للتوظيف بالمكاتب العامة وهذه المدارس حديثة العهد فقد كان يخول لكل رجل او امرأة تقريباً ان يشغل في هذه المكاتب لان عملها كان محصوراً في اعادة الكتب واستعادتها ووضعها في اماكنها. اما اليوم فقد أصبح العمل في المكاتب عملاً فنياً

فتقسم الكتب وتوزعها كل الى الجهة التي تناسبها في المكتبة. ووضع الفهارس على احدث الطرق وتنظيم ما يرد من المؤلفات الحديثة وتقييد الصادر والوارد الى المكتبة ومنها في سجلات منظمة، كل ذلك من اعمال امناء المكاتب. ولأمين المكتبة فوق ذلك عمل آخر، وهو لفت نظر القراء الى ما في المكتبة من الكتب والمجلدات النفيسة والمقالات الشائقة التي تنشر في الصحف والمجلات الدورية

ومن وسائل التشويق تزيين جدران ابهاء المطالعة بالصور والرسوم المستخرجة من الكتب والمجلات بتعليقها في لوحات خاصة. والغرض من وضعها تشويق القراء لمطالعة المجلات التي أخذت منها. وبجانب ذلك يوجد عدد كبير من قصاصات الجرائد والمجلات التي لا توجد بالمكتبة وخوفاً



من فوات الفرصة على القراء تعلق هذه القصصات على لوحات الاعلانات للاطلاع عليها وكثيراً ما يضعون كتاباً مفتوحاً موضوعاً في اطار مغطى بالزجاج رغبةً للقراء في قراءة فقرة خاصة او مشاهدة صورة معلومة حتى يستيروا الكتاب لمطالعته . وعلى العموم يجري العمل على توجيه هذه المكتبات لصالح الشعب ومن ثم ينبغي ان تقوم سياستها العامة على المبادئ الآتية : —

- ١ — انشاء المكتبات الشعبية في كل حي اي يجب ان يكون نظامها لامركزياً بخلاف المكتبات العامة حيث المركزية هي القاعدة
  - ٢ — يجب اختيار احسن الكتب من كل صنف فتكون المكتبة خليطاً من كتب الثقافة وكتب التسلية ، وفي كل نوع يجب توافر اكبر مجموعة من انواع الكتب لختلف طبقات القراء . ويجب ان يتجنب في الكتب المختارة المكتبات الشعبية التعمق الشديد كما يجب ان يتحاشى الانحدار الى العامة
  - ٣ — يجب ان تكون ادارتها ملائمة لحياة الطبقة العاملة وعلى الخصوص ما يتعلق بمواعيد الفتح
  - ٤ — العمل على تكوين اخصائيين مهمتهم ارشاد الاندية والهيئات الخنافة الى خير الكتب والناشرين ووضع قوائم تشمل احسن الكتب التي تلائم كل طبقة . وتمطى معلومات عن ترتيب الكتب وغيرها وعمل البطاقات والفهارس وكل ما يتعلق بمخزائن الكتب
  - ٥ — تشجيع انشاء المكتبات في الاقاليم سواء أمستقرة كانت أم متنقلة لتكون الكتب في متناول القراء على اختلاف طبقاتهم
  - ٦ — العمل على ملائمة المكتبات لجميع طبقات القراء ، وذلك بانشاء مكتبات خاصة ، كذلك التي تلحق بالمصانع للمال او المخصصة للزراع او للاطفال او للمستشفيات
- ﴿ جمعيات هواة الفنون ﴾ اهم هذه الجمعيات هي جمعيات هواة التمثيل والسينما والموسيقى ويمتاز اعضاؤها عن المحترفين بالتجديد والابتكار لانهم يعتمدون في ارزاقهم على موارد اخرى غير الفن الذي يهوونه ، ومن هنا كان عملهم الفني خالصاً لوجه الهواية غير متأثر بعوامل المادة ولا خاضع لتقلبات الاغراض الخاصة التي تحتملها ضرورة المعاش والتبادل النفقي والخضوع لرئيس يكون في الغالب رأسمالياً ، ان لم يكن بفطرته كان ذلك بحكم حاجته الى العيش . وأهم عوامل رقي جمعيات الهواة هي الاتحادات التي يمكنها ان تخدم الفن اجل خدمة فيهم اتحاد جمعيات التمثيل بتنظيم الجهود في الفرق التمثيلية تحت رعايته وارشاده ، كما يتولى ابعاد العناصر الضارة عن الروايات ولا سيما الهزليات العامة او الروايات التي لا تسمو بمقارها وعظمتها او بمرامها عن الدنيا



ويجب الاهتمام بإنشاء ثقافة تمثيلية فنية ترمي في الوقت نفسه إلى ترقية مدارك الأفراد من حيث اللغة العربية الفصحى وآدابها. ويكون بالاتحاد بعض الاختصاصيين في التمثيل واهياء الحفلات التمثيلية يمكن إرسالهم إلى الاندية والجمعيات التي تهتم بالتمثيل لإرشاد أعضائها. ويهتم أيضاً بالاتفاق مع اصحاب المسارح والفرق التمثيلية على تخفيض الاسعار في بعض ايام الاسبوع لتمكين الطبقات الفقيرة من حضور هذه الحفلات

وفي وسع اتحادات جمعيات هواة الموسيقى ان تعمل على جمع اصول وانغام الاغاني الشعبية القديمة المهددة بالزوال وإقامة حفلات لالقاء الاغاني والانشيد الوطنية وتنظيم مسابقات ومنع جوائز لأحسن القطع الموسيقية الغنائية التي يجب ان تكون متنوعة ووضع قائمة بأحسن القطع الموسيقية للفرق وأحسن الاغاني للالقاء وذلك لرفع المستوى الفني لجمعيات هواة الموسيقى

\*\*\*

﴿ الجامعات الشعبية ﴾ كانت الجامعات الشعبية الاولى مصدراً لكثير من الآمال الواسعة منذ انشاء الجامعة الاولى بنوبورج سانت انطوان على يد دهرم سنة ١٨٩٧ ثم اخذت النقابات تعمل على انشائها فكانت تزداد شيئاً فشيئاً. وهذه الجامعات عبارة عن منشآت للتعليم العالي الشعبي وللترفيه الاجتماعية. وتعمل على جمع الرجال من جميع الطبقات للبحث الخالص عن الحقيقة والخير والجمال ولكي تحقق بينهم نوعاً سامياً من الاشتراكية ليست باشتراكية الاموال ولكن اشتراكية الافكار والعواطف. ولقد حاولت بعض هذه الجامعات أن تحتذي بالاندية الشعبية الانكليزية التي أشهرها نادي توين بي هول. وذلك بإنشاء علاقات بين الطلبة والعمال. ويطلق على هذا النوع الفرق الاجتماعية *equipes sociales* وغرضها التقريب بين الطلبة والعمال في صداقة مشتركة لكي يزيدوا معلوماتهم ونجارتهم وثقافتهم وينشئوا بينهم حركة من التبادل الخيري للجميع والواقع ان المحاضرات العامة والراديو والمطالعة لا تستطيع ان تحل محل الجامعات الشعبية. فان من كان تعباً لما بذله من جهد في المصنع او المحل او المكتب لا يستطيع ان يهتم بمحاضرة مخصصة للترويج عن جمهور من المفكرين او اصحاب الفراغ الطويل. ومن يرغب في أن يعلم نفسه بنفسه كثيراً ما يئأس من الكتب المبسطة التي لا تعرف تعريفاً وافياً للمصطلحات الضرورية لكل مناقشة جريديّة ففريق كبير من السكان يحتاج الى محاضرات الجامعات الشعبية التي تقدم له الغذاء العقلي الذي يستطيع أن يتذوقه لأنه في حاجة الى دروس منطقية على الوضوح التام كذلك التي يمكن ان يعطيها المتمكنون من موضوعاتهم وليسوا مقيدين باستخدام لغة فنية مشوهة لكي يدخلوا في اعتقاد الناس أنهم من العلماء

وأكثر المحاضرات والدروس إنتشاراً في الجامعات الشعبية هي : —



الصحة الفردية والاجتماعية ، مبادئ القانون المدني ، علم الاجتماع والاقتصاد الاجتماعي ،  
الادب والفنون الجميلة ، العلوم والطبيعة

وقد يستعان أحياناً بالسينما والرحلات والزيارات العلمية لمشاهدة تطبيق هذا الدروس . وقد  
تنظم نواح أخرى من النشاط التهديبي لاتمام نشاط الجامعة كالحفلات الموسيقية والسينماتوغرافية  
والرحلات والسياحة

﴿الاندية الشعبية﴾ تنشئ الاندية الشعبية عادة في الاحياء الفقيرة بالمدن الكبرى ويتولى  
ادارتها اشخاص ذوو مستوى عالٍ اخلاقياً وعقلياً . فيخصصون جهودهم ومداركهم لتحسين  
حالة سكان الحي وعماله الاخلاقية والعقلية والمادية متوسلين الى ذلك بجميع الطرق الممكنة .  
ويسعون الى رسيخ المثل العليا في نفوس السكان باتصالهم بهم اتصالاً لا بد منه لتحقيق هذه  
الاغراض ويكون هناك تضامن اجتماعي بين الطبقات المختلفة . ويدرس القائمون بشئون هذه  
الاندية فوق ذلك اتجاهات طبقات الشعب ومصاعبهم في الحياة وبحث المؤثرات الاولى في  
حياتهم واتجاه تفكيرهم اذ كل اصلاح لا تسبقه مثل هذه الدراسات قلما يفضي الى النجاح  
ولا يقتصر جهد الاندية الشعبية على اصلاح اعضائها . ولكنها ترى ان وظيفتها الحقيقية  
يجب ان تتسع فتجاوزهم الى كل ساكن وساكنة في الحي لان جميع هذه العناصر مرتبطة بعضها  
ببعض . لذلك تنظم اجتماعات دورية للآباء تعد فيها برامج للتسلية البريئة والسمر الطريف  
تؤدي الى اصلاحهم ورفع مستواهم . فاذا ما وجدوا فيها ما يجذبهم وما يجملهم يحرضون على  
المواظبة ، استطاع النادي ان يكون عوناً لهم على ما يقابلهم من عقبات وما يصادفهم من مشكلات  
لا يستطيعون لها حلاً

وفي نفس الوقت تتولى المتطوعات من السيدات زيارة الامهات في منازلهن وتوطيد الصداقة  
بينهن لكي يتوسلن بذلك الى رفع مستوى الحياة العائلية باصلاح حال الأم والنشء ونشر الخدمة  
الاجتماعية والطبية . وكثيراً ما تقوم الاندية الشعبية باعطاء دروس صناعية لصغار الصناع وتنظم  
خدمات طبية للأطفال الرضع والاولاد والمراهقين كما تنشئ ملاعب للرياضة ورياض للأطفال  
ومكتبات للمطالعة الى غير ذلك